... إلى من ربياني صغيرا، والديا
العزيزين رحمة الله عليهما.

تشكرات:

أتقدم بشكري الحار إلى الشباب المودع بمركز إعادة التربية المتخصص بسيدي دحو ولاية سيدي بلعباس، الذين وافقوا على مقاسمتي تجاربهم وذكرياتهم، خصوصية هذه اللقاءات المفعمة بالابتسامات والدموع، بالأسرار والاحتشام تمنعني أن أنساهم.

كذلك فانا ممتن إلى مديرة المركز حاسي دحو وكافة الطاقم الذين تفاعلوا مع حضوري طيلة عدة أشهر خلال تواجدي معهم، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ فسيان حسين متابعته الرزينة ومعرفته العميقة في كل المراحل ساهمت في الدراسة النقدية لهذا البحث وهو ما ساهم في اتضاح الرؤية بشكل كبير مع مرور الأيام، له كل تشكراتي .

اشكر الأساتذة الذين قبلوا مناقشة هذه المذكرة.

اشكر عائلتي التي لم تبخل عَيّ بالتشجيع والدعم، هذا العمل لم يكن ليرى النور بدون زوجتي وأطفالي ياقوت، محمد، ياسين، ياسر وليلى.

كما أوجه شكري كذلك إلى جميع أصدقائي وصديقاتي من اجل دعمهم وتشجيعهم لي.

الفهرس:

مقدمة 08
إشكالية 09
تساؤلات البحث.....10
الفصل الأول :التمثلات الاجتماعية.....12
1. إ دور كايم*E.Durkheim*.....12
2. إ. هوسرل *E. Husserl*.....12
3. ج بياجي.....13
4. هـ. فالون 14
5. س. فرويد 14
1.5تمثلات *die Dartarlellung*.....14
2.5تمثلات *DIE VORSTELLING*.....14
3.5تمثلات *vorstellungsreprasentanz*.....14
6. س موسكوفيسي.....15
1.6 الموضعة.....15
1.1.6الاختيار عن طريق الإدراك الحسي.....15
2.1.6فصل السياق.....16
2.6الإرساء 16
7. نظرية النواة المركزية 16
8. فرضية المساحة الصامتة 17
الفصل الثاني:مسالة الأب.....19
1. تأسيسالأب.....19
1.1أب الصلوات العائلية *Le pater familias*.....19
2.1صورة الأب القوي:*La figure du père à poigne*.....19
3.1صورة الأب المعوز:*La figure du père carent*.....20
2. أنثروبولوجية الأبوة 20
1.2الأبوة البيولوجية 20
2.2الأبوةالاجتماعية.....22
3.2الأبوة السلالية:*Paternité généalogique* 23
3. الأبوة من وجهة نظر التحليل النفسي:*La paternité etpsychanalyse.*.....23
1.3 الأب الفرويدي.....24
2.3 الأب اللاكاني.....26
1.2.3 الأبالواقعي.....26
2.2.3الأبالخيالي.....27
3.2.3 الأبالرمزي.....27
4.2.3سقوط اسم الأب.....27
4. الأب الحاضر ج لوكامو.....29
5. مسألة الأب في الثقافة العربية الإسلامية 29
6. تحولات اجتماعية ومسالة الأب في الجزائر.....32
الفصل الثالث:المراهقة، الاعتراف وتقدير الذات.....36
1. مسألة المراهقة.....36
1.1السيرورات النفسية في المراهقة 36
2.1البدائي الجنسي ف. غوتون.....38

1.2.1 *Le pubertaire*.....38
2.2.1 *L'adolescens*.....38
3.1 هل تعتبر المراهقة عملية فراق أو حداد؟.....38
2. سيرورة التقمص في المراهقة.....39
1.2التقمص والتفرقة ما بعد سيرورة التقمص *Identification et identisation*.....40
2.2أشكال التقمص.....40
1.2.2تقمص التبعية.....41
2.2.2التقمص للمعتدي.....41
3.2.2 التقمص الاوديبي.....41
4.2.2 التقمص التصنيفي.....42
5.2.2 التقمص إلى المشروع.....42
3. الاعتراف.....43
4. تقدير الذات.....43
الجانب التطبيقي.....46
1. الجانب المنهجي.....46
1.1سرد الحياة.....46
2.1مقياس تقدير الذات.....47
3.1 تقديم مؤسسة الاستقبال.....47
4.1 طريقة عمل المركز.....48
5.1 سيرورة البحث.....49
2. تقديمالحالات.....50
1.2الحالة الأولى: ثابت:الأب المنحرف أو العلاقة الثلاثية التي تتحول إلى اثنين ضد واحد.....51
2.2الحالة الثانية: علي:الأب الخاضع: هل من الممكن أن أكون أبا وفي نفس أكون الوقت خاضع لأمي؟.....62
3.2الحالة الثالثة: رضا: "لو كان أبي حاضرا لما أصبحت جانحا " أب ناقص، ابن غير ناجح" 72
4.2الحالة الرابعة: طيب:الابن الضحية لأصدقائه، المضطهد لأمه.....82
5.2الحالة الخامسة: نور الدين: التقمص إلى الأقران وليس إلى الأب.....90
6.2الحالة السادسة: توفيق: الميلاد هوالولادةالقانونية وهويعني حمل اسم الأب.....97
الخلاصة.....104
قائمة المراجع.....107

أبي العزيز

كنت طلبت منيحديثا لماذا أدعي الشعور بالخوف اتجاهك كالعادة لمأستطع إجابتك بأي شيء وهذا راجع نسبيا للخوف الذي ينتابني بسببك، نظرا لأن دوافع الخوف تتكون من جزئيات كثيرة تتجاوز إمكانية التصريح بها شفويا بنوع من الانسجام وإذ أحاول الآن أن أجيبك كتابيا فإن ذلك لا يكون إلا بشكل غير كامل نظرا لأنه وبالرغم من الكتابة فإن الخوف ونتائجه تعرقلعلاقتي بك وهذا راجع لأن عظم الموضوع يتجاوز ذاكرتي وفهمي.

فرانتزكافكا، رسالة إلى أبيه **1919**

مقدمة:

يعرف المجتمع الذي نعيش فيه مشاكل وظواهر مزمنة مرتبطة بالجنوح،تعاطي المخدرات، العنف الخ...هذه الآفات تكشف حجم التحولات السريعة و بصفة شبه عنيفة، أدت إلى قلب كيان البنيات الاجتماعية وكذلك الروابط الاجتماعية المكونةللنسيج الاجتماعي.

فخلال بضع العشرات من السنين فقط تم التحول من الأسرة التقليدية الريفية إلى الخلية البسيطة المبنية على الزوجين والأطفال تاركين نموذج الحياة الجماعية والعشائرية، التي كانت مبنية على الصورة النموذجية للأب، فأثناء المراحل السابقة كان الطفل مسجل في أصناف علائقية متينة حتى أنه وفي غياب الآباء البيولوجيون، في حالة وفاة أحدهما أو كلاهما فإن المحيط من خلال العلاقات الكثيفة والبناءة يسهر على تأطير الطفل وسقل شخصيته الاجتماعية معتمدا على نوعية هذه العلاقات.

فمفهوم الحياة الاجتماعية من المنظور العائلة الموسعة كان يمنع الانغلاق لدى الأفراد مراعيا بذلك التخفيف من معاناة الأفراد والحيلولة دون خلق وضعيات نقص لا يمكن تجاوزه عند الطبقات المعنية بسيرورة التنشئة الاجتماعية،اليوم يمكننا القول بأننا نعيش تحولات اجتماعية غير مسبوقة، فالمرور من سن الطفولة إلى سن الرشد لم يعد مؤطرا من الناحية الاجتماعية، فالشباب يبنون بأنفسهم طرق جديدة لإثبات وجودهم الاجتماعي، متبنيين أنماط حياة مختلفة عن أوليائهم و يعيشون في أغلب الأحيان حالات وحدة فردية وجماعية، فيمكن القول بخصوصهم بأنهم معزولون متجمعون يحاولون بكافة الوسائل تكوين تجمع من خلال هوية أذواق.

من الناحية الفعلية وبعد انشطار العائلة فإن جودة العلاقات داخل الأسرة يطرح إشكالية، فالآباء يشعرون بصعوبة متزايدة من أجل إيجاد الصيغة المكيفة المبنية على التبادل في الاتصال للتعامل مع أطفالهم بصفة إيجابية، فكل شيء يظهر وكأنه في حالة طوارئ، لا يوجد الحيز الزمني الكافي لتفعيل مفهوم التبادل المثمر لأبجديات الاتصالويصبح المشكل أكبرعندما يتعلق الأمر في حالة أن الأسرة تتكون من الأولياء مطلقين أو أحدهما ميت إلى غير ذلك من الحالات، ففي هذا الصدد يمكننا القول بأن الأطفال بحاجة إلى نموذج سلطة مهيكل من الناحية النفسية و الاجتماعية.

في حقيقة الأمر يمكن القول بأن تدهور العلاقة ما بين الأب والطفل أو المراهق هما من الأسباب الأكثر تكرارا، حيث أن التغيرات الاجتماعية الفظة جاءت معاكسة بشكل مباشر للأعراف والتقاليد العامة،الأمر الذي أنجر عنه مغص اجتماعي عام.

فالعلاقة ما بين الابن وأبيه اليوم تختلف عن ما تعارفت عليه الأجيال السابقة أمس وأخذت مسارات مغايرة لإرادة الآباء، بل يمكننا القول بأن التغير الذي طال الأنساق الاجتماعية قد أثر على إدراكنا لمفهوم الأبأو من هو الأب؟هل هو الوالد، هل هو الأب الشرعي المتعلق بمؤسسة الزواج؟أو أنه بخلاف ذلك المربي اليومي؟ بصيغة أخرى يمكن القول بأن الأبوة أصبحت مفهوما مستعصيا إذ أن معايير التسمية تعددت و لكن الوظائف تفرقت ما بين الوالد حامل الاسم و المربي و عليه فإنه عندما يقع تغير ما بين الصور، المكانة الاجتماعيةوالوظائف الاجتماعية فماذا يمكننا المحافظة عليه بخصوص الأب ووظيفته على وجه الخصوص؟

بالموازاة فإن التحولات الاجتماعية، العادات والتصورات لم تتم بدون خلق تناقضات، أما من جهة أخرى فيمكن افتراض نوع من الآثار النفسية المرافقة لتكوين الأفراد الذين عايشوا هذه السيرورة، أمام تراجع العلاقات الاجتماعية بصفة عامة فإن المراهق يجد نفسه في الواجهة معرضا إلى نتائج المترتبة عن هذه التقلبات.

دراستنا قامت في مؤسسة إعادة التربية لحاسي دحو و التي تبعد حوالي 15 كلم عن مدينة سيدي بلعباس، أما عينة البحث فهي مكونة من 06 شباب تتراوح أعمارهم ما بين 14 و 18 سنة،بالنسبة لدواعي اختيار البحث فهذاراجع لاهتمامنا من بداية تكويننا بقضية الأب عند فئة الشباب المنحدر من محيطات اجتماعية مفككة، أين تكون القواعد الأساسية التي تسمح ببناء الشخصية في ظل احترام المعايير القانونية والاجتماعية غير متوفرة.

وعلى هذا الأساس وبعد تواجد مستمر في ميدان البحث، وقع اختيارنا على فئة الشباب المودع بمؤسسة إعادة التربية الأنفة الذكر والذين يعانون من تبعات النظرة التمييزية لوجودهم بالمؤسسة، بالإضافة إلى ضلوعهم بقضايا الجنح السالبة للحرية.

من الأولويات التي دأبنا عليها في هذا العمل هو عملية فسح المجال للشباب للتعبير عن نظرة تأملية لمشوارهم المؤسساتي وذلك لأخذ الوقت الكافي لسماعهم وعلى هذا الأساس فإننا سنولي أهمية خاصة لوجهة نظر هؤلاء طول هذا البحث أو بالمقابل فإننا، سنحاول تحليل وفهم لوضعيات مختلفة من خلال معاشهم الفردي والجماعي.

وستكون انطلاقتنا للبحث من خلال أن وظيفة الأب تتجلى في السجلين النفسي و الاجتماعي وفي هذا الإطار فإننا سنحاول معالجة الموضوع من الناحية التاريخية، الاجتماعيةوالانتروبولوجية التحليليةوتجدر الإشارة إلى أن البحث تم انجازه في النسخة الأصلية باللغة الفرنسية، ليتم بعد ذلك ترجمته إلى اللغة العربية.

الإشكالية:

إن اضطرابات التنشئة الاجتماعية تصبح واضحة المعالم لدى فئة المراهقين على وجه الخصوص و بصفة عامة فإن مشاكل بالتكيف في الحياة الاجتماعية للمراهقين قد يعكس فقدان الهيبة للفئة الممثلة للقانون كالآباء، المعلمون، الشرطة...الخ وعليه يمكن صياغة الإشكالية الأولية على النحو التالي: **هل توجد مسألة الأب عند المراهقين القصر المودعون تحت الرقابة القضائية بمركز حاسي دحو ولاية سيدي بلعباس؟.**

وفي نفس السياقيظهر لنا بأن تحليل الأوضاع الاجتماعية قد يتجلى في شكل معادلة ما بين تدهور وظيفة الأب في المجال الاجتماعي، القانوني وتقهقر لوظيفة الأب في المجالين العام و الخاص، مما يترتب عنه بأن**فشل وظيفة الأب قد يكون لها بعد تكويني لظاهرة الجنوح خاصة لدى الشباب الذين يعيشون فترة مراهقة عسيرة و هو الأمر الذي يجعل المرور إلى مكانة الفرد الراشد بالأمر الصعب.**

بالمقابل فإن**الدور الاجتماعي الذي تقوم به مجموعة الأقران يعتبر مهم جدا بالتالي فإن الفراغ الذي تتسبب فيه وظيفة الأب المقصر قد يكون السبب في عملية ملئ الفراغ من خلال إقبال المراهق إلى نماذج أفقية، يكون للأقران الدور الأكبر فيها بما في ذلك ميلهم إلى عدم احترام قواعد العيش في المجتمع.**

تساؤلات البحث:

يمكن لنا طرح مجموعة من الأسئلة متعلقة بتقهقر مكانة الأب بصفة عامة.

- هل أزمة السلطة ماهي إلا نتيجة تفكك الوظيفة الأبوية؟
- هل يمكن إثبات وجود الأب إذا كانت البطالة تحرمه من المكانة الاجتماعية؟
- ماذا يعني مفهوم المراهقة في المجتمع اليوم؟
- لماذا ترجع النقائص في ممارسة مبدأ السلطة في ميدان العائلي الخاص إلى شخص الأب فقط بدلا من الأبوين معا؟
- هل توجد علاقة ما بين جنوح الأحداث ومفهوم تقدير الذات عند المراهقين المودعون بمركز إعادة التربية بحاسي دحو بولاية سيدي بلعباس؟

الفصل الأول :التمثلات الاجتماعية.

1. إ دور كايم*E.Durkheim*
2. إ. هوسرل *E. Husserl*
3. ج بياجي
4. هـ. فالون
5. س. فرويد

1.5تمثلات *dieDartarlellung*

2.5تمثلات *DIE VORSTELLING*

3.5تمثلات *vorstellungsreprasentanz*

6. س موسكوفيسي

1.6 الموضعة

1.1.6الاختيار عن طريق الإدراك الحسي

2.1.6فصل السياق

2.6الإرساء

7. نظرية النواة المركزية
8. فرضية المساحة الصامتة

الفصلالأول:

كيف يمكن أن تكون إمكانية شرح الأمور عندما نجعل مسبقا من كل شيء صورة، صورتنا. **ف.نيتزش** المعرفة المبتهجة.

1. التمثلات الاجتماعية:*Représentations sociales*

مفهوم التمثلات الاجتماعية نظرا لشساعة الحقل الذي يدل عليه يطرح مشكل حقيقي بالنسبة للتعريف به و ذلك نظرا لموقعه البيني المتواجد في مفترق الطرق ما بين المفاهيم النفسية و الاجتماعية على حد السواء .

قبل البدء في تعريف هذا المصطلح ارتأيت إيجاز بعض التعريفات اللفظية كما يلي[1]:

- عملية تمثيل أو إعادة تقديم.
- عملية عرض مسرح.
- صورة يدوية أو تخطيطية.
- صورة فكرية لموضوع معين.
- تمثيلات دبلوماسية لدولة ما.

في معجم العلوم الإنسانية[2]فإن تمثل الموضوع أو فكرة معينة يدل في معناه العام عملية استنساخ على شكل صورة رمز أو إشارة مجردة، الخصوصية الأساسية للتمثلات الاجتماعية وهي السماح بتوظيف على شكل شريط يبسط الأمور المعقدة إلى أجزاء أساسية يمكن لها أن تقوم مقام دليل لقراءة الواقع.

بالتالي يمكن القول بأن هذا المفهوم و نظرا لتواجده في حقول دلالية مختلفة فإنه يصعب عليه البروز بشكل تعريفي موحد فقد نجده في علم الاجتماع،الأنثروبولوجيا، التاريخ، التحليل النفسي، علوم الاتصال...الخ.

وجهة نظر بعض المؤسسين لهذا المصطلح:

1-1 إ. دوركايم*E. Durkheim*:

يعتبر من الباحثين السباقين الذين تناولوا ابتداءا من1895م لمصطلح التمثلات كنتاج فكري اجتماعي مرتبط،قبل أن يقرر وضعها كموضوع بحث علمي يمكن من خلاله فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية المختلفة[3]،إميل دوركايم دأب على تعريف التمثلات الاجتماعية بخصوصيتها المختلفة عن التمثلات الفردية.

فالتمثلات الشخصية يكون الأساس فيها الشعور الفردي والتمثلات الاجتماعية تكون نتاج إفرازات المجتمع برمته.

1-2إدموند هوسرل*E. Husserl*:

بالنسبة لهوسرل فإن المواضيع الموجودة في الواقع تتمثل لنا في أشكال مختلفة وأن الفكر يقوم بتلخيص مخطط مجرد، فكرة صافية، جوهر والتي تتجاوز جميع الأشكال الشبيهة.

هذه الأفكار الصافية أو الجوهرية هي التي تنظم تفكيرنا و تعطي معنى للمواضيع و هو ما يشكل الموضوع الأساسي للبحث في التيار الظواهري الفينومينولوجيا[4].

1.Dictionnaire Larousse 1979.

2. Emile Durkheim: les règles de la méthode sociologique Ed. quadrige/P.U.F 9eme Ed septembre 1997 P.03-46.

3. Dictionnaire des sciences humaines sous la direction J.F Dortier E.D Sciences humaines2004.

4 .E. Husserl, idées directrices de la phénoménologie éd Gallimard P 7.

ولهذا يتعين علينا الرجوع إلى مسار هذا العالم الذي كان في الأساس مختص في الرياضيات و كان يهتم بوضع الفكر في إطار منهجية تقوده إلى وضع النتائج ضمن أطروحة عالمية و غير قابلة للنقض، بالتالي فقد استعار من أستاذه فرانتزبرنتانو لمفهوم المقصدية والتي تقودنا بدورها إلى مقدرة الكائن البشري على سقل التمثلات في هذا الإطار فإن التمثلاتتكون قصديه عندما تعبر عن المعنى الذي يوليه الفرد للمواضيع.

فنظرية المقاصد لبرنتانو أثرت كثيرا في هوسرل ولكن التشدد في التفسير النفسي المفرط للظواهر كان يفترض ذاتية مطلقة للظواهر الفكرية وهو المنطق الذي صدم هوسرل وأدى به إلى وضع طريقة لحل هذه المعضلة بمزج نظرية المقصد لبرنتانو و المفاهيم العالمية الناتجة عن البحث في مجال الرياضيات،هوسرل قام بعد ذلك بوضع منهج التغيرات الجوهرية والتي تعني بالتغيرات عن طريق التفكير للخصائص.

انطلاقا من ذلك قام بنشر المنهج الفينومينولوجي أو الظواهري والذي يعني بإظهار الظواهر المعرفية المنبثقة عن الشعور وبما أن علم النفس يهتم بالسلوكيات النفسية، فإن الظواهرية تحاول استخلاص الجوهر ومنهجها يتم على وضع العالم ما بين قوسين لتركيز الفهم على الأفكار الخالصة.

3.1ج. بياجي***J.Piaget*:**

في علم نفس الطفل و المراهق فإن الباحثين ذي التوجه الكلاسيكي اهتموا على وجه الخصوص بالتمثلات المعرفية و هذا نظرا للأهمية التي كانوا يولونها لمراحل النمو الفردي للأشخاص.بالمقابل كانت هناك مجهودات أخرى لمجموعة من الباحثين لإبداء أهمية التمثلات الاجتماعية بالنسبة لتكوين الأفراد لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه.

ولكن ومهما كان مجال البحث بالنسبة للميكانيزمات النفسية أو الاجتماعية التي تتحكم في مفهوم التمثلات فإن النقاش الذي يريد الفصل مابين السيرورات الفردية و الجماعية ليس له معنى لأن التمثلات تنشأ داخل العلاقات التي تتكون بين الفرد و محيطه الاجتماعي.

أما في المجال التكويني، فإن الأبحاث التي قام بها ج.بياجي ركزت على منشأ التمثلات في سياق متصل مع التطور الحسي الحركي والذي تكون وظيفته الأساسية إقامة علاقات مع العالم الخارجيوتظهرالتمثلات كاستدخال للمخططات الحسية الحركية أين يكون التقليد هو الوسيلة الانتقالية للمرور من مرحلة الحسية الحركية إلى مجال الرمز وهو ما يفسر منشأ الصورة التي تكون عبارة عن تقليد مؤجل ومستدخل.

بعد ذلك انصب اهتمام بياجي على دور الإدراك وتأثيره على المستوى المعرفي الحدسي وبالتاليفالتمثلات بالنسبة لبياجي واكتسابه الاجتماعي يأتي مع التقدم في السنوهو بذلك يعني بأن الطفل ليس بوسعه التكيف مع السلوكيات الاجتماعية إلا عندما يكون قادرعلى الخروج من التركيز الذاتي وإقامة علاقات مع الآخرين مبنية على العلاقات المتبادلة.

4.1 ه. فالون***H.Wallon*:**

بالنسبة لهذا الباحث فان التمثلات هي عبارة عن سيرورة توسيط ما بين الفرد و محيطه الاجتماعي و هي تمثل كعامل لحل التناقضات التي تطبع علاقة الفرد بالمحيط الاجتماعي، فالمجتمع بالنسبة للفرد هو عبارة عن حاجة عضوية[1].

من وجهة نظر فالون هناك علاقة تربط شخصية الطفل و نموه المعرفي، أين تجد جذور هذه الشخصية في التطور الانفعالي والذي يأتي بعد الاندفاعات الحركية خلال المراحل الأولى من الحياة، فالاستجابات الانفعالية تعد من بين التبادلات الأولية مابين الرضع و محيطه الإنساني وتعد شروط نشأة التمثلات في التقليد والخيال و يعد بدايتها على أساس تطور اللغة و تطور الوظيفة الرمزية.

ومن جهة أخرى فإن التمثلات لا تجد تفسيرا كليا من ناحية التطور الفردي وحسب، فنشأة الأنا لا يمكن لها أن تتم بدون مواسطة الآخر في عملية تفريقية بالتدريج[2]و يعد الوعي بالذات قفزة نوعية يتم من خلالها ظهور تمثلات تعبر عن الإحساس بوجود مواضيع ووعيها.

5.1سيجموند فرويد***S.Freud*:**

مفهوم التمثلات في التحليل النفسي يظهر ثلاثة أبعاد أشار إليه فرويد من خلال أعماله[3].

1.5.1 التمثلات:*dieDartarlellung*

وهي تعبر عن التمثلات للمواضيع داخل الحيز النفسي و التصور البصري الذي يحمل صورا لهذه المواضيعوبشكل أصلي يتعلق الأمر بموضوع خارج الحيز النفسي والذي لم يكن موضوعا و الذي يتم وصفه وتصويره.

2.5.1 التمثلات*DIE VORSTELLING:*

وهو يعني إما محتوى أو سيرورة لعمل معرفي.

3.5.1التمثلات*vorstellungsreprasentanz:*

تدل على تفويض النزوات في ميدان التمثلات.

بالنسبة للنظرية الفرويدية هناك عاملين مختلفين ومتشابكين بالنسبة للتمثلات النفسية للنزوة الأولى تكون مرتبطة بعامل تصويري، مفهومي (التمثلات محل الدراسة) والثانية تنطلق من التداعيات النفسية (الكيفية) لكميات الطاقة النزوية و تغيراتها العاطفة.

في سنة 1915 قام فرويد بوضع تفرقة ما بين تمثلات المواضيع و تمثلات الكلمات، ففي كتابه ميتا بسيكولوجي كتب فرويد ما يلي: التمثلات الواعية تندرج تحتها تمثلات الأشياء بالإضافة إلى تمثلات الكلمات التي تقابلها، بينما التمثلات الغير شعورية فهي متعلقة بتمثلات المواضيع فقط[4].

1.H. Wallon : les origines du caractère chez l'enfant P.08.

2.Le rôle de l'autre dans la conscience du moi article extrait du journal égyptien de psychologie H.Wallon in enfance

3.R.KAES, Psychanalyse et représentation sociale in les représentations sociales S/D D.Jodelet P.106-110.

4.S.Freud, Métapsychologie, éd Gallimard,1976.P.118

وللتذكير فإن تمثلات الأسماء تنطلق من الإدراك البصري للمواضيع و التي تكون مرتبطة بالمجال اللاشعوري، بينما تمثلات الكلمات فهي مرتبطة بالإدراك السمعي للأشياء و التي ترتبط بالمجال ما قبل الشعور والشعور.

بالتالي فإن نظرية التحليل النفسي اهتمت بنشاطات وأشكال التمثلات المختلفة انطلاقا من الأحلام إلى الأساطير، إلى الإستهامات ونظريات الجنس لدى الأطفال إلى غاية نظام المعتقدات لدى الشعوب الغابرة أو التطورات العلمية أيضا.

فعلى سبيل المثال يعتبر فرويد بأن الأفكار الدينية هي من وحي الحاجة إلى الدفاع عن النفس ضد القوة الخارقة للطبيعة[1]وهو في نفس الوقت عملية إعادة تقديم في عملية تكرار للعلاقة التناقضية بالنسبة للأب، ففرويد كان يقول بأن الحنين إلى الأب هو مصدر الحاجة إلى الديانة[2]، التمثلات الاجتماعية تكون كيفية خاصة للمعرفة،عادةما توصف بأنها معرفة العامية وعلى هذا الأساس نعرفها على أنها نظريات سابقة مرجعية مبنية بناءا متسقا ولكنهاتختلف إلى نظرة الخبير أو المختص في العلوم.

6-1 س. موسكوفيسي***S. MOSCOVICI***:

قام بإعادة صياغته في إطار الدراسة الهامة لموضوع التمثلات الخاصة بالتحليل النفسي خلال (1961-1976)، حيث تم وضع المفهوم في إطار نظري متناسق و متكامل والذي فتح المجال الواسع لسلسلة من الأبحاث الميدانية.

بالنسبة لـ س. موسكوفيسي فإن التمثلات الاجتماعية ما هي إلا طريق لفهم الواقع[3]وتظهر التمثلات في أشكال مختلفة: إيديولوجية، نظرة للعالم، أساطير[4]والتي تكون نتاجو محل تقاسم ما بين الأفراد المنتمية لنفس المجموعة بالنسبة لموضوع معين.

الوظيفة الأساسية للتمثلات الاجتماعية هي تفسير الواقع المحيط بنا من جهة من خلال توظيف العلاقات الرمزية و من جهة أخرى إعطاء تفسيرات خاصة، هذه الوظيفة المكونة للعالم تصبح ممكنة من خلال سيرورتين أساسيتين والتي تحددان خصوصيات التمثلات الاجتماعية ويتعلق الأمر بـ: الموضعةl'objectivationوالإرساء[5]l'ancrage.

1-6-1 الموضعة***: l'objectivation***

و هي عبارة عن سيرورة يتم من خلالها تجنيس مفهوم مجرد، بحيث يتم إدخال عليه سلسلة من التحولات ليصبح ملموس، في هذا المجال تتدخل ظاهرتين في العملية[6]:

1-1-6-1 الاختيار عن طريق الإدراك الحسيفصل السياق***:La sélection perceptive***

1.S.Freud, L'avenir d'une Illusion, éd P.U.F 1991 P.29.
2.Ibidem P.31.
3.Serge Moscovici. La psychanalyse son image et son public P.42.
4.Ibid. P.47.
5.Ibid. P.107.
6.La Pensée Sociale C.Guimelli P.U.F 1999 P.65.

والذي يتميز بوظيفة تصفية المعلومات المتواجدة والتي تقوم أساسا على حسب المعايير النمطية : فالمعلومة المتلقاة هي المعلومة الموافقة لقيم المجموعة.

2-1-6-1فصل السياق *La décontextualisation:*

فأجزاء المعلومة المختارة يتم فصلها عن الصيغة الأولية بدون أخذ بعين الاعتبار السياق الذي تتواجد به وبالتالي يمكن لهذه المعلومة أن تأخذ مكانا في معنى إجمالي تكون موافقة لتطلعات المجموعة.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فهي تقوم ببناء مفاهيم مختارة من أجل بناء مفاهيم صورية للتمثلات، هذه الأخيرة تتكون فقط من مجموعة من المفاهيم المنسقة بصفة معنية لتعطي الطابع الأساسي للتمثلات، بعد التكوين تصبح لدى النواة الصورية مكانة قناعات يصعب مناقشتها لدى الأفراد.

2-6-1الإرساء *L'ancrage:*

الإرساء مهمته الأساسية هو تثبيت التمثلات في السياق الفكري السائد، إذ أن البناء المعرفي للمواضيع يقوم دائما على المعتقدات والقيم السائدة لدى المجموعة خلال فترة زمنية معينة.

ج.ك أبريك*J.C ABRIC*و ك. فلامون*C. FLAMANT*خلال الأبحاث المدرجة في إطار إثراء الأرضية النظرية المهيأة من طرف موسكوفيسيوبعد سلسلة من الأعمال المتعلقة بالنواة الصورية، يعتبران بأن التمثلات تكون منطلقة من نواة أساسية تكون وظيفتها بنيوية وبالتالي فإن الأجزاء المعرفية المكونة له تكون ضمن مجموعة من العلاقات القوية والذي تكون بدورها نواة تفسيرية سائدة.

7-1/نظرية النواة المركزية *La théorie du noyau central :*

بالنسبة لهذا التوجه فإن مكونات سيرورة التمثل ليس لها نفس الأهمية وبالتالي يتعين علينا معرفة وفهم التمثلات من الناحية التنظيمية،بحيث يفهم درجة التدرج الهرمي للأجزاء المكونة و العلاقات السائدة بينها.

بالنسبة لـ ج ك أبريك فإن التمثلات الاجتماعية هي عبارة عن نسق سيكولوجي معرفي يمثل تنظيما خاصا، فهي مهيكلة حول نواة مركزية مكونة من عدة أجزاء مقيدة والتي تعطى لها معنى (الوظيفة المولدة*Fonction génératrice*).

هذه النظرية تكتسي أهمية منهجية أساسية بحيث أنها تسمح مبدئيا بالبحث عن المكونات الأساسية للنواة المركزية للتمثلاتوللتدقيق أكثر في محتوى هذه النظرية، يمكن القول بأن المحتوى وحده لا يكفي، بحيث أن نوعية تنظيم هذا المحتوى هي التي تعطي معنى للتمثلات الاجتماعية ويتعين القول بأن درجة التناسق يتمثل في نواته المركزية.

موغي و كاروقتي*Mugny et Carugati*يتكلمان عن النواة الصلبة و دويز*Doise.W*عن مبدأ تنظيمي، بالنسبة لهؤلاء الباحثين فإن هذه المفاهيم توحي بأنها متكافئة بالرغم من أن الفرق يكمن في المقاربات المنهجية والمعنى الدلالي قد يختلف نظرا لأن الطريق من أجل فهم هذه الظواهر مازال في بدايته.

يمكن القول بأن جميع الأبحاث القائمة على دراسة التمثلات فهي ترتكز أساسا على الإنتاج اللفظي للأفراد، الجماعات وقد تتبادر للأذهان أسئلة عديدة لعل الأهم منها : هل ما يقوم به الأفراد والجماعات يعكس فعليا الرأي الحقيقي لهم؟، هل محتوى المقابلات الذي تبنى عليه الأبحاث موافق ومطابق لقناعات الأفراد مثلما توحي إليه أقوالهم؟.

8-1/فرضية المسافة الصامتة[1] *Hypothèse de la zone muette*

1.Méthode d'étude des représentations sociales P. 67 S/D J.C ABRIC.

هذه الفرضية مبنية على فكرة بناءة مفادها بأنه في خلال التعبير مابين الأفراد والجماعات يكون هناك حيز صامت، هذا الحيز مكون من مجموعة من التمثلات الاجتماعية الغير معبر عنها من طرف الأفراد والجماعات لأن طريقة الاستجواب لم تأخذ بعين الاعتبار التدابير اللازمة لتناول هذا المظهر.

ويكون مضمون هذه التمثلات الصامتة معاكسة للأعراف والتقاليد العامة في الجماعات، الأفراد ويمكن تعريف هذه المسافات الصامتة بأنها مجموعة من المكونات المعرفية أوالمعتقدات والتي بالرغم من أنها حاضرة، فإنها لا تكون جاهزة من أجل الإفصاح عنها نظرالاعتبارات أخلاقية أو إيديولوجية منافية للمعتقد السائد.

ويمكن القول بأن فرضية المساحة الصامتة تندرج ضمن مجموعة الأبحاث النظرية البنيوية (ج ك أ بريك 2002) وهو ما يأتي في نفس سياق الأبحاث المجرات من طرف ك. قيمي *C. GUIMELLI* (1998والتي تتحدث عن المخططات النائمة*les schémas dormants* حيث أن هذه المخططات تراعي ظروف المحيط السائد ولا يتم الإفصاح عنها بكل سهولةومن الناحية الإجرائية يمكن القول أن هناك نوعان من المخططات النائمة:

<u>الأولى:</u>المخططات النائمة لأنه لا يوجد ما يثير استجابتها.

<u>الثانية:</u>المخططات النائمة التي لا يمكن الإفصاح عنها عندما تكون منافية للمعتقدات الجماعية وبصفة عامة يمكن القول بأن المجهودات النظرية الحديثة النابعة من الأعمال التجريبية القائمة على محاور أبحاث مختلفة توجز بيان البعض منها.

- الصحة و المرض هرزليش(*Herzlich*1969)
- المجموعة المثالية ، فلامون(*C. Flamant*)
- المرض العقلي(*D. Jodellet*1985)
- الذكاء و 1985التطور(*Mugny et Carugati)*

الفصل الثاني:مسألة الأب

1. تأسيس الأب

1.1أب الصلوات العائلية *Le pater familias*

2.1صورة الأب القوي:*La figure du père à poigne*

3.1صورة الأب المعوز:*La figure du père carent*

2. أنتروبولوجية الأبوة

1.2الأبوة البيولوجية

2.2الأبوة الاجتماعية

3.2الأبوة السلالية:*Paternité généalogique*

3. الأبوة من جهة نظر التحليل النفسي: *La paternité et psychanalyse*

1.3 الأب الفرويدي

2.3 الأب اللاكاني

1.2.3 الأب الحقيقي

2.2.3الأب الخيالي

3.2.3 الأب الرمزي

4.2.3سقوط اسم الأب

4. الأب الحاضر ج لوكامو

5. مسألة الأب في الثقافة العربية الإسلامية

6. تحولات اجتماعية ومسالة الأب في الجزائر

الفصلالـثانـــــــــي:

مـسألـــــةالأب:

1) تأســـــيس الأب:

لايمكن لنا فهم مسألة الأب اليوم إذالم نتطرق لها من وجهة نظر تاريخية، فمؤسسة الأب عرفت الكثير من التقلبات والعديد من الهزات التي نحاول إيجازها في هذه الفقرة.

1-1/أب الصلوات العائلية:*Le pater familias*

من خصائص الأب في هذه الحقبة هو القوة المطلقة الموكلة للأب والذي يمتلك بموجبها حق وهب الحياة أو نزعها من الطفل مهما اختلف سنه،أما الأم فهي كانت تعتبر كبطن مهمته الأساسية إنجاب الأطفال.بعد الزواج كان الأب يتصرف وكأنه مالك لبطن الأم وكل ما يحتويه هذا الأخير من أطفال، أما الطفل فلم يكن له وجود إذ لم يتم قبوله من طرف الأب.

في الإمبراطورية الرومانية القديمة وعند اليونان أيضا كان يتم طرح الطفل المرفوض على الساحات بدون العناية به ويبقى على هذه الحالة إلى غاية مغادرته الحياة، أما عند العرب في عصرالجاهلية فكانت ظواهر شبيهة مثل وأد البنات وهن أحياء.

وقد منعت الديانات السماوية هذه الجرائم في حق الأطفال والتي أظهرت الأبحاث الأنتربولوجيةمظاهرشبيهة لها في المحيط الهنديوحسب الأبحاث التي قامت بها مرغريت ميد*M. Mead*عند الأرابيش مثلا، فالأب ينتظر على بعد خطوات من محل الإنجاب وبمجرد إبلاغه بجنس الطفل فإن إجابة الأب تكون وجيزة أغسلوه أو لا تغسلوه.

إذا صرح الأب بوجوب غسل الطفل توهب له الحياة والعناية[1]ويحدث في كثير من الأحيان عندما تكون عدة بنات في العائلة، فإن الأب يرفض المولودة الحديثة ويتم التخلي عنها بدون قطع الحبل السري وينتج عن هذا الإهمال وفاة الأطفال أو قتلهم نظرا للرفض الذي أبداه الأب.

مع مطلع القرن19 وبلوغ الثورة الصناعية في أوربا أوج قوتها، بدأت تعرف مكانة الأب نوعا من التراجع.

2-1/صورة الأب القوي:*La figure du père à poigne*

في فرنسا على سبيل المثال القانون المدني لـ 1804 أعاد لسلطة الأب مكانتها التي فقدها بعد الثورة، فبالنظر إلى هذا القانون فإن قوة الأب كان مصدرها الطبيعة، بحيث أن الخاصية الأساسية في مكانة الأب كانت لا تضاهى[2].

ولكن التطور الصناعي يتطلب حرية أكبر للأبناء اللذين لا يستطيعون البقاء تحت سلطة الأب ومواصلة مشوار التطور من جهة أخرى وعلى هذا الأساس ظهرجليا للعيان بأن سلطة الأب قد حوصرت عن طريق فتح مجال أكبر لحرية الأبناء الراشدين للقيام بالمهام المنوطة بهم في كنف الحرية.

3-1/صورة الأب المعوز:*La figure du père carent*

1.*Margaret Mead, Mœurs et généralité en OcéanieEd plan 1963. P 31*
2.*C.Metz, absence du père et séparation éd. Le Harmattan 2009 P : 20.*

إن ضعف الأب والمكانةالتي جاءت عبر عدة تطورات، حيث أن القفزة النوعية التي أحرزتها الثورة الصناعية خلال القرن 19 قد أفضى إلى كسر هذه الصورة، في هذه المرحلة فإن قوة الأب لم تبقى إلا في الأسرة، بالمقابل فإن الدولة مارست الرقابة على هذه الأسرة بحيث رافقت هذه المرحلة تطورات كبيرة نذكر منها ظاهرتين مهمتين وهما:

الأولىظهور نوع من التفريق لشخصية الأب ما بين الأب الحسن والأب السيئ ولسبيل التذكير فإن هذه المسألة لم تكن مطروحة من قبل، لا في القوانين ولا في التصورات الاجتماعية أيضا، فمثلا في القرن 19 كان الاعتقاد السائد بأن الأب السيئ ينتمي إلى طبقة اجتماعية متدهورة اقتصاديا ويكون في أغلب الحال يعاني من فقر كبير بالإضافة إلى التبعية نحو شرب الكحول الخ...

الظاهرةالثانيةوهو بروز اهتمام الباحثين لمسألة العلاقة ما بين الآباء وباقي العائلة وانطلاقا من هذا ظهرت بعد التصورات للأب محل الشك، بالرغم أن هذا الأخير حسب الظن السائد آنذاك كان مرتبطا بطبقة اجتماعية ضعيفة.

وبالمقابل فإن الأب ترك وظيفة التربية للأم، التي بدورها ألجأت هذه الوظيفة للمؤسسات الحديثة كالمدارس والمعاهد التعليمية بمختلف أنواعها، مع نهاية القرن 19 فإن وظيفة الأب فقدت الكثير من هيبتها، بحيث أنالرسوخ القديم لفكرة الأب القوي شهدت الكثير من الأزمات وبدأت تظهر بعض الملامح توحي بأن هذه الوظيفة بدأت في الزوال مع مرور الوقت.

2) أنثروبولوجيا الأبوة *Anthropologie du père*

منذ قديم الزمان كانت مسألة الإنجاب محيرة للأذهان، من الزوجين الرجل أو المرأة هو الذي يملك قوة الخلق؟ من يصنع الطفل الأم أو الأب؟مجالات البحث في علم الأنثروبولوجيا بمختلف تياراته يؤكد وجود تغيرات هامة ما بين المجتمعات بخصوص هذه المسألة، فالبعض منها يؤكد على تقارب الأجناس الأبوية والبعض الآخر يؤكد على الفروق الجنسية مابين الزوجين.

وبالتالي فإن مكانة الآباء أخذت حيزا أكبر من الاستقلالية بالنسبة لمكانة الأم، الأم كانت وحسب تركيبتها الجسمية أقرب إلى الوظيفة البيولوجية والتي تؤهلها إلى حمل الطفل وإرضاعه، أما فيما يخص بعد المجتمعات الأخرى فإن الأب كان يحظى بمكانة متقاربة مع الأم كما يدل على ذلك ظاهرة الرجل بالحمل أو ظاهرة التحضين النفسي*couvade*.

كما أن بعض الأبحاث ركزت على أن بعض المجتمعات تجهل الكثير عن الأبوة البيولوجية ومنه يمكن القول بأن الاختلافات الثقافية بالنسبة للتمثلات ومشاركة الرجل في تكوين الطفل، هو أمر هام ولكن المتغيرات الثقافية والتي تهتم بتقسيم الأدوار العائلية للعناية بالطفل هو أمر أكثر أهمية.

1-2/الأبوة البيولوجية*La paternité biologique*:

اكتشاف تكوين الطفل عن طريق الالتقاء ما بين الرجل والمرأة في مسألة الإنجاب وهي عبارة عن معرفة علمية حديثة، أما أهمية التزاوج فهي بعكس ذلك معرفة قديمة ولكنها كانت مبنية على اعتقادات مختلفة.
فبالنسبة انكساقور*Anaxagore (500-428 av J.C)*،فإن تحديد جنس الطفل يعود إلى الأب، لأن الطفل يأتي من الخصية اليمنى الأكثر سخونة، أما البنت فهي تأتي من الخصية اليسرى.

أما أمبيدوكل*Empédocle (V av J.C)* فإن سخونة الرحم أثناء فترة العادة الشهرية هما المسئولان عن جنس الطفل، فبالنسبة للحالتين فإن السخونة هي المسئولة عن إنجاب الذكور[1].

أرسطو ينتقد سابقيه ولكنه يبقى على الاعتقاد السائد المتمثل في المقابلة ما بين الساخن والباردولكن بصفة أساسية أكد أرسطو بأن المني لا يقدم أي شيء للجنين وبأنه عبارة عن هواء نفس وقوة.

وقد كان تأثير أرسطو فعالا بحيث أنه جعل الأبوة كمبدأ وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة الأخطاء التي وقعت فيها هذه المعتقدات ولكن النتائج النهائية وافقت ولو جزئياعلى أهم الاكتشافات البيولوجية الحديثة.

إذا كان المني يحتوي على مكونات كيميائية، فإن البويضة كذلك ولكن المني ليس مطابق تماما للبويضة، فأثناء التلقيح تظهرالملايين من الحيوانات المنوية المتحركة (مبدأ الحركة) من أجل تلقيح بويضة واحدة(مبدأ السكون).

اليوم أصبح ممكن استنساخ الخلايا*clonage*من أجل توظيفها في التكاثر البشريوهنا يظهر بأن البويضة عنصر أساسي وأكثر أهمية من الحيوان المنويولأول مرة في تاريخ البشرية فإن العلم يؤكد ما كان اعتقادا سائدا في القديم وهو حصول أجيال من البشر بدون أب.

فإن سكان جزر تروبروين يجهلون تماما كل دور يقوم به الأب للإنجاب البيولوجي للطفل، فبالنسبة لهذه الفئة من السكان البدائيين، فإن الإنجاب ليس نتيجة للعلاقات ما بين الرجل والمرأة، هذا بالرغم من أن التزاوج أمر مهم لفتح المرأة وتمكينها لأن تصبح أما ولكن ليس لإنجاب الأطفال.

مالينوسكي وعند شرحه لهذا المعتقد يتكلم عن جهل سكان هذه القبائل بالعلاقة السببية ما بين الالتقاء الجنسي والحمل الناتج عنه، فمثلا بالنسبة للرجل الذي يعود إلى بيته بعد غياب طويل ويجد طفلا صغيرا عنده فإنه يقبل ذلك الطفل بصدر رحب ولا يخطر بباله أن يتهم زوجته بالخيانة الزوجية.

هذا الباحث أورد شهادات بعض السكان الأصليين لهذه الجزر والذي عاد إلى بيته بعد غياب طويل ووجد رضيعا صغيرا عنده ولم يطرح على نفسه أي تساؤلات نظرا لاعتقاده بأن العلاقات الجنسية ليس لها دخل في الإنجاب. وكخلاصة يقول مالينوسكي بأنه لا يخطر على الرجل برأي من هذه القبيلة أن يشك في سلوك زوجته بالخيانة أبدا[2].

بالنسبة لبعض الباحثين فإن فكرة الأبوة البيولوجية ليست عالمية،فلو صدقنا مالينوسكي *Bronislaw Malinowski*فإن سكان جزر تروبريون يجهلون كل شيء عن التكوين البيولوجي للطفل،فبالنسبة لسكان هذه الجزر فإن الحمل ليس نتيجة للعلاقة الجنسية مابين الرجل والمرأة ففي حقيقة الأمرفإن هذه العلاقة ضرورية للفتح والسماح لها لتصبح أما ولكنها ليست ضرورية بالنسبة للإنجاب.

فمالينوسكي يشرح موقف سكان جزر تروبريون*Iles Trobriandaise*بالنسبة لأطفالهم ويؤكدجهلهم للعلاقة السببية مابين العلاقة الجنسية والحمل الذي ينشأ بعده، فمثلا الرجل الذي يكون غائبا وتحمل المرأة في غيابه فإنه يقبل بصدررحب وبمزاج بشوش الأمر الواقع وفي هذا الصدد يورد مالينوسكي مثال أحد مخبريه من هذه القبيلة البدائية،بأنه وخلال غيابه لفترة مدتها سنة وجد طفلا رضيعا عنده في البيتوقد أشارإلى هذا المثال وكأنه دليل بأن العلاقة الجنسية ليست لها أي دخل في الإنجاب.

1.F. Héritier : Masculin, féminin, La pensée de la différence.Ed Odile Jacob1996 P191.
2.B. Malinowski 1930 : http:// infinit.net/ P115

وهنا يؤكد مالينوسكي بأن الرجل في هذه القبيلة لا يخطرعلى باله أبداأن يناقش في هذه المسالة أو أن يراوده الشك في خيانة زوجته له[1]ومن جهة أخرىفإن العلاقة الجنسية لا تسمح بتكوين طفل،لأن المرأة لاتصبح أما نتيجة للمني الذييأتيها من الرجل وإنما عن طريق الأرواح والقوات الغيبية التي ترمز إلىأوائل القبيلة، هذا الاعتقاد السائد يمتزج مع دم الحيض ليتحول في آخر المطافإلى جنين.

أما بالنسبة للرجل ومباشرة بعد إبلاغه من طرف المرأةبأنهاحامل، فإنه يقوم بتكرار العلاقة الجنسية لأن حسب اعتقاده فإن المني يمنع تدفق دم المرأة ويعطي من جهة أخرى الشكل الذي يجعله بعد الميلاد شبيه لأبيه.

أما الهدف من هذه العلاقات الجنسية المتكررة فهي تغذية الجنين أثناء مدة الحمل ومنه يمكن القول بأن الأب يفتح ويسد المرأةويعطي الشكل للجنين ويغذيه وهنا فإن الرجل ليس هو والد الطفل ولكنه يعطي له اسما وتتكلف عوامل أكثر قوة من الأبكالآلهةوأرواح الموتى والأرواح المرافقة للقبيلة من أجل تكوين الطفل وازدياده[2].

ويثير الباحث ا.ليش*E. Leach*بالنسبة لقبيلة نايار*Les Nayar*جنوب الهند بأن مفهوم الأبوة غائب عند هذه القبيلة وبأن الطفل يتنبه إلى الشركاء الجنسين للأم ويناديهم بأسماء تعني الأسياد، ففي نص شهير يخص المرأة المتعددة الأزواج *Polyandrie*،الميراث وتعريف الزواج فيشير اليش بأن شعب النايار لا يعرفون مؤسسة الأبوة ولا الزواج كذلك[3].

2-2الأبوةالاجتماعية*La paternité sociale*:

ترتبط الأبوة الاجتماعية بالتمثلات الخاصة بالأبوة الاجتماعية،فالأب البيولوجي قد يكتسب حسب المجتمعات وظيفة اجتماعية بشكل رئيسي،ثانوي أو مشتركوفي أحيان كثيرة أخرى قد يجد الأب نفسه مهمشا نتيجة للأعراف والتقاليد التي تفرضها الثقافة السائدة في ذلك المجتمع.

ففي كتاب متعلق بتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة في الهملايا*La polyandrie Himalayenne*لكاتبة نانسي ليفين *NANCY LE VINE*،تطلعنابأن الأبوة هي مسالة تثير الكثير من التشنجاتلنينبا*Nynba* وهو مجتمع**من ثقافة تبثيه شمال غرب النيبال**،فبالنسبة للعادات في هذه المنطقة فإن العلاقات الجنسية للمرأة تكون متعددة مع عدة شركاء جنسين ولكن فيما يخص الأبوةفهي ليست كذلك، فالمرأة تبقى محتفظة في ذاكرتها بتاريخ آخر دورة شهرية وبعلاقتها الجنسية.

بالتالي فهي تمنح الأبوة للشخصالذي تراه بأنهأب لطفلهاولكنعندما يتعذرعليها ذلك فإننينبا ينتظرون ولادة الرضيع للتطلع إلى ملامحه ولمعرفة آثار الاشتباه مع الأب البيولوجي ومنه تكون الأم هي التي تقرر بأبوةالأب من عدمه.

ويكون الرجل الذي يتم تعيينه كأب، عليه أن يقوم بمجموعة من الواجبات اتجاه الطفل وهو يعرف في سن مبكر من هو الأب دون الشركاء الجنسيين الآخرين لأمهويكون منح الأبوةللأطفال من طرف الأم منبع للصراعات،فالأمبإمكانها تعيين الآباء بدل الآخرين ومن جهة أخرىفإنالأخالأكبر يتمتع بنوع من السلطة بينما الأخالأصغر لا يملك أي نفوذ[4].

ففي مجتمع شهير من حيث الاستطلاعات الانتروبولوجية ونقصد جزر تروبريون،فإنالأبإنسان عاطفي وحامي للطفل ولكن عندما يكبر الطفل فسيتم تلقينه بأنه لا ينتمي إلى مجموعة الأب وبأن رجلا آخر ينافس الأب

1.Maurice Godelier, il faut plus qu'un homme et une femme pour faire un enfant.In au fondement des sociétés humaines P : 124-125.

2.B.Malinowski op cité 116.

3.Anthropologie de la famille et de la parenté Robert Deliège ED.Armand Colin Paris P : 128-129.

4.Maurice Godelier, au fondement des sociétés humaines éd.Albin.Michel Paris P : 126-128.

من ناحية الأهمية ويتعلق الأمر بالخال والذي يعيش في منطقة أخرى بعيدة عن منطقة الأب،هنا يذهب الطفل للعيش مع خاله مع الاحتفاظ بعلاقات مودة الأب،فإن كان الأب يعاني من الإنكار الاجتماعي لأبوته البيولوجية،فإن هذا لا يعني بأن الأب لا يلعب دوره المنوط به في مجال تربية الأطفال وتعكس كلمة تمالا*Tamala*في لهجتهم الأصلية زوج الأم والذي يقوم يحمل الطفل بين ذراعيه و تساعد الأملإطعامه وتربيته[1]وتعد أهميةالأب في تربية الأطفال موافقة لمبدأ المساواة ما بين الرجل و المرأة في هذه القبائل.

أما عند قبيلة النا*Les Na*وهي أقلية عرقية تعيش على الفلاحة والرعي في الجبال التي تقع على حدود يونين الصين *Yunnande Chine*، فإن مجموعات الأبوة تكون سلسلتها من ناحية الأم*Matrilignées*مكونة من جميع الأبناء الذين ينتمون إلىأم واحدة وعريقة،أما كلمة الأب فهي غير موجودة في تعبير قبيلة النا وأن الأب البيولوجي ليس له أهمية ولكن لايوجد داعي لمعرفته أصلا ولهذا فإنالآباء ليس لديهم أطفال من ذواتهم في سلالة معينة وأن الخال يلعب دورا كبيرا يضاهي دور الأب ويتعامل مع الأطفال بنفس الأسلوب بغض النظر عن الأب الحقيقي لهم.

2-3الأبوة السلالية:*Paternité généalogique*

أكد علماء الأنثروبولوجياعلى أهمية العلاقة مابين الآباء والأبناء واعتبروها جوهر وأساس الأبوة على وجه العمومفي هذا الإطار فإن أغلبية المجتمعات اعتمدت علىالأبوة الخطية الوحيدة *Parenté unilinéaire*كأن تنتقل المكانة الاجتماعية سواء من ناحية الأبأوالأم وفي حالة المجتمعات الأبويةفإن الفرد ينتمي إلى قبيلة أبيهأماالأم فهي تأتي في مجموعة أخرى.

وبالمقابل في عدد كبيرمن المجتمعات اعتمدت على سلالات من جهة الأم *Mode de filiation matrilinéaire*وتجدر الإشارة بأن نوع هذه العلاقات غير مرتبطة أساسا بتوزيع السلطة ونقل الميراث لفائدة النساء وفي هذه الحالة نتكلم عن علاقات تبنى مابين الطفل والخال*Filiation avunculinaire*وفي مثل هذه الحالات، فإن ممتلكات الرجل لا تذهب إلى أبنائه بل إلى أبناء أختهوأن هناك علاقات مختلطة *Filiation cognatique*أي أن المبدأ السلالي يأتيإما من ناحية الأبأوالأم كما هو الحال بالنسبة للكثير من الشعوب في غابة الأمازون،فالأب عنده مكانة حسب الأنساق المتعارف عليها ثقافيا ويمكن تلخيص هذه الفقرة بمقولة فرانسواايريتي *F.Héritier*والتي تقول: بأن كل الاحتمالات التي لا يمكن أن نعتبرها حديثة قد تم تجريبها من طرف مجتمعات خاصة ولكي تعمل كمؤسسات،فلابد أن تكون محمولة وبدون غموض بقوانين اجتماعية مسجلة في البنية الاجتماعية وموافقة للاستهام الاجتماعي وتمثلاتالأفراد والهويات[2].

3.الأبوة من وجهة نظر التحليل النفسي: *La paternité et psychanalyse*

تنتمي مسالة الأبإلى نطاق مفهومي معقد،فالانتروبولوجيون،محللون نفسانيون ومؤرخوالقانون كلهم مجمعون بأن الأبوة عبارة عن ابتكار إنساني لا يمكن تقليصه إلى العلاقة البيولوجية، فحسب أبحاث متعددة المجالات يتضحبأنه مهما كانت المجتمعات تظهر وظيفة أساسية متعلقة بتحريم زنا المحارم *La prohibition de l’inceste*.

س. فرويدكان يعوض كلمة بيولوجيا بعبارة غريزة طبيعية تحث إلى زنا المحارم، فهي بحاجة إلى قوانين للحد من هذا الميل السيئ، أما كلود لفيستروس*C.Lévi Strauss*فقد حاول تحديد معايير تسمح بالتفرقة مابين ماهوطبيعي وماهو ثقافي.

1.F.Héritier. La cuisse de Jupiter P : 272.Masculin/Féminin

2.C.L.Strauss, les structures élémentaires de la parenté 2ème édition P : 09-10.

ففي القواعد التي تحكم التبادل الحاصل أثناء الزواج يظهرالقانون الأساسي المتعلق بتحريم زنا المحارم وهو بمثابة الخطوة الأساسية التي تسمح بالمرور من الطبيعة إلىالثقافة[1]،الطبيعي لابد له من قوانين عالمية تحكمه.

3-1الأبالفرويدي*Le Père Freudien :*

بالنظر إلى بعض الجوانب،فإن نظرية التحليل النفسي استطاعت من تكييف مصطلح الطبيعة عند الإنسان حسب المعايير المطبقة في علم الأنثروبولوجيا وتكون إشكالية البحث متعلقة بالمعطى النفسي الذي تظهر مؤشراته حسب النظام الاوديبي.

وفي هذا الإطار فإننا لن نحاول معرفة جميع النصوص الفرويدية التي تمس مسألة الأب ولكننا نحاول التطرق من قريب إلى أهم الفرضيات المطروحة من طرفه لمواصلة البحث النظري في هذا الموضوع.

في 21سبتمبر 1897 وبخصوص رسالة موجهة إلى فليس*Fliess*يقول فـرويد بأنه تفاجأ بشأن الأب إذ يجب اتهامهفي جميع الحالاتبالشذوذ الجنسي[2].

ثلاث سنوات بعد ذلك يدخل فرويد مفهوم عقدة أوديبفي كتابه تفسير الأحلام وبعد ذلك يصبح الأوديب ركيزة أساسية لنظرية التحليل النفسي، ففي الفصل المسمى :الحلم بموت الأشخاص المقربون، يقول فرويد بأن الطفل يمر بفترة يحس فيها بإحساس الحنان نحو أمه وبعاطفة الكره اتجاه أبيه، الذي يظهر له كمنافس.

من أجل تقوية نظريته،يستدل فرويد بأسطورة أوديبالواردة في كتاب سوفوكل *Sophocle* فبالنسبة لفرويد فإن أوديب الذي قتل أباه وتزوج أمه لم يقم إلا بتلبية رغبة الطفولة الملحة.

وعليه يمكن القول بأن أسطورة أوديب تكون كاستجابة لاستهاماتنا بالنظر إلى حلمين أساسيين للطفولة،قتل الأب وإقامة علاقة جنسية مع الأموبما أن هذا الحلم يطرح اشمئزازعند ذات الشخص الراشد،فإن الأسطورة تدخل نوعا من القلق والاعتداء على الذات أوديب يفقع عينيه من هول ماجرى له.

دائما وحسب فرويد فإن الطفل ليس بإمكانه تجاوزعقدة أوديب،إذا لم يرتقي إلى مرحلة تقمص شخصية الأب وذلك بعد المرور بأزمة الإخصاء*Complexe de castration*،بمعنى آخر عندما يواجه رفض استعمال ذكره كأداة لتلبية نزواته نحو أمه،فالطفل يخاف من إخصائه تحت طائلة تهديدات الأب، كردع لنشاطاته الجنسية وينتج لدى الطفل قلق اخصاء كبير.

أما بالنسبة للطفلة فإن غياب العضوالذكري فهو يتم الإحساس به كضرر والذي تحاول أما إنكاره، تعويضه أو تصليحه،فعقدة الإخصاء مرتبطة ارتباطا وثيقا بعقدة أوديب وبالأخص بوظيفته المانعة لزنا المحارموقد أدى تحليل حالة الطفل*Hans*إلى اكتشاف مركب الإخصاء.

حيث أن الأب هو الشخصية الأساسية التي تنشأ منها هذه المخاوف والتي يتم تصويرها في ذهن الطفل من طرف الأشخاص المحيطين بهوقد تحدث فرويد بخصوص هذه المخاوف وشرحها لكونها مخاوف من الأب

1.S.Freud, la naissance de la psychanalyse éd PUF 2009.
2.S.Freud, cinq psychanalyses P : 122.

ومخاوف على الأب الأولي تنحدر من كراهية الطفل لأبيه والثانية تأتي من الحب والحنان الذي يأتي كاستجابة لتغذية الحقد الدفين ضده[1].

من جهة أخرى فَإن الصراع الاوديبي ليس بالحقيقي وإنما هو استهامي،نظرا لأن الأم اختارت مسبقا الأب وبأنه ليس بإمكانها النزول عند رغبات الطفل، إلا عن طريق تهدئة للروع غير مرتبطة بالنزوات الليبيدية الجنسيةوبعد أن يأخذ الطفلعلما بعدم جدوى مجهوداته فإنه يحاول تخطي قلق الإخصاء،كخطوة هامة للتخلي عن الموضوع الليبيدي الأولي.

*التخلي عن محاولة إغراء الأم جنسيا والتنازع والمنافسة مع الأب.
*محاولة إيجاد مواضيع تعويضية، لأن تصفية الصراع الاوديبي يترافق مع التخلي بدون تحطيم المواضيع السابقة الاستثماروهو ما يسمح للطفل بأن يقيم الحداد عن هذه المواضيع وذلك بتحريرالطاقة الليبيدية لإعادة استثمارها في مواضيع جديدة[2].
وبالمقابل تقع حركة أوديبية ثانوية ترافق مرحلة المراهقة والتي تمنح للشاب فرصة إضافية لحل المشكل الاوديبي بصفة تلقائية، ففي التهديد بالإخصاء يقع تقوية مبدأ منع زنا المحارم وهو ما يؤسس لوظيفة القانون بمنظور إنساني،كما يدل على ذلك التصور الأسطوري الذي تطرق له فرويد في كتاب التوتموالتابو*Totem et Tabou*.

أين صور الأب البدائي زعيم الزمرة القديمة والذي كان يستأثر لنفسه بجميع العلاقات الجنسية ويهدد أبنائه بالإخصاء وبالتالي يمكن القول بأن موضوع قتل الأب كمصدر لتابوهات وزنا المحارم كان منطلقه الحياة في الزمرة الإنسانية والتي ظهرت بعد هذه الحادثة الأولية.

ويتكرر هذا الطرح في الكثير من مؤلفات س فرويد فنجده في كتاب الرجل موسى والديانات السماوية *l'homme moïse et monothéisme* مرورا بمأزق الحضارة*malaise dans la civilisation* ومستقبل وهم*l'avenir d'une illusion*.

فبعد تأثره بداروين *Darwin* يصور فرويد الأب على أنه رجل قوي يمتلك جميع النساء في الزمرة وفي يوم من الأيام يتفق الأبناء ضده ويقومون بقتله،هذا العمل البدائي وضع الممنوعات الأساسية للإنسانيةوهما منع القتل ومنع زنا المحارم،على اثر قتل الأب وأكل أجزاء جسمه، قام الأبناء بتقديم أول الأضاحي الدينية في الإنسانيةوبعد أكل الأب تم التقمص إلى شخصيته من جهة وهو مازاد في تأسيس هوية الأبناء المشتركة.

ولكن و بعد القيام بعملية القتل والأكل يصبح الأب أكثر قوة وهو ميت[3]،لأنه وبالرغم من أن الأب المكروه الذي كان يتعارض مع نزوات الأبناء إلا أنهم في نفس الوقت كانوا معجبين به ويحبونه، فمن هذا الحب والإعجاب ظهر مركب وإحساس كبير بالذنب ومحاولة التوبة من هذا الذنب وهما شعورين مهمين ومكانهما مرتبط بصورة وثيقة بالممنوعات الأوديبية التي تم تناولها في أسطورة الأب البدائي.

ومن خلال هذا التقديم والنتائج المترتبة عن هذا القتل البدائي، بالإضافة إلى أن الأبناء قاموا بامتلاك صفات قوة الأب عن طريق ابتلاع جثته،فإنهم عمدوا إلى إعادة هذه العملية الرمزية بإسقاطهم لنفس الشعور على

1.J.Bergeret, Psychologie pathologique P : 30.
2.S.Freud, Totem et Tabou P : 164.
3.Ibid.

حيوان توتمي *AnimalTotémique*والذي يتم اختياره كبديل رمزي للأبوفي آخر المطاف وحسب الطرح الفرويدي فإن المجتمع يستند على عملية القتل البدائية وأن الديانة مبنية على الإحساس بالذنب ومحاولة التوبة منهوأن الأخلاق مرتبطة بالحاجيات الأساسيةو للمجتمع وما تبقى مرتبط بالإحساس بالذنب[1].

وقد استساغ فرويد هذه الفرضية في فصل سيكولوجيا الجماعات وتحليل الأنا سنة1921.*Psychologie desfoules et analyse du moi*بحيث قام بتشبيه الجماعة إلى المجموعة البدائية وقام بدراسة التنويم المغناطيسي وكأنه مجموعة مقسمة إلى قسمين[2]:فالذي يقوم بالتنويم المغناطيسي يوقظ صورة الأب البدائي ذي الشخصية المخيفة ميراث الطفولة الأولى.

3-2الأب حسب جاك لاكان*Le père lacanien*

داخل الإطار التحليلي ذي الوجهة اللاكانية فإن الأب معرف على أنه وظيفة قوة ومزاج،حسب هذا الطرح فإن الأب هو عبارة عن وظيفة تواسط *médiatise* علاقة الطفل بأمه وعلاقة الأم بطفلها،يؤكد جاك لاكان بأن اسم الأب هو حامل الوظيفة الرمزية منذ قدم التاريخ والذي يقرن الفرد بصورة القانون[3].

ولدراسة مسألة الأب ينطلق لاكان من فكرة الفرويدية المتعلقة بأسبقية القضيب والتي لم يغيرها فرويد خلال جميع أطروحاته النظرية،ففي المرحلة ما قبل الأوديبية فإن العلاقة بالأم هي التي تسيطر وهي علاقة حب فالأم هي الموضوع الليبيدي الأولي بالنسبة للطفل ولكل هذا الموضوع غير مكون في شكل تمثلات[4].

ونظرا لتوالي الإحباطات حتى تبدأ صورة الأم في التشكل، لتصبح تدريجيا الأم الحقيقية ويصبح دور الأب هو قطع العلاقة الاندماجية بينهما والتي دامت خلال الأشهر الأولى بعد الإنجابوإذا استمرت هذه العلاقة الاندماجية أكثرما يستوجب ذلك مراحل تطور الرضيع، لتصح علاقة معيقة لتطور نفسيته إن لم نقل مميتة.

سنوات بعد ذلك،يتحدث جاك لاكان عن وظيفة القوة والمزاج في علاقة التمزق هذه وكذا العلاقة التناقضية التي تؤسس العلاقة الأولية بين الأم والطفل، فالأب يدخل المشهد ويتمكن من تحقيق وضعية الشخص الثالث الذي يسمح بتحقيق التفرقة[5] جاك لاكان ومن خلال وضعه لأطروحته النظرية ما بين (1953-1960) قام بشرح البعد النفسي لوظيفة الأبوقد وضع مفاهيم الأب الرمزي الأب الخيالي والأب الواقعي.

3-2-1الأبالواقعي *réelLe père*

التنظير لمفهوم الأب الواقعي أمر في غاية التعقيد،فجاك لاكان تكلم عن دخول الأب الواقعي في عقدة الإخصاء وليس في عقدة أوديب وقد تحدث عن مراحل ثلاثة في كتابة عن تكوينات اللاشعور*les formations de l'inconscient*فالأب الواقعي هو الأب الذي يتعايش مع الطفل في حياته اليومية وهو زوج الأم ومحقق الوعد الاوديبيوهو ما يفسر لنا بأن العلاقة الأبوية لا تكون مباشرة مابين الطفل وأبيه بصيغة أخرى.

فالرابطةالأبوية لا يتم تعريفها عموديا ما بين الطفل و أبيه وإنما من خلال علاقة ثلاثية تكون ناتجة من توجيه نزوات الأب.

1.S .Freud, Totem ET Tabou P: 168.
2.S .Freud,la foule et la horde primitive in essai de psychanalyse P : 149-156.
3.J.Lacan, fonction et champ de la parole et du langage en psychanalyse in écrits. J.Lacan P : 278.
4.J.Lacan, le séminaire, la relation d'objet P : 223.
5.J.Lacan, propos sur la causalité psychique in écrit P : 182.

على هذا الأساس فإن الأب الواقعي سيسمح للطفل للقيام بالحداد للأب المثاليوهذا أمر هام جدا لتفادي أن يبحث الابن فيما بعد عن شيخ،زعيم ،درويش،نموذج سياسي أوديني...الخ.

وهنا يمكن طرح جملة من الأسئلة لها علاقة بالبعد الثلاثي للعلاقة الأوديبية، على سبيل المثال إذا كان الأبوان مطلقان فإن نزوات الأب لا تكون موجهة نحو الأم وإن كانت هذه الروابط النزوية موجهة إلى امرأة أخرى فان علاقة الطفل وأمه ليست مأخوذة بعين الاعتبار في المثلث الأوديبي ،وهو ما يجرنا للحديث إلى الاعتراف بالخلل السائد مابين علاقات الأبوة والعلاقات الزوجية.

3-2-2الأبالخيالي: *Le père imaginaire*

أثناء العلاقة الوجدانية مابين الأم وطفلها ينشأ خيال بينهما،فالطفل يلاحظ بأن الأم ترغب في شخص آخر غيره وهو بعد ذلك يلاحظ حضور الأم وغيابها لفائدة من يصنع القانون داخل الأسرة ومنه يمكن لنا القول بأن الأب الخيالي هو الأب القوي الناتج عن تمثلات الطفل،الهدف من هذه التمثلات هو التخلي عن النرجسية المجروحة والتخلي عن الأم، كلما كانت تمثلات الأب قوية كلما سمح للطفل من معرفة بأنه لا يمكن له أن يتنافس مع الأببخصوص الأم وهو مايشكل المغزى للأب الخيالي.

3-2-3الأب الرمزي*Le père symbolique*

لا يمكن لنا تجاهل بأن البعد الرمزي يبقى خاضعا للوظيفة اللغوية، فكون الأب كوظيفة لابد له من بلوغ الرمزية اللغوية،فالأب الرمزي عبارة عن دال *signifiant*فهو الأب الميت حسب أسطورة الأب البدائي للتوتموالتابو حسب فرويدوهو عبارة عن اسم في فم الأم الذي تعينه للطفل.

بالنسبة للاكان فليس فقط للطريقة التي تهتم بها الأم بشخصية الأب هي التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتباروإنما بالأهمية التي توليها الأم لكلام الأب،أو لسلطته،أو لطبيعة أخرى للمكانة التي تتخذها لاسم الأب ولتطوير القانون الأبوي[1].

وتأخذ الصفة التي يطلقها لاكان عن اسم الأب جانبين: الجانب الأول سلبي متعلق بمنع زنا المحارم" لا " يقول الأب: "لايمكن لك أن تكون قضيب الأم،الموضوع الوحيد لنزواتها"وهناك جانب ايجابي متعلق بالفدية التي تنجر عن هذا المنع:"الاسم الذي يدخل الطفل في النظام الاجتماعي" ولكن ماذا يحدث عندما لاتقوم وظيفة الأب بمهمتها في عقد أوديب؟

3-2-4سقوط اسم الأب:*La forclusion du nom du père*

من الناحية الاتيمولوجية فإن مصطلح السقوط مأخوذ من الألفاظ القانونية والتي تعني النهاية الرمزية لقانون الذي لم يقع خلال الآجال القانونيةو يعنى سقوط اسم الأب أو الغياب الأساسي للدال الذي يغلق المجال أمام الفرد للارتقاء إلى صورة الأب.

وهذه الفقرة تقودنا إلى تعميق ميدان الدهان كما ورد في قضية الرئيس شريبر *Président SCHREIBER*، هذا المثال يوضح للعيان المشكل بالنسبة لقانون الأب ،فحسب بيارلوجوندر *Pierre*

1.Du traitement possible de la psychose in Ecrits P 579.

Legendre فإن الأب لا يحمل شيئا من ذات نفسه إنما هو يمثل ذاته ووظيفته[1]،فبالنسبة لقانون منع زنا المحارم فإن الأب لا يملك هذا القانون و إنما هو خاضع له بدوره.

فلو نظرنا إلى المحيط العائلي للرئيس شريبر نجد أن العلاقات مع الأب كانت قاسية جدا،فمن بين ابنيه الأول انتحروالثاني أصيب بالهذيانو لهذا فإنه خلال نقل القانون فإن علاقة الأبإلى القانون لابد لها أنتؤخذ بعين الاعتبارولهذا ماذا يمكن أن نستنتج كخلاصة؟

فمن أب طاغيةيضع نفسه كنموذج مثالي وخالي من العيوب و هو الأمرالذي يمنع الوظيفة الأبوية أن تلعب دورها و بذلك فإن الأب لايقوم بتمثيل القانون وإنما يحاول تجسيد ذلك ويكون الثمن باهظا من حيث الأمراض الثقيلة التي غالبا ماتكون دهانات مزمنة .

ويعد سقوط اسم الأب عبارة عن تسمية مدرجة من قبل جاك لاكان من أجل إبرازإلغاء الدال فالطفل الذي لايتم استثماره كفرد مختلف عن جسم أمه يبقى دائما خاضعا لقوتهاوعندما تكون نزوة الأم غير موجهة إلىالأبفإن الطفل محصورا عند أمه بشكل استهامي وبدائي وعليه يصبح الموضوع الوحيد لنزوة الأمأو قضيبها الخيالي وعندما يكون الطفل مأخوذ في نزوة الأم، فإنه ليس بالإمكانأن يتم التعرف عليه كابن أو بنت الأب.

وكخلاصة يمكن القول بأن وظيفة الأب تقوم على قانون منع زنا المحارم، الذي تسنه كل المجتمعات وذلك للسماح للفرد بأن يتم تأسيسه كانسان مختلف داخل الجنس الاجتماعي ومابين الأجيال، فالطفل يطالب بالحدود والأب ملزمبإبراز هذه الحدود، أول حد هو الحاجز أمام زنا المحارم والقتل وعندما يتم إدخال هذه الموانع الاجتماعية الماضية والحاضرة فإنه يتم بناء الجهاز النفسي المسمى بالأناالأعلى،الذي يسمح له بالتكيف مع القوانين الاجتماعية،فالوظيفة الأبوية ليس لها طابع نفسي وذاتي فحسب فهي أيضا وظيفة اجتماعية.

في المجال الاجتماعي فإن كل مجتمع له قوانينه المؤسسة علىعلاقات التبني، المصاهرة، الأبوة،ففي الميدان النفسي فإن البنية المؤسسة للفرد تكون مبنية على مركب أوديب، الذي يضع عند كل فرد الأب كممثل للقانون،فالقانون الأساسي هو الذي يتخذ من المصاهرة وسيلة التي تجمع مابين قانون الثقافة والقانون الطبيعي المبني على التزاوج.

ويمكن من هذا التفكير التساؤل عن كيفية الموافقة مابين المكانة الاجتماعية للآباء والوظيفة النفسية التي تنبثق منها، حسب ف.هرستل*F.Hurstel*هناك ثلاث مبادئ رئيسية حتى نتطرق إلى وظيفة الأب[2].

1. هوالإشهار بقانون منع زنا المحارم عن طريق التشريع العلني لقانون منع زنا المحارم وذلكبتأسيسأبا لكل طفل.
2. تفعيل قانون منع زنى المحارم في الإطار العائلي من خلال العلاقات الإنسانية مابين الإفراد والتي تسمح بتقييد الطفل داخل علاقات اجتماعية وأبويةأيضا.
3. وأخيراأن يكون هناك عمل تقني خاص بالرجال الذين يتكلفون بالمؤسسات حتى يتم الانتقال من مكانة الابن إلى مكانة الأب وتبادل الرتب عبر سلسلة الأجيال.

4.الأب الحاضرج.لوكامو *J.Lecamus le pèreprésent*:

1.Comment être père aujourd'hui ? J.Lecamus P : 16.
2F. Hurstel, la déchirure paternelle Ed PUF 2002 P53.

هذا النموذج يختلف تماما عن الوصف الذي تناولناه سابقا، بحيث يتعلق الأمر بوجهة ثالثة تدعى أيضابالأب الشريك والمتميز في تأدية مهامه والذي يولي لكل أمر اهتمامه، هذا الاقتراب يعطي نوع من الحضور،المواظبة،الشعوربروح المسؤولية والوعي بتقديم وظيفة ودور الأبوهو مايعني أيضا تعهده للقيام بالأعمال الملموسة اليومية أثناء عنايته بأطفاله وعلى كيفية التدخل المباشر على الصعيدين الفيزيائي والنفسي.

بالنسبة للوكامولايكفي أن يكون الأب شريكا أو متميزا في تأدية المهام وفسح المجال أكثرللأطفال للنمو وإنما عليه أن يكون بعيدا وقريبا في نفس الوقت ومحاولة تكييف مواقفه لصالح الطفل[1].

لهذا فإن حضورالأبيأخذأهمية كبيرة كما يعتقد ذلك عدة أجيال من الباحثين، ففي حالة أنالأب يكون حاضرا منذ البداية فإنه يتمكن من الاستثمار في مختلف النشاطات التي تعكس عمل الوظيفة الأبويةوهذه الديناميكية لا تكون خاضعة بالضرورة إلى رغبة الأم، هذه الأخيرة ليس لها أن تسمح للأب بأن يكون أبا وهو بدوره لايحتاج إلى ترخيصها لمباشرة مهامه التربوية والأبوية وبالتالي فإن الأبوين هما الأشخاص المعنيين بأبوتهما المشتركة والمنفردة، فالأبوان يقومان بهذا الدوربالاشتراك معا عن طريق اللغة وبالإرادةالمتبادلة[2].

من و جهةهذا المنظور فإن الآراء المتناولة في التحليل النفسي لا تعكس تصور الأب الحاضر، إذ أنالعلاقة تكون مشتركة وليس للأم أن تسمح أو ترفض بتدخل الأب في تأدية وظيفته مع الطفل،فالقيام بدور الوظيفة الأبوية مشروط بالاعتراف واحترام الأجناسوالأجيال والأبكالأمينتميان إلى الجيل الذي يسبق الطفل، فهذه الوضعية تطرح نتائج في إطار الواجبات والحقوق لكل واحد على حدا وهنا يطرح المشكل الأساسي المتعلق بممارسة السلطة مابين الأفراد في الخلية العائلية.

وهنا لابد لنا من التكلم عن العلاقات غير المتساوية الأطراف من جهة،بالإضافةإلى ظروف نبذ العنف وكل الوسائل الدكتاتورية التي تطبق بطريقة عمودية وميكانيكية على الطفل[3].

فبالنسبة لجون لوكامو فإن السلطة الحقيقية لا تقوم على قدرة فرض الممنوعات و العقاب فقط و إنما تكون مبنية على الإرادة الحازمة من أجل إسناد نمو الطفل و السماح له بتبني واعي لمسؤوليته بدون أن ينفي ذلك وجود أوقات من الأزمات[4]،جون لوكامو لا يشترط أن يدخلالأب في سيرورة تكراروإعادةإنتاج نفس الشيء والطفل بدوره غير مطالب بأن يكون نسخة مطابقة للنموذج الذي يرغبه الأب، فقيمة الأب مهمة بنفس شكل المواسطة الذي تأخذه وظيفته.

5. مسألة الأب في الأوساط العربية الإسلامية-*La question du père dans l'aire arabo-islamique:*

مفهوم الوظيفة الأبوية لا يمكن فهمه بدون أن يتم وضعه في إطار رمزيوقد مر على الإنسانيةحقب عديدة كان مفهوم السلطة الاجتماعية عند الكثير من المجتمعات مرتبط بصورة الأب ولكن حسب بعض المنشقين عن الخطاب الفرويديواللاكاني فإن النظرية التحليلية الكلاسيكية متهمة بدعم السيطرة الذكورية .

وقد تم تقديم نقد كبير لفرويدلأنه لم يجعل للمرأة مكانا في تخميناته من أصل القانون في المجتمعات،بل جعل من المرأة غنيمة تكون محل الصراعات مابين الأبوأبنائه كما أوضح ذلك في كتاب التوتم و التابو.

---

1 .Comment être père aujourd'hui ? J.Lecamus P : 16.
2.J.Lecamus, comment être père aujourd'hui ? P : 124.
3.IBID P : 143.
4.J. Le camus, comment être père aujourd'hui ? P : 133-134.

ميشال تور[1] *Michel Tort*يتهم نظرية جاك لاكان بدعم نظام فكري مؤسس إلى الفكر المسيحي،أما بالنسبة لموريس قودليMaurice Godelierفإن النص الفرويديالذي تناول قتل الأب يحتوي على فكرة أساسية والتي تجعل من الإحساس بالذنب الفردي والجماعي مركبا عميقا،على شكل صورة الثقافة الغربية والتي تدعو منذ آلاف السنين الإنسانية لمحبة الإله الابن الذي تم صلبه والذي تحمل على عاتقها والى الأبد حمل الجريمة[2].

وإلى حد الآن فالنقاشات حول ملائمة النظرية لأوديب في المجتمع المغربي على سبيل المثال مازال محل جدل كبير،كما هو معلوم فإن سيرورة انتقال العالم الإسلامي وإن كان يشابه في بعض المظاهر المثال الأوروبيإلاأنه يقع داخل ظروف تاريخية ،اجتماعية وسياسية مختلفة.

فمن وجهة النظر التي تحصر انشغالنا فإن رأي الباحث المغربي عبد الكبير خطيبي يلخص بصورة دقيقة الوضع بالنسبة للبلدان السائرة في طريق النمو والتي ينظر إليها من ناحية البحوث في العلوم الإنسانية على أنها مجتمعات صامتة[3] حتى لو حاولت هذه المجتمعات إسماع صوتها المختلف فإنها تبقى غير مسموعة،ليقول بعد ذلك بأن الباحث العربي يجد نفسه مترجما لمجموعة من المعارف والأفكار التي تم وضعها من طرف الغرب بصفة عامة والتي تبقى محل شكوك ومن الناحية الابستيمولوجية فإن الإنتاج الفكري الغزير لدى الغرب ونتيجة للتراكمات لا يمكن استثمارها إلا بطريقة غير مرضية من ناحية الإجراءات.

هذا الإثراء لايظهر لنا بدون فائدة لأنه عندما يتعلق الأمر بسماع صوت الصامتين وذلك بالتأكيد على العوامل الأسطورية،الذاتية وكذا المظاهر المتعلقة بالطقوس فإننا نجد عملا ثريا قام به الباحث التونسي عبد الوهاب بوهديبة ويعود الفضل إلى هذا الباحث الذي قام بدراسة دقيقة من الناحية الإكلينيكية بحيث استطاع إعادةإظهارأسطورة جودرالذي تناولها كتاب ألف ليلة وليلة .

ففي هذه الحكاية لاحظ بوهديبة وجود محتوى خيالي كبير يتضمن خصوصيات إكلينيكية لم يتردد في مقارنتها بمركب أوديبوإعطاء صورة عامة عن هذه القصة،حيث تتكلم هذه الأسطورة عن تاجر له ثلاث أبناء وكانت تربطه بالأصغر منهم "جودر" علاقة حب كبيرة ولكي يتفادى المشاكل بعد وفاته قام بتقسيم تركته إلىأقسام متكافئة بين أبنائه.

فبعد وفاة الأبأحس الابنين الأكبرين بأن الأب لم ينصفهما في تقسيم التركة،فيقومان بتضييع جميع أموالهما قبل أن يتحالفا ضد الأخالأصغرويطردون الأم من بيتها وهنا يقوم جودربإيواءأمه ويستجيب لطلب باطني للأم ويعتني بأخويه المفلسين طلبا لرضاها.

فعند ذهاب جودر إلى صيد السمك لكسب قوت يومه يلتقي بساحر مغربي جاء أساسا لاكتشاف الكنزوحسب الساحر فإن الدلائل تدل على أنه لا يمكن اكتشاف الكنز بدون جودر وبعد قراءة بعض العبارات وحرق البخور تمكن الساحر من تجفيف الواد الذي يوجد بمدخله الكنز وفي كل مرة يقوم جودر بفتح الأبواب الستة من خلال ترديد عبارة أوصاه الساحر بها.

وكان في كل مرة يتلقى ضربات قاسية يقوم منها ولكن عند وصوله إلى الباب السابع أكد له الساحر بأن الأمر يختلف لأن الحاجز الذي يصادفه هو أمه وأن هذه الأخيرة ستمنعه من اكتشاف الكنز ولهذا فعليه أن يطلب منها أن تقوم بنزع جميع ملابسها تحت تهديد السيف ولكن أثناءدخوله الباب السابع تناديه أمه وتذكره

1.Michel Tort, fin du dogue paternel P : 141
2.M.Godelier, J.Hassoun, meurtre du père sacrifice de la sexualité.
3.Abd el KbirKhatibi, Maghreb pluriel éd. Denoël.

بالتضحيات التي قامت بها من أجل حمله،إرضاعه وتربيته وعلى هذا الأساس لم يستطع جودر أن يطلب منها نزع ثيابها.

في هذه الأثناءتقوم الأم الوهمية بضربه وإردائه طريحا خارج مدخل الكنز وقد كاد يفارق الحياة وبعد سنة حاول جودرالقيام بنفس الخطوات واستطاع في نهاية الأمر أن يتحصل على نزع جميع ثياب الأم وحصوله على الكنز.

وهنا يستخلص بوهديبة بأن الحياة عبارة عن كنز لايمكن الفوز به إلاإذا قتلنا الأوهام التي تراودنا فالنضج السيكولوجي هوعملية قتل الأم الوهمية، فقتل الأم الوهمية هي تحصيل الأمن الفردي للشخص[1].

ولإظهار قرائنه المختلفة لأسطورة جودر يؤكد الباحث المغربي عبد الهادي الفقير بأن عبد الوهاب بوهديبة قد تجاوز بدون تبرير كل مقدمة الأسطورة والتي تعج بمؤشرات هامة لايمكن التغاضي عنها[2]، لأن قصرالمقدمة في هذه الحكاية لا يعني بأنه لا يحتوي نقاط مهمة يتم من خلالها تفسير المصير المأساوي للأبناء،فهذا المصير ينحدر من الرغبة الغير موضوعة في محلها من طرف الأب[3]، فالأب من خلال تفضيله للابن الأصغر جودر وكأنه يود القول لابنيه الآخرينبأنكم غير جديرين بميراث السلطة والقوة بعد مماتي، هذه الوضعية هي التي حركت الأخوين ضد أخيهما بعد موت الأب للدخول في صراع مع جودر.

وبما أنه لايوجد أي مؤشر للوظيفة الثلاثية المفرقة للأب،فإن الفقيريقول بأن عقدة جودر قد حرمت المكون الأساسي لها أيالإحساس بالذنب باسم الخاصية الثقافية بدون أي دليل على ذلك.

بدوره الباحث التونسي فتحي بن سلامة قد طرح سلسلة من التساؤلات في الموضوع وحاول إعطاء تفسيرات للصعوبات التي واجهت فرويد أمامالإسلام ولجوئه إلى حل الأب البدائي ونظرا لأن الإسلام بعكس الديانات السماوية الأخرى يزيح الله من فكرة الأبوة،فكل المشكل يتجلى في كيفية التفكير في مسألة الأب في ديانة تقول بأن الله ليس هو الأب[4].

فالقرآن أولى عناية كبيرة لذكر الله بعيدا عن مرجعية الأب وإن كان ذلك من جانب الرمزية فمثلا في سورة الصمد فإن المرجعية إلى الله مختلفة عن تمثلات الأب من خلال التأكيد القاطع :"قل هو الله احد °الله الصمد° لم يلد °ولم يولد °ولم يكن له كفؤا احد°"[5]، فالصمد التي هي أيضا اسم هذه السورة تنفي انتهاء الله إلى سلالة الأجناسوالأجيال،أما شرح كلمة الصمد تعني ماهو مملوء وكامل،أي الذي لايمكن ولوجه وبالتالي فإن كمال الرب يتناقض أساساأمام الطبيعة المفتوحة للإنسان،مفتوحة لأنها تحمل فرجا،لأن الفرج هو عبارة فتحة ، عيب.

حتىإن رسول الإسلام مستثنى من مكانة الأب ":ما محمد أبا أحد من رجالكم " الآية40 من سورة الأحزاب وليس غريبا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يكون مذكورا في القران في وضعية الابن واليتيم.

1.A.*Bouhdiba, la sexualité en Islam P:275.*
2.*Ibid P : 76*
3.*Ibid P : 38*
4.*F. Benslama, la psychanalyse à l'épreuve de l'islam P : 120.*
5.*F. Benslama, d'un renoncement au père topique 2003/N°85 P : 138-148, disponible en ligne :http://www.cairn.info/RE..TOPIQUE.2003 P :141*

وبصفة عامة يرى بن سلامة بأن الإسلام لايقدس صورة الأب، بل يحاول الابتعاد عن هذا الميل وينتقدالآباء بنصوص قرآنيةصريحة فمثلا لاتجد إلا07مواطن في القران أين يتم ذكر الآباءبإيجاب تحت لفظ الآباء الأولين وقد أشارالكثير من المفسرين بأن القرآن والحديث النبوي لايستعملان كلمة الأب في المفرد ولكن دائما في الجمع وكأن الأب لايكون كمبدأ أوأساس يتعلق الأمر بإبراهيمإسماعيل, إسحاق ويعقوب.

وفي حالات كثيرة أخرى فإن جمع الآباء يقودنا إلى وجوه و أحكام سلبية، فالآباء هم في خطأ، ضلال، ينجرون إلى الإغراء، يعبدون الأصنام ، نساؤون و يناديهم القرآنويوبخهم على كفرهم ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد ويعدهم بالمغفرة إذا أقلعوا عن أخطائهم.

وفي آخر المطاف فإن النبي إبراهيم عليه السلام هو الصورة المركزية للأبوة في الإسلاموهو مثال الديانات الموحدة انطلاقا لعصيانه لطاعة أبيه 'آزر' والذي ابتعد عنه من أجل الهجرة الروحية وهذه الهجرة تمثل خلاص من القانون الأبوي،بحيث أنه ومع الهجرة فإن الابن يلتقي بالواحد يعني الله خارج الأب [1].

ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم يعترف بالجريمة الأولى التي اقترفها قابيل ضد أخيه هابيل[2]وحسب بعض المفسرين كان يتعلق الأمر بتبني قانون التبادل لتفادي زنا المحارم انطلاقا من التفرقة ما بين الإخوة التوائم.

ونلاحظ بأن هذا المنع لا يتعلق بالأم ويمكن التزاوج بين الإخوة، فقابيل يرفض هذا القانون ويأبى أن يلتزم بالتقسيم ونقص الآخر وكان يريد البقاء في الوحدة النرجسية، يعني مجموعة التوأموهذه فرضية تعكس قانون ثانوي لمنع زنا المحارم متعلق بروابطه الذاتية انطلاقا من منطقة الإخوة.

فإذا كان من ناحية الأم فإن الإشباع يغلق عالم الطلب وإن كانت رغبة في الزوج أو الأم فإن ذلك يغلق عالم التبادل[3]، فبعد مناقشة هذه الأبعاد،فإن نظرة فرويد الخاصة باتحاد الأبناء ضد الأب تصبح محط تساؤلات نقدية.

كل هذه الأبحاث سمحت لابن سلامة أن يطالب بضرورة بقاء نظرية التحليل النفسي منفتحة عبر جميع القراءات التي تتناول موضوع القتل.

6.التحولاتالاجتماعية ومسالة الأب في المجتمع الجزائري:

في الجزائر سيرورة التثاقف ساهمت بشكل كبير في بناء هويات الأفراد والجماعات ويشمل هذا الطرح أيضا هوية الآباء، لأننا نشهد منذ عشريات قليلة مضت إلى تحولات سريعة لم نشهدها منذ قرون.

من الناحية الاجتماعية فإن الظاهرة التثاقفية تتميز بنوع من نزع القداسة للثقافة الأصلية وتفكير منقطع النظير لقيم الثقافة الأم لصالح نماذج متناقضة ومعايير ثقافية مختلفة، هذا الخلط في السير غالبا ما تتم معايشته تحت التركيبة المتعلقة بالتناقض ما بين التقليدي والحديث وغالبا ما يتم إدراك هذا التباين في شكل تفككي.

فالأفراد لا يستطيعون التكيف مع الواقع فهم يجدون مشاكل متعددة من أجل التوفيق ما بين النماذج القديمة وبين طبيعة الواقع التي تتغير بشكل سريع فالنماذج المعاصرة مختلفة بشكل كبير ولا تستطيع أن تكون

1.FethiBenslama op Cité.
2.F.Benslama, la psychanalyse à l'épreuve de l'Islam P : 283.
3.F.Benslama, la nuit brisée P : 134.

في وقت وجيز نموذج نقتديبه، فالحركة الاجتماعية جاءت في عكس المسار الثقافي للمجتمع المسير من طرف الآباء.

حتى أن هذا التغير ساهم في تفكيك الأدوار الاجتماعية التقليدية للرجال،النساء، الآباء، الأطفال وساهم في ظهور تبعات غير متوقعة أدت إلى فقدان ملكة التوجه للنشء الصاعد بالدرجة الأولى.

في الوقت الراهن فإن أيديولوجية تحقيق الذات فرضت نفسها لتعاكس النظرة الجماعية للحياة المتعارف عليها في المجتمع التقليدي، الذي كان يؤسس لكل فرد مكانة ووظيفة محددة مسبقا وعليه فإن طغيان النموذج الفردي ساهم بشكل كبير في تغيير العلاقات بين الأفراد والجماعات، بحيث تصبح المسؤولية ملقاة على عاتق الأفراد عكس ما كان متعارف عليه سابقا.

لقد عرف الزواج تغيرا بدوره وتحول من العلاقة المُعدة حسب قانون الآباء إلى علاقة مبنية على الاختيار الفردي ونظرا لتبدل الظروف فإن هذه العلاقات أصبحت معرضة للهزات أكثر، فالزواج يفقد تميزه الاجتماعي لأنه لم يعد يدرك على أنه قيمة موثوق بها وبالتالي فإن الاستقرار الأسري تراجع إلى حد كبير والطلاق بالتراضي أصبح ممكن بقوة القانون.

اليوم يمكن القول بأن المجهود القانوني انصب أكثر على الاعتراف التدريجي بحقوق المرأة والطفل على حساب امتيازات الأب، الأمهات التي كان يتم اعتبارهن بالقويات وملكات الإنجاب يمكن لهن أن يقبلن وأن يرفضن الطفل، رافضين بذلك التقيد بصفة الأمومة من الوجهة التقليدية للأدوار.

في هذا الصدد نجد أن نموذج المرأة الماكثة في البيت أصبح محل انتقادات كبيرة، بالمقابل فإن المشروع النسوي جاد ليكرس خروج المرأة من الوضعية التقليدية المتميزة بالخضوع من جهة ومن أجلتجنب خطر عدم نجاح العلاقة الزوجية من جهة أخرى.

لكن هذه التغيرات وبغض النظر عن الشكل الظاهري لم تكن لتحدث بدون تناقضات لأن عمل المرأة مازال يُنظر به كأنه محل خطر بالنسبة للذكور لأنه ينزع قسطا أساسيا من تعريضه، فالمرأة بعد العمل سوف تتخلص من التبعية والادعان وهذا ما يؤرق الكثير من الذكور الذين يرفضون مثل هذا التغير.

فإن كان المجال العام يؤسس إلى تعريف الرجل فإن المرأة وبخروجها إلى العمل فإنها ستأخذ لا محالة من خصائص الرجل،لأن المرأة كانت معرّفة بنشاطها داخل البيت وبخروجها إلى العمل تصبح مشتركة في كثير من الخصائص كانت قاصرة على الذكور فقط فالعلامة التفريقية لا تصبح قاصرة على الفارق البيولوجي وإنما تتعداهإلى المكانة المشغولة في إطار التنظيم الاجتماعي.

فإنكانت العلاقة بين الأجناس متوافقة داخل نظام اجتماعي متجانس، فإن فعل التغيير جعل من تقسيم الأدوار السابقة لا يتكيف مع حجم التغيرات وبالتالي فإن التوافق الماضي لم يعد ممكن.

أما بالنسبة لفئة الشباب فإن المرور من مكانة الطفل إلى مكانة الراشد قد شمله تغيرات كبيرة بدوره، فمن جهة فإن الخروج من المنزل العائلي والاستقلال بذات الفرد تأخرت بشكل كبير عكس الأجيال السابقة ولعل العامل الأكثر أهمية يكمن في مواصلة الدراسة والتكوين فالذات تكون لهما في أغلب الأحيان تأخر في الاستقلالية اقتصادية لدى الأفراد إلى سن متأخرة.

في نفس السياق فإن الشباب يطورون اليوم أنماط حياة خاصة بهم في استقلالية عن طريق الآباء لا سيما في مجال الوقت الشاغر أو الأذواق وطبيعة الاستهلاك الخاص بهم وبالتالي فهم يكسرون عادة التكرار السائد في الماضي ويحاولون البحث عن نماذج جديدة أو قصص جديدة إلى...الخ ونجد الآباء أنفسهم عاجزين عن نقل معرفتهم ومهنهم إلى أبنائهم.

ويعود الفضل إلى المدرسة بشكل كبير في مساعدة الأبناء على تخطي أشواط كبيرة من خلال التعليم والمثابرة وسد التبعية والعجز ليجد الابن نفسه في ظرف وجيز متحكم في المعرفة وهو ما يدفع به أحيانا إلى الدخول في صراعات أجيال وقيم فالوظيفة الأبوية لا يمكن إيعازها إلى القوة البدنية بل إلى النجاح المادي.

أمام كل هذه التناقضات الثقافية فإن الأب اليوم يستطيع معرفة إلى أي ميدان يحتكم نظرا لأنه كان في الماضي القريب لا يمثل السلطة ما هو الآن في مركز هش، ما هي الأرضية المشتركة التي لا تمكنه من تأدية مهامه؟ ونظرا لتشتته أمام المعالم التقليدية والمستجدات المدنية الغير معروفة المعالم فالأب لا يستطيع أن ينشر معرفته، فهو يعتبر بمفهوم الوقت الحالي قاصرا معرفيا أمام تطور الأجيال الصاعدة، فهوية الآباء لا بد لها من إعادة صياغتها بالنظر إلى الوضعية القديمة بالنظر إلى الأم وكذلك إلى التطور النفس الاجتماعي للذهنيات الحالية.

كل هذه الأمثلة توضح أن النظام الاجتماعي متغير من حيث التفكير والقواعد فالتوافق القديم لم يعد مجديا فلو رجعنا إلى المفهوم الاجتماعي فإن المجتمع اليوم يتميز بالأنوميا (اللامعيارية).*L'anomie*

فـــــإ.دوركايم في دراسته حول الانتحار لاحظ الفوضى وسوء التنظيم الذي يتبع القيم لدى المجتمعات فالمقاربة بهذا المفهوم يرجعنا إلى حالة انعدام التوازي للنظام الاجتماعي أو انعدام التماسك الاجتماعي، نظرا لأن القواعد الاجتماعية الجديدة تنتقص إلى المعيار المنظم والمهيكل لسلوك الأفراد.

بصفة عامة لا يمكن القول بأن كل مجتمع يطور مفهوم عامّا يخلق المعاني المرافقة للحركة الاجتماعية، فخليط المعاني يتوافق مع ظهور المجتمع المراد بلوغه ولكن بخصوص المجتمعات التي تعاني من أزمة اللامعيارية، فإن مشكل تفتت القيم الاجتماعية يطرح نفسه بحدة ونظرا لهذا فإن المجتمع يفقد القدرة في تسجيل الأفراد المنتمين له في ديناميكية وحدة المعنى.

الفصل الثالث:المراهقة ، الاعتراف وتقدير الذات

1. مسألة المراهقة

1.1السيرورات النفسية في المراهقة

2.1البدائي الجنسي ف. غوتون

1.2.1 *Le pubertaire*

2.2.1 *L'adolescens*

3.1 هل تعتبر المراهقة عملية فراق أو حداد.

2. سيرورة التقمصية في المراهقة

1.2التقمص والتفرقة ما بعد سيرورة التقمص *Identification et identisation*

2.2أشكال التقمص

1.2.2تقمص التبعية

2.2.2التقمص للمعتدي

3.2.2 التقمص الاوديبي

4.2.2 التقمص التصنيفي

5.2.2 التقمص إلى المشروع

3. الاعتراف

4. تقدير الذات

1.مسألةالمراهقــة*l'adolescence*

بما أنها فترة حياة فإن المراهقة تظهر كحقيقة عامة ومعقدة وكأنها عالم بدون أن يكون منغلقا يرتبط بالطفولة التي تسبقه وسن الرشد الذي يليهوإن كان البلوغ والتحولات الجسمية تأتي من تلقاء نفسها، بدون مساعدة المحيطفإن التغيرات النفسية لابد لها أن تتم بداخل تبادلات ديناميكية مابين الأقرباء، العائلة من جهة والأصدقاء من جهة أخرى.

فالمراهق يحس بالحاجة إلى الاستناد على عائلته من أجل التحكم أكثر في سيرورة التفرقة التدريجية على النماذج الأبويةوتتوقف التبعية نحو الآباء لتصبح من جهة أخرى موجهة عند تأثير الأقران ومنه فإن النماذج ستصبح خارجية ومآل الطاقة يكون مجموعة الأصدقاء.

كما أن عملية إثبات الذات لا تكون دائما في اتجاه الأزمات ولكن المراهقة تعتبر مرحلة صعبة في العلاقات العادية، فمن وجهة نظر اقتصادية تتدخل جميع أوجه المراهقة ، فأولا نتحدث عن التغيرات المرفولوجية التي تطال الجسم وتطوره الجنسي وهو الذي يؤدي به إلى ضرورة التخلي عن صورة جسمه، أناه الصبياني، تطوره والذات واللذان يعتبرانالركيزة الأساسي في معرفة وبناء العالم المعرفي للطفل.

كما تظهر أيضا استراتيجيات معرفية تخلق سلوكات عديدة، لأن طبيعة التصورات المنغلقة على الذات تصبح غير كافية، فالمراهق يمتلك الإمكانيات للتفكير في ذاته ويصبح الواقع ثانوي بالنسبة للمحتمل (جون بياجي*Piaget.J*).

وتصبح الحاجة إلى الصور في المرآة أمرا ملحا لأن الأنا يصبح في حالة إعادة تنظيم وهو مايحتاج إلى دعم الأخر بما في ذلك المحيط الأسري أيضا.

2.1السيرورات النفسية لدى المراهق:*le processus psychiques à l'adolescence*

المراهق هو عبارة عن شخص ليس بالطفل وليس أيضا بالشخص الراشد، كما أكد على ذلك إ.كرستنبرغ*E.Krestemberg* فإن المراهقة هي مرحلة إعادة تنظيم نفسي يتميز بإعادة تأهيل البنية الأولية للأنا، مع تغيرات جسمية يكون مضمونها اكتساب جهاز تناسلي في مرحلة النضج.

وتصبح شخصية المراهق في هذه المرحلة معرضة للتغيرات وينتج عن هذا التحول إشكالية الهوية، بحيث كيف أكون نفس الشخص بالرغم من التغيرات، حيث هذه الأخيرة يكون موضوعها المراهق تحدد بصفة أساسية من حيث التغيرات المرفولوجية وكذا إعادة النظر في العلاقات السابقة مع الجسم.

فالجسم هو ذلك المعطى للمراهق وهو ما لا يختاره والذي يتحول بمسايرة نضج الوظيفة الجنسية والتي يحاول التعامل معها من جديدوالجسم كذلك هوالمركز الذي تسجل فيه جميع التقمصات التي تظهر على إثرالتشابهات التي تربطه بأفراد عائلته.

ولاشك في أن إمكانيةإدماج الأنا لهذه التغيرات الجسمية وانطلاقا من احتمالات التحكم التدريجي للقلق، الناتج عن سيرورة الدمج التي تحدد التوازن الاقتصادي والديناميكي لشخصية الفرد الراشد.

فالمراهق يعيش وضعية خاصة وصعبة متعلقة بإعادة الإشكاليةالأوديبية، فإن كان الصراع الاوديبي معلقا في مرحلة الكمون فإنه يتم إعادة بعثه وهو ما يدفع المراهق إلى التخلي عن الصور الأبوية من أجل أن يستثمرمواضيع أخرى .

فإعادة بعث الصراع الاوديبي يخلق إحساس بالذنب وقلق عند المراهق، فإن كان الإشكال الاوديبي المكون من استهامات تعكس زنا المحارم فإن هذه الإستهامات تصبح قابلة للتحقيق نظرا لتطور النضج الجنسي.

فالمراهق لا بد له من تجاوز مركب الإحساس بالذنب وذلك بالتخلي عن الصور الأبوية وإقامة الحداد الاستهامي المتعلق بالمواضيع الليبيدية التي تؤدي به إلى ضياع الموضوع الاوديبي، فانطلاقا من هذه اللحظة المراهق لا يمكن له استثمار طاقته الليبيدية في المواضيع الأبوية فقط.

ويمكن أن يتبادر لدينا إشكالية الهوية في إطار هذه السيرورة، فمن جهة هو يحاول تجاوز التقمصات القديمة ومن جهة أخرى فإن التقمصات القديمة تكون من المكونات الأولية للشخصية وهو ما يهيئ الإحساس بالغرابة الذي يجتاحه والضرورة إلى إعادة بناء الهوية الفردية.

إلى جانب هذا يمكن أن نضيف أنه خلال الصراع الاوديبي الذي يحدد عاديا ما بين 3و6سنوات،فإن الطفل يتعلم أن يضع نفسه كشخص في إطار العلاقة الثلاثية التي يكونها مع والديه في بادئ الأمر اللذين يعتبرهما كمصدر وحيد للسلطة ولكن مع التطور الفكري فإن المراهق يتعرف بآباء آخرين يقارن معهم وتصبح له المقدرة في الشك بإمكانية والديه التي كانت لا تضاهى من قبل.

وبالنسبة لفرويد فإن الإحساس بعدم الرضا يمنح للمراهق الفرصة في نقد والديه، ففي هذه المرحلة التي يبدأ فيها الفرد بالإحساس بأنه غريب عن والديه فإن المرحلة الموالية تسمى بالقصة العائلية للعصابيين *Roman familial des névrosés*.

ونلاحظ عند بعض المراهقين إمكانية الابتعاد الاستهامي التي ستمنح لهم التخلص من أوليائهم الذين أصبحوا محل سخرية، قبل أن يقوموا بتبديلهم بأشخاص آخرين أكثر منهم أهمية من الناحية الاجتماعيةوعادة ما يشكل رفض المثاليات الخاصة بالصورالأبوية جرحا نرجسيا، فالوحدة التي تنشأ عن هذا الجرح تدفعه للبحث عن علاقاتأخرى.

ففي الحالات الإيجابية فإن المراهق يجد في صعود المثالية الجماعية المعاكسة لمبادئ الوالدين والتي تسمح له بالاندماج في مجموعة تقمصيه والتي يكون لها آثار على المثالية الخاصة بالأنا وهو ما يسمح له بإعادة الاعتبار والتقدير لذاته.

وما يبدو لنامهما في هذه المرحلة هي إمكانية المراهق انطلاقا من عمل نفسي مرافق، أن يدرك نفسه كشخص ذي مقدرة في إطار الوعد الاوديبي أوإنه شخص له مقدرة جنسية والتي يجب أن تستثمر تحت غطاء أولوية الرغبة والشهوة المتعلقة بالمواضيع الخارجية .

ولكن هذهالمهمة لا تكون سهلة نظرا لأن التغيرات الفيزيولوجية التي تضع المراهق أمام إحساساته والتي يطلق عليها ف.قوتون*P.Gutton* اسم الإحساسات المراهقتيه والتي تجعل من هذه السيرورة عملية طويلة معقدة بالنسبة للشاب.

2.1البدائيالجنسي:*l'archaïque génital*

من خلال أعماله النظرية عمل فقوتون على إبراز التفرقة ما بين مجموعة من السيرورات التقمصية أثناء فترة المراهقة والتي تسمى*Adolescens* ومن جهة أخرى سيرورات نفسية أثناء البلوغ

تسمى*Pubertaires*ولا بد من أجل التطرق إلى*Pubertaires*أن هذا الأخير يكون موسوم بتجديد راديكالي بالمقارنة مع المرحلة الطفوليةوالذي يجب أن يستفيد من قبول كافي من أجل تطوير سيرورة .*l'adolescens*.

Le pubertaire 1.2.1

ويتم التطرق إليه بناءاعلى التوطيد في الواقع البيولوجي، الذي يبدي ضغط على الهيئات النفسية الثلاث ليصطدم بالممنوع الاوديبي المخلف من مرحلة الطفولة.

L'adolescens2.2.1

وهو يمثل عمل إرصان مرافق أو متأخرمبني على الأدوات *Pubertaire* ويستعمل من أجل إجراءات الكف بالنسبة لأهداف النزوات (مثلثة وتقمص) هدفه نزع الطابع الجنسي لتمثلات الأبوين التي تؤدي إلى اختيارالموضوع الملائم.

من الجهة المقابلة فإن رفض *Pubertaire* هو السمة الإكلينيكية الأساسية المؤدية إلى ظهور الاضطراباتالدهانية.

3.1 هل المراهقة عملية تفرقة أوحداد؟

L'adolescence est–elle un travail de séparation ou de deuil ?

لقد تم إعادة بحث مسألة الحداد من طرف فرويد اثر وفاة والده و هي المرحلة التي أدت إلى تحليله الذاتيو لكن انطلاقا من كتابه "التوتم و التابو"سنة1912 فإنه تكلم و بصيغة صريحة عن الحداد و لكن من منظور إثنوغرافي.

من الناحية الإكلينيكية فقد عرف فرويد الحداد سنة 1915 على أنه رد فعل لفقدان شخص محبوب أو تجريد موضوع مكانهكالوطن، الحريةوالمثالية الخ ...[1] .

لو نظرنا من قريب إلى هذا النص فنجده و منذ السطور الأولى، أن معنى الحداد يتغير و يصبح أكثر شمولية : فهو يفترق عن الموت ليتصل بالضياع ، حتى أن فرويد يصرح علنيا أن في الحداد الشخص يقررإما الموت مع الموضوع أو الحياة مع قبول الافتراق عنه[2].

وعلى هذا الأساس فإن فكرة مقارنة المراهقة لعمل الحداد ليست جديدة و يتعلق الأمر بفترة موسومة بالحداد الذي لا يمكن تجاوزه، كأثر القتل الرمزي للمنافس الاوديبي، فقدان وجه ممثل لمثال الأنا بالنسبة للآخر، بالإضافة إلى التخلي عن التقمصات السابقة .

فبالنسبة لمشال أنوس *Michel Hanus* فإن أكبر تشابه ما بين المراهقة و الحداد يرتكز على طبيعة عمل نزع الاستثمار الذي يحدث، حتى و إن كان العمل النفسي الذي يحدث في كلتا الحالتين لا يخلو من

1. S.Freud, deuil et mélancolie in métapsychologie P : 148.
2.Ibid P : 168.

التشابهات، فإن نقطة الانطلاق تكون مختلفة فالحداد مصدره خارجي حتى و إن كان العمل الذي يمكن من قبوله يقع داخل الفرد،فالمراهق له منطق داخلي ناتج عن سيرورة النشاط و التطور البيولوجي أولا و النفسي ثانيا[1].

فهذه الجدلية مابين ما هو خارجي و داخلي تشمل كلتا الوضعيتين: المراهقة و الحداد وتضيء ديناميكية العلاقات الموضوعية،فالمراهق يحول روابطه العلائقية بحضور المواضيع المستثمرة و التي فقدت استثمارها أو التي تم استثمارها بصفة مغايرة مع بقاء علاقات الدعم، بينما الشخص المصاب بالحداد عليه أن يقاوم وحده بداخل ذاته مع الاستثمارات القديمة لموضوعه المفقود و الذي تكون علاقاتهالمستدخلةمقواة قبل أن يتم نزع الاستثمار عنها و إعادته لمواضيع أخرى بشكل مغاير[2].

م.أنوس يشير إلى ثلاث أسس حتى يتم التطرق إلى عمل الحداد أثناء المراهقة :

1. فالشاب لا يجب أن يستعمل كسند نرجسي للأب أوالأم اللذان قد يصدمان في بعض الحالات إذا قام الابن ببعض التصرفات تشير إلى مفارقتهما.
2. الأبوان لا بد لهما أن يقوما بالحداد على طفولة ابنهما.
3. على الأبوان أن يسمحا للمراهق بأن يقوم بعمل نفسي يمكنه من إعادة النظر فيمثلثهما[3].

أما بالنسبة للنقطة الثانية التي تفصل الحالتين اللتين نحن بصدد الإشارةإليهما فهي تكون على مستوى العلاقة بالوقت، فالحداد لما يحل بصاحبه يأتي في غالبالأحيان عكس الوقت سابق لأوانه و يضع الفرد مؤقتا خارج الوقت.

بينما المراهقة فهي على عكس ذلك كغالبية حركات النمو فإنها تأتي في وقتها وبينما يكون وقت المراهقة متسارعا وأحيانا بطيئا، فإن وقت الحداد يكون معلقا[4].

وكخلاصة يمكن القول بأن الحداد والمراهقة هما عبارة عن مرحلتين صعبتين و لكنهما لا يظهران بنفس الطريقة، فهما معرضان إلى الضياع و يلزمان إلى عمل نفسي خاص وقد يتوافق مع خصوصية هذا العمل الوحدانية النفسية من أجل تحمل مسؤولية الذات و التمركز داخل القيم والمثاليات الخاصة به.

2.السيرورات التقمصية أثناء المراهقة:

التقمص يمثل سيرورة مركزية في التنشئة وشخصنة الأفراد،حيث أن عملية استدخال المعطيات الاجتماعية الثقافية تمكن من التوافق مع الحياة داخل المجتمع .

أثناء التطور فإن الطفل يحاول أن يوفق ما بين الأدوار ومن خلال ذلك سيدخل خصوصيات الشخصيات المحيطة به[5]مع الوقت يصبح الطفل بإمكانه أن يخضع إلى النموذج المقلد، بأن يتحرك نحو الآخر

---

1. M .Hanus BM Sourkes Les enfants en deuil, portraits du chagrin P : 320.
2.Ibid. P : 32.
3. *Ibid. P : 319*
4. *Ibid. P : 321*
5.بالنسبة لهنري فألون فإن الطفل لا يقلد سوى الأفراد الذين يمثلون قيمة بالنسبة له في أصل المحاكاة .نجد الإحساس بالحب . الإعجاب أو الندية.التطور السيكولوجي للطفل هـ.فألون طباعةالجزائر *ENAG1990*

وأن يتبنى دوره، كما يمكن لهذا الطفل في هذا المستوى أن يجعل القواعد والمراجع الاجتماعية ملكية خاصة به، تُبنى الأدوار والاستثمار الحقيقي أو الاستهامي في التفاعلات مابين الأشخاص المحيطين به، بأن يسمح للطفل بأن يبني شخصيتهالاجتماعية.

أثناء مرحلة المراهقة فإن الفرد يحاول أخذ نوع من البعد بالنسبة للمؤسسات والشبكات الاجتماعية التي كان لها تأثير هام بالنسبة للفترة وفي حالة غياب هذا الإطار فإن الشاب يحاول بكل ما أوتي به من إشكاليات لإيجاد فضاء أخر نابع من مجموعة الأقران وإقامة كيفيات جديدة للإرساء الاجتماعي.

1.2التقمص والتفرقة ما بعد سيرورة التقمص :*IDENTIFICATION ET IDENTISATION*

من الناحية الاتيمولوجية فإن التقمص إلى موضوع ما هو أن تصبح مشابها له أو الاعتراف بهذا الشاب بصيغة أخرى والتقمص هو السلوك الذي يمكن للفرد أن يشبه الأخر، بحيث أن ما قد يحدث لأحد الأفراد يصبح معاش بأنه حدث للأخر.

في كتاب مصطلح التحليل النفسي لابلونشوبونتاليس1968يعطيان لهذه السيرورة التعريف التالي: التقمص هو السيرورة التي من خلالها يقوم الفرد باستيعاب مظهر أولوية مكانة الآخر ويتحول بعد ذلك كليا أو جزئيا حسب هذا النموذج.

التقمص يطرح مشكل البحث عن هوية الأخر والهوية الفردية، بينما يجعلني مشابه ومختلف عن الأخر في نفس الوقت، عن هذا الأساس تظهر الحاجة لوضع مفهوم أخر موازي للأول وهو***IDENTISATION***ما اصطلحنا على تسميته التفرقة ما بعد سيرورة التقمص وهي السيرورة التي تسمح بعمل يعاكس عمل التقمص، مما يجعله يأخذ بعد فردي ليفرض ذاته كشخص مختلف عن الأخر، له علاماته الخصوصية وهو ما يدفعه للابتكار والتصرف كشخص أصلي مشابه ومختلف في نفس الوقت.

لا يعني الرفض المنظم للتقمصات ولكن هو عكس***IDENTISATION***فمفهوم السيرورة الديناميكية للشعور بالذات ومعرفتها في العلاقة التنموية مع المحيط الاجتماعي للأفراد[1].

2.2أشكال التقمص:

على ضوء الأبحاث التكوينية في علم النفس التحليلي وعلوم النفس الاجتماعي فإن الباحثين قاموا بوصف أشكال متعددة للتقمص والتي تظهر في أوقات مختلفة من تطور الطفل والمراهق في إطار إشكالية البحث فإننا سنكتفي بتقديم ما يلي:

1.2.2تقمص التبعية ***(L'identification de dépendance)***

من الناحية الكرونولوجية، فإننا نتحدث عن السنة الأولى التي تلي عملية الولادة وهي المرحلة التي تسمى مرحلة النزوات الغير منظمة (ليبيدو،عدوانية)، فرويد اعتبر هذه الفترة بأنها نرجسية وجنسية ذاتية ، فالنزوات تشبع كل واحدة لفائدتها الخاصة بدون أن يكون تنظيم إجمالي فحياة الرضيع تكون من خلال النزوات

1.*La société pygmalion ? Pierre Tap, Ed Dunod. Paris.1988.P53*

والليبيدو الغير متميز عن الموضوع وهو ما يعني بان الطفل ليس لديه أي دراية عن هويته وهوية الموضوع وبأنه يعيش نوع من الخلط مع الانطباعات المنبعثة من جسده ومن الموضوع الليبيدي .

وتجدر الإشارة إلى وجود تقمص أولي إلى الأم*Identification primaire à la mère*مباشرة وانية، ستبق أي نوع من استثمارات الموضوع وأن هذا التقمص يمكن وصفه بالإدماج وهو ما لا يمكن تقريبه من الموضوع من الناحية الفيزيولوجية *incorporation*في الجسم فإنه يعني استيعاب خصائص وصور*introjection*كما أن إدخال الشيء في الجوف، الموضوع من الناحية الاستهامية فالتقمص يفرض بأن استدخال العلاقة التي تربطه بالأم المتمكنة من تلبية جميع رغباته الفيزيولوجية والنفسية.

2.2.2التقمص للمعتدي*(identification à l’agresseur)*

للخروج من تبعية الآخر، فان الطفل سيحاول باستخدام جميع الأساليب لتقمص سلوك المعتدي فحركة الطفل لفرض نفسه لا بد لها من مقاومة الأم، فالصراع مع الأم يجعل الطفل أمام إمكانيةالخضوع إليها والنكوص إلى مراحل التبعية أو بالعكس التقمص لشخصية المعتدي لفرض الذات أثناء دراسته للرفض والقبول، سيبتز اعتمد على هذه الفرضية في دراسته لتكوين الرفض بـ"لا".

اعتبر هذا الباحث بأن هذه الفترة مرحلة أساسية في تطور الأنا لدى الطفل وهو ما يؤسس مروره من السكون إلى الحركة في وقت تسوده عملية التقمص إلى الأم المانعة أثناء تكرار مبادراته فإن الطفل يصطدم بممنوعات الأم، في هذه المرحلة الهامة من التحكم في المحيط.

في البداية يكون "لا" هي نوع من التقمص الذي يحقق عند الطفل حالة من التوتر ويدعوه إلى الاستثمار العدواني فبقوله "لا" فإن الطفل يتقمص شخصية الأم المانعة وهو يفسح المجال واسعا أمام استجاباته العدوانية ،فاستجابته تأخذ مصدرها أيضا من الصراع ما بين التبعية للموضوع المحبوب وحب التحرر منه وذلك للابتعاد عنه نفسيا ومكانيا.

3.2.2التقمص الاوديبي:*(identification œdipienne)*

عند بلوغ 18شهرا فإن الطفل يدخل في تجارب خاصة بالأنا الجنسي لديه، بحيث يصبح من الممكن بالنسبة له التموقع في العلاقة الثلاثية، في الحقيقة منذ تعديه لهذه السن أي 18شهرا فان الطفل يدخل في علاقة ثلاثية مع ذاته أمه ، وإنسان غريب ولكن هذه التفاعلات كثيرا ما تكون عابرة ، تدريجيا يحاول أن يدير علاقة باندماج أكبر .

في مفهوم التحليل النفسي فان تصفية الأوديب عند الطفل تمر أساسا بتقمص شخصية الأب من الناحية النظرية طور فرويد فرضيتين ففي الأولى التقمص يأخذ صيغة عدائية ويمتزج بحب تعويض الأب بجانب الأم فالتقمص إلى الفرد المناسب والذي نريد فقدانه، أو قتل الأب من خلال عملية التقمص فالطفل يحاول أن يفوز بالموضوع الليبيدي الهارب.

الفرضية الثانية فهي تقدم سيرورة التقمص كدفاع ضد الخوف من اعتداء الأب ، فالخوف من الأب المتعسف والمُخصي الذي يؤدي إلى حل عقده أوديب، من خلال تطوير التقمص إلى الأب وهيكلة الأنا.

فرويد بعد ذلك أعطى أهمية اكبر للفرضية الأخيرة بعدما تخلى عن تدريجيا عن الأولى وبالتالي يمكن القول بان التقمص الموجه إلى الأب من أهدافه التخلي عن الأم كموضوع حب وليس الهدف منه استرجاع الموضوع الليبيدي الأولي.

4.2.2التقمص التصنيفي *(identification catégorielle)*

ابتدءا من سن الثالثة فان الطفل يعيش تغيرات هامة في علاقته مع المحيط الاجتماعي، التطور اللغوي، المعرفي والعملي سوف يغيرون الطابع العاطفي لعلاقاته مع الوالدين وهو ما يسمح له بتوسيع تمثلاته خارج العلاقة الثنائية المباشرة .

الطفل يكتسب المقدرة على التفريق ما بين الأفراد انطلاقا من سيرورة التصنيف الاجتماعي ويوجه سلوكياته في اتجاه القيم، هذه العملية تلعب دورا أساسيا طيلة حياته، لكن قبل سبع أو ثمان سنوات فان عملية التصنيف تكون مرتبطة بالمضمون الملموس للصور والوضعيات ،بعد مرور هذا السن تترسم مرحلة أخرى بواسطة الوظيفة التصنيفية التجريدية، هذه الأخيرة تساعد الطفل على بناء الهوية ومعرفة الذات في إطار الأصناف الاجتماعية وذلك عن طريق التأكيد على التشابهات ما بين الأفراد المنتمية إلى نفس المجموعة أو الصنف الاجتماعي.

المقارنة الاجتماعية تدفع الطفل للتقرب أكثر إلى مشاركة الأقران في مناطق التشابه، كما يساهم ذلك في إبعاده عن كل ما يبدو له مختلفا ليرسم بذلك منطق الانتماء للجماعة، من خلال هذا المنطلق لا يمكن القول بان التصنيف الاجتماعي ليس ظاهرة معرفية فقط، فالمقارنة الاجتماعية تكون مرتبطة لا محالة بالتقمص العاطفي.

الطفل يتعرف بانتماءاته بالرغم أن البعض منها يكون متناقضا ولكن هذا التعرف يكون مقرونا بمعنى انفعالي وتقييمي والذي يدخل أحيانا صراع مع الآخرين، فالصراعات هذه لا يمكن لها أن تبقى حبيسة مخططات التنافر المعرفي*Dissonances socio-affectives etcognitives*إن الانفعالات المختلفة والأحاسيس تظهر نوع من التناقضية المعاشة مع الآخرين وهنا نتكلم عن التنافر الاجتماعي العاطفي والمعرفي، الطفل يعيش في البداية علاقة مع أقرانه قبل أن يقسم المجال إلى علاقات أكثر انفتاح مع المحيط من خلال تقمص شخصية الأصدقاء ، فالطفل يضع آليات جماعية خارج الميدان العائلي لمعرفة ذاته ويعيش الخبرات والصراعات المتعلقة بالتبني والتكيف أو التهميش مع زمرة الأقران.

5.2.2التقمص للمشروع*(L'identification au projet)*

أمام المتغيرات والمتناقضات فإن الشاب يحاول أن يستجمع جميع إمكانياته من أجل أن ينجح في تحقيق البحث عن شخصته وتظهر السلوكيات على حساب منطق تحقيق الذات انطلاقا من التغير داخل مبدأ التواصل، في هذه المحاولة فإن المشروع المهني يكون هو العامل الفعال المساعد لبناء هوية الأفراد والجماعات في غالب الأمر تتمحور هذه الحركة عبر عدة محاور أساسية نوجز منها :

1. **البحث عن القيمة***(Quête de la valeur)*
   إدماج القيم يساعد في تقدير الذات الذي يتجلى في نظرة الآخرين ثم كلامهم.
2. **البحث عن السلطة***(Quête de pouvoir)*

لأن الفرد يحاول أن يتخلص من منطق الخضوع و الآخرين والتبعية أليهم.

3. **البحث عن الاستقلالية***(Quête d'autonomie)*

الهدف الأساسي من هذا المحور هو التخلص من جميع السلوكيات السائدة من خلال مرحلة الطفولة فالاتكال والتبعية وتكوين الرغبة الأساسية في هذا المجال الابتعاد ولو نسبيا عن الأشخاص ذات النفوذ أثناء مرحلة الطفولة.

4. البحث عن تحقيق الذات*(Quête de réalisation de soi)*

ويتأتى ذلك بالتنسيق لجميع السلوكات والاتجاهات من أجل النجاح في الحياة الخاصة والعامة .

3.الاعتراف: *Reconnaissance*

كلنا بحاجة لكي نكون محل اعتراف بالآخرين من أجل الوجود و يكون أول اعتراف هو ما يقوم به الأولياء من أجل تسجيل الأبناء في سجلات الحالة المدنية، هذا الاعتراف لابد أن يكون لا شرطيا، لأنه غير مربوط بالقيمة التي سيظهرها الطفل أولا يظهرها، بحيث يتعلق الأمر بكل بساطة لمنح مكانة للطفل خاصة به.

فلكونه إنسان، فإن الفرد لا يمكنه العيش خارج الاعتراف الذي تسديه له الجماعة المحيطة بهويكون الطموح للاعتراف شعوري أولا، شعوري من خلال تضافرعوامل منطقيةأوغير منطقيةوبالتالي فإن السؤال الرئيسي يتعلق بكيفية المرور من الظهور الفيزيائي إلى الظهور الاجتماعي من المعرفة وتحديد الخاصيات البيولوجية إلى الاعتراف الاجتماعي بمفهومه الواسع .

ومن جهة أخرى يمكن تقسيم الاعتراف إلى قسمين : الأول تطابقي والثاني اختلافي، فالتنشئة الاجتماعية التكوينية لدى الأفراد تتأرجح ما بين الانتماء والاختلافوهذه الملاحظة تكتسي أهميتها أثناء المراهقة لأن، الموافقة النابعة من مجموعة الأقران تكون أكثر أهمية من كل شيء، بل هي أكثر أهمية من الرضا الناتج عن الخضوع إلى القواعد العامة للمجتمع.

4.تقدير الذات*L'estime de soi*

تقديرالذات يمثل مجموعة الاتجاهات والعواطف التي يحس بها الفرد اتجاه ذاته والتي توجه في استجاباته وسلوكياته المنظمةوهي تعرف أنها سيرورة من خلالها يصدر الفرد عن نفسه أحكام ايجابية أو سلبية[1].

بالنسبة لكوبر سميت 1967*Coopersmith* فإن تقدير الذات هو ذلك التقدير الذي يقوم به الفرد اتجاه ذاته والذي يعكس اتجاه قبول أو رفض ويدل في أي اتجاه يظن الفرد نفسه أنه قادر، مقبول، محس بإمكانيات نجاحه أو قيمته[2].

أما بالنسبة لفرويد فإن الإحساس بتقدير الذات مرتبط بصفة خاصة إلىالليبيدو النرجسية[3]ويتطرق فرويد إلى النرجسية الأولية ويعني بها مرحلة مبكرة يقوم الطفل باستثمار طاقته الليبيديةعلى ذاته، كموضوع حب قبل

1.Claire Safont, Orientation de soi à l'adolescence Thèse de Doctorat Toulouse Mars 1992 P : 47.
2.Ibid.
3.S.FREUD, Pour introduire le narcissisme in la vie sexuelle P : 102.

اختيارمواضيع خارجية وتعد هذه الحالة مطابقة لاعتقادات الطفل إلى القوة الكبيرة لأفكاره، أما النرجسية الثانوية فهي تعني إعادة تحويل الليبيدي المنزوعة من الاستثمارات الموضوعية[1].

فمن بين الوظائف الأساسية لتقديرالذات التي تتعلق بإمكانية الاندماج الصحيح في الحركة ولأن كل فرد يبحث عن الاعتبار، الإعجاب، والحب في أعين الناس وهذا راجع إلى نظرة الآخرالتي تؤكد وجودناوتؤسس إلى مواطن التشابه والاختلاف و التي تكون في أغلب الأحيان هي مركز الحب، فالباحثون الذين قاموا بأعمال من أجل فهم اكتساب تقدير الذات قد أكدوا على أهمية حب الأطفال من أجل تحقيق معدلات نمو مرتفعة.

وما يمكن استخلاصه هو أن تقدير الذات هو في نفس الوقت شعوري ولا شعوري، فهو يبدأ مع الطفولة و يتطورعندما يخلق الطفل مفهوم الذات باستدخال التصريحات المقدمة من طرف الآباء بخصوصه .

ولايمكن إلا من خلال التجربة الخاصة من ما يمكن أن يفعله أولا، بحيث يقارن نفسه مع الآخرين أو مثال لأفراد الذين يريد الاشتباه بهم بالإضافة إلى تعريفات الآخرين لمعنى المثالية.

1.IBID.P 82/83.

الجانب التطبيقي

3. الجانب المنهجي

1.1سرد الحياة

2.1مقياس تقدير الذات

3.1 تقديم مؤسسة الاستقبال

4.1 طريقة عمل المركز

5.1 سيرورة البحث

4. تقديم الحالات

1.2الحالة الأولى: ثابت: الأب المنحرف أو العلاقة الثلاثية التي تتحول إلى اثنين ضد واحد.

2.2الحالة الثانية: علي:الأب الخاضع: هل من الممكن أن أكون أبا وفي نفس أكون الوقت خاضع لأمي؟

3.2الحالة الثالثة: رضا: "لو كان أبي حاضرا لما أصبحت جانحا " أب ناقص، ابن غير ناجح"

4.2الحالة الرابعة: طيب:الابن الضحية لأصدقائه، المضطهد لأمه

5.2الحالة الخامسة: نور الدين: التقمص إلى الأقران وليس إلى الأب

6.2الحالة السادسة: توفيق: الميلاد هوالولادة القانونية وهويعني حمل اسم الأب.

الجانبالتطبيقي*Plan pratique*

1. الجانب المنهجي:

إطار بحثنا ليس علاجيا وهو مبني على طرق كيفية والتي تتطلب استثمار وحضور طويل في ميدان البحث خاصة وأن العمل يتعلق بالعلاقة الإنسانية، بالكلام و مشوار حياة.

وهدفنا الأساسي ليس معرفة مخططات تمثلات أو أنساق قيم خاصة بإنسان معزول ولا أيضا جماعة أفراد و إنما الهدف هو دراسة مقاطع من مسار خاص، مؤكدين في ذلك على شكل العلاقة من ما هو اجتماعي بالنظر إلى السيرورة النفسية التي تميز المراهق اتجاه مسألة الأب.

فالجانب التطبيقي يبنى أساسا على دراسة الوسط المؤسسي، الملاحظة، نصوص حياة *les récits de vie*بالإضافة إلى السلم الأحادي لتقدير الذات*Echelle d'estime de soi de Rosenberg*.

من خلال هذه النصوص فإننا لن نحاول إعادة تكوين الماضي فقط، هذا ما يعني بأننا سنحاول أن نضع في نفس السياق مسار الحياة المعبرعنه وتسلسل الأحداث الموضوعي من أجل مقاربة التمثلات الذاتية للصورة الأبوية عن المراهق .

في هذا الإطار فإن المنهجية المتبعة تكون مبنية على المقابلات العيادية النصف موجهة.

1.1 نص الحياة *Récit de vie*

نص الحياة لا يعتبر أي خطاب وإنما هو عبارة عن بناء عن طريق حكاية يحاول صاحبها سرد قصة واقعية والتي تعكس السير الذاتيةالمكتوبة، تكون مختلفة داخل علاقة ثنائية مع الباحث الذي يوجه عناية المبحوث إلى وصف مجموعة من التجارب التي تمس من قريب موضوع بحثه[1]، ففي غالبية الأحيان فإن الأفراد لا يجدون أنفسهم في مثل هذه الوضعيات إلا نادرا من أجل التعبير عن أنفسهم بصفة متصلة وموسعة في حياتهم اليومية.

وقد لجأنا إلى هذا الاختيار لأنه وحسب رأينا يتناسب مع التقليد الشفهي المميز لمجالنا الثقافي، فعملية السرد تتطلب من الفرد العودة إلى الماضيومقاسمة حكايته مع الآخرين،فالنص يصف الحياة الداخلية للفرد وتصرفاته بالإضافة إلى حتمية المرور بالعلاقات بين الأفراد والجماعات.

وبالتالي فإن الفعل السردي يعكس وظيفة مزدوجة للفرد القاص من جهة والفرد الموضوع الذي تبنى عليه إستراتيجية البحث من جهة أخرى، فنفس الفرد هو الذييتكلم ويبرز أحواله الذاتية ومنه يمكن القول بأنه يكشف مكنوناته للباحث وفي نفس الوقت يتطرق إلى بعض الأحداث من زاوية قد تكون جديدة بالنسبة له وهو ما يساعده في فهم ذاته أكثروهنا يعطي الانطباع بأنه يقوم بشكل أو بآخر بطرح صورة تمثلية خاصة به .

1.Daniel Bertaux: les récits de vie Ed Nathan Paris 1997 P 65.

ويقول بول ريكر *Paul Ricœur* بأن الحكايات الذاتية ليست اكتشافا خالصا، بلهي عملية وضع في إطار سرد للواقع، عملية تنسيق الأحداث والتي تسمح بقراءة أكثر وضوح يعطي معنى للسلوكوهوما يؤسس للأطروحة الجدلية لما تعارف بتسميته *la dialectique de l'ipséité et de la mêmeté*[1].

فالفرد يتحدث عن ذاته وكأنه الآخر في خطاب موضوعي بضمير الغائب ولأن النص يحكي قصة حياة، فنجده مهيكلا حول تتابع زمني للأحداث والوضعيات التي تنشأ عنه، هذا التتابع هو ما يصبح فيما بعد العمود الفقري أو خط حياة والذي لا يجب أن يكون مماثلا لخط مستقيم أو منحنىمتوازن،كما يدل على ذلك اسم المنحنى.

فبالنسبة لبرتو *Bertaux* فإن أغلبية خطوط الحياة تكون مكسورة بالمعنى الهندسي للكلمة وبالتالي فإن كلفرد يحاول تمثل مسار حياته علىأنه شديد الانسجام وهو بذلك يتكلم عن ظاهرة إعادة البناء البعدي لهذا الانسجام وهو ما يطلق عليه برتو اسم الأيديولوجية البيوغرافية *Idéologie biographique* ويسميه بورديو *Bourdieu* الوهمالبيوغرافي*illusion biographique*

2.1سلم روزنبرغ *'échelle de Rosenberg L 1965*

و يتعلق الأمر بسلم أحادي مكون انطلاقا من النظرة الظواهرية لمفهوم تقدير الذات، هدفه هو فهم الإدراك الشامل للفرد بالنسبة لقيمته الذاتية، هذه الأداة تسمح بقياس إلى أي درجة الفرد يعتبر نفسه ذو قيمة ويمتلك مجموعة من الخصوصيات، مجموعة من الاتجاهات نحو ذاته كي لا يعتبر نفسه في حالة فشل أو عديم الفائدة [2].

هذا السلم يعتبر من بين أهم الوسائل المستعملة في الدراسات الناطقة باللغة الانجليزية (*Harter 1983,Wyllie1974*)ومن خصائصه أنه موجز نظرا لاحتوائه على*10* بنود فقط .

3.1 تقديم مركز إعادة التربية حاسي دحو *Présentation de la structure d'accueil*

يقع مركز إعادة التربية لحاسي دحو بحوالي 15 كلم جنوب ولاية سيدي بلعباس وهو عبارة عن مؤسسة تتكفل بإيواء مراهقين قاصرين يطلق عليهم وصف الجانحينمع بإمكانية استقبال 80 شاب، فهدا المركز يستقبل حاليا إلا 24 شاب .

ويعتبر نظام العمل في المؤسسة داخلي*régime de l'internat*ومن جهة أخرى فالمركز غير مؤهل لاستقبال القاصرين المعوقين ذهنيا أو حركيا.

فالشباب الوافد إلى المركز لا يأتي بمحض الصدفة،فكل إيداع يكون مسبوق بملف جنحة مهيأ من طرف النيابة العامة وكذا إجراءات الإيداع منصوص عليها بمقتضي المرسوم 75-64 بتاريخ 1975/09/26 بالإضافة إلى النصوص القانونية الردعية للقانون الجنائي الجزائري.

فعندما يكون هناك حكم نهائي صادر ضد الشاب القاصر، فإن هذا الأخير يؤدي العقوبة السالبة للحرية ويستفيد من برنامج إعادة تأهيل داخل المركز.

1.Paul Ricœur, soi-même comme un autre Paris éd. seuil 1990 P : 176.
2.Claire Safont, OP cité.

فخلال الإقامة يرتدي الشباب ثيابا نظيفة ملك للمركز،بينما يتمالاحتفاظ بأغراضهم الشخصية إلى غاية خروجهم من المركزويستفيد الشباب طبقا للمادة 35 من المرسوم سالف الذكر، من رخص للخروج ممنوحة من قاضي الأحداث بناءا على طلب الأولياء وبعد موافقة مدير المركز.

أما بالنسبة لأجنحة المركزفهي مبنية كأمكنة حياة منغلقة على ذاتها وعند ولوج مكتب الحراسة عند مدخل المركز،تجد جناحا إداريا متكون من مكتب المديرة وزيادة على ذلك هناك عدة مكاتب إدارية بالإضافة إلى بهو محفوف بأرائك موضوعة على شكل نصف دائري، بالإضافة إلى قاعة اجتماعات وعلى اليمين تجد مكتب المختص النفساني .

هذا الجناح يمتاز بموقع حساس يتم من خلاله مراقبة جميع ما يحدث في المركز، انطلاقا من ساحة يحدها من اليمين مطعم مهيئا وملعب جميل جدا لممارسة كرة اليد، بالجهة المقابلة يوجد قسم للإعلام الآلي مهيأ ب 06 حواسيب وهنالك قسم لتدريس المواد النظرية وقاعة كبيرة لممارسة النشاطات اليدوية ، بالمقابل وعلى جهة اليسار هناك مستودع للتلحيم وورشة نجارة أيضا ويشمل المركز أيضا عيادة طبيةوقسم مزود بآلات غسيل يتم فيها غسل الثياب داخل المركز .

كما أن الإيواء يتم في جناح يجمع الشباب حسب فئة الأعمار ويبقى جناح آخر شاغرلأن عدد الشباب غير مرتفع في هذه السنة، كما يحتوي المركز علي عدة سكنات وظيفية .

أما بالنسبة للطاقم البيداغوجي فهو متكون من مديرة للمركز، مقتصد، 3 سكرتيرات، طبيب، ممرض، نفساني و6 مربين مختصين بالإضافة إلى عدد كبير من العمال المكلفون بنشاطات مختلفة كالطبخ، التنظيف، الحراسة الخ ....

وتتفاوت مهام هذه المؤسسة من ناحية إعادة التربية والقمع ولكن ذلك لا يكون إلا بنسب متفاوتة، لأن هناك عمل مدروس يأخذ بعين الاعتبارحاجات التعلم التي يبديها عدد كبير من المودعين داخل هذا المركز.

ولهذا الغرض سطرت دورات تكوين مهني في الحدادة والنجارة وفي آخر المطاف يتم منح شهادات من مركز التكوين المهني لولاية سيدي بلعباس لتفادي الإشارة إلى مركز إعادة التربية وذلك لاحتفاظ بإمكانية الدمج لهذا الفئة بعد الخروج من المركز.

4.1طريقة عمل المركز:*Fonctionnement du centre*

على الساعة التاسعة صباحا يدخل فريق النهار لتعويض الفرقة الليلية، فبعد أخذ فطور الصباح يتوجه الشباب إلى ورشات المركز الثلاث وفي منتصف النهار يتم إعلان ذلك انطلاقا من صفارة المركز ليتم ترتيب الشباب في سلسلة أحادية، كل واحد وراء الآخر تحت النظر المباشر للمربين وتعد وضعية المربي حساسة لأنهيعمل من قريب وعليه حل مشكل عن مسافة مناسبة التي لا يجب أن تكون بعيدة جدا، كما لا يجب أيضا أن تكون قريبة جدا.

5.1مجريات البحث:*Déroulement de la recherche*

إن إقامة مشروع بحث خاص بفئة تعاني من سمات التهميش أمر غاية في الحساسية،فهؤلاء الشباب تعودواعلى محاضر التحقيق(لقاءات مع القضاة ، الشرطة، خلايا العمل الاجتماعية الخ ...) وكل محاولة التدخل الإضافي في مجريات حياتهم الخاصة أو ما تبقى منها يتطلب الكثير من المهارة والاحترام، فبعض الشباب يعيشون في علاقات حذر وتحدي بالنسبة للعلاقات الإنسانية والمؤسسة المحيطة بهم.

ولهذا فقد اخترنا أن لا نقوم بالمقابلات إلا مع الشباب الذين يرغبون في ذلك وهذا بعد إعلامهم بفحوى البحث والهدف من هذه اللقاءات وذلك بعد أن تعودوا على حضورنا المتواصل بالمؤسسة لعدة أشهر بمعدل مرة أو مرتين في الأسبوع .

ونظن في هذا الإطاربأن الطلب المقدم تارة منا بعد دردشة مع هؤلاء الشباب وتارة يأتي الطلب منهم بعد إخبارهم عن بعض التفاصيل العامة للبحث،لأن هذه الطريقة تجاوز فكرة العقاب والوظيفة الردعية بصفة عامة وهو عبارة عن باب يفتحه الشباب ويحاول بذلك أن يذهب إلىأبعد مستوي وإقامة عمل حقيقي معا.

حاولنا بقدر الإمكان أن نتفادى جميع الأوصاف الفيزيائية لهؤلاء الشباب ولا نعتمد إلا على أقوالهم بدون إدراج أي وثيقة من ملفاتهم في التحقيقات والتحليلات التي قمنا بها.

ونظرا لكل ماسبق وصفه أثناء تقديم المؤسسة، فقد ارتأينا بأن نقيم المقابلات بمكتب المختص النفسي لأنه يقع في عمق الرواق وهو كذلك معزولا عن ما يجري في المركزويوجد بالإضافة إلى المكتب طاولة صغيرة وكرسيين بالإضافة إلى خزانة، فأجلس من ناحية الطاولة الصغيرة ويقابلني الشاب وأخرج كناشي، القلم وآلة التسجيل .

ونقوم بإخبارهم بالهدف من البحث ونطلب منهم بأننانقوم بمقابلات يكون مضمونها محفوظ بالسر بدون الإدلاء إلى المؤسسة بأي معلومة تخص مجريات المقابلة وتدريجيا يتحرر عن الكلام، فهؤلاء الشباب في معظمهم عاشوا أطوار حياة صعبة ومعقدة والتي تعطي للبعض منهم نوعا من النضوج ونظرة خاصة عن الحياة وعن وضعيتهم أيضا.

2. تقديم الحالات:

"الحياة ليس ما عشناه ولكن ما نتذكره وكيف نتذكره"قابريالقارسيا ماركيز *Gabriel GarciaMarquez*العيش من أجل الحكاية .

القصة التي تسردها الحالة لا يمكن أن تكون إلا تصور، لأن المقابلة مع الشاب تتم داخل علاقة التحويل التي تجمع ذاتيين: ذاتية المراهق وذاتية النفسانيوبعد ذلك فإننا سنحاول استخراج بالنسبة لكل حالة النتائج المتعلقة بالمعنى الذي تكتسيه مسألة الأب.

1.ثابت: الأب المنحرف أو العلاقة الثلاثية التي تتحول إلى اثنين ضد واحد.

ثابت شاب يبلغ من العمر16 سنة وقدتم إيداعه بالمركز على اثر اعتداء بالسلاح الأبيض قام به ضد خاله، طلبت منه القيام بمقابلات بشكل غير مسمى*anonyme* وبطريقة سرية، فوافق وقدجرت هذه اللقاءات أثناء إجراءات الطلاق في محيط عائلي مشحون بالصراعات فثابت تكلم بدون فكرة أساسية، تحدث بسرعة، كلماته توالت عن طريق التداعي بشكل لم نستطع بعدها إيقافه .

<u>النـص:</u>

اسمي ثابت وعمري 16 سنة وأنا مولود بمدينة سيدي بلعباس، عندي أخ يكبرني بثلاثة سنوات وأختين سنهما علىالتوالي اثنا عشر وثلاث سنوات، أبي بائع سلع قديمة، عائلتي الأبوية متكونة من عم أكبر، عمتين بالإضافة إلى الجدة التي تعيش أثناء فترات قليلة عندنا وباقي الوقت عند عمي، أمي مولودة في دائرة متاخمة لولاية سيدي بلعباس ولها أخوين وأربع أخوات، حديثا توفي أباها وعلى ما يبدو هناك مشاكل عائلية متعلق بالميراث حاليا.

أخي الأكبر حاليا موقوف في السجن، صحيفة السوابق العدلية لديه تحتوي على6 أحكام جزائية نظرا للجنح التي قام بها عند ظروف الشدة، أخي يتناول الكحول، يستهلك المخدرات ويقضي لياليه خارج البيت منذ بلوغه سن 15 .

فبمجرد خروجه من سجن عين تموشنت بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال،حتى قام بعد15 يوممن ذلك بعملية سرقة هاتف محمول باستعمال السلاح الأبيض، فأثناء قيامه بالاعتداء كانت هناك دورية الشرطة القضائية التي لمحته وباغتته بعد ذلك ليلقى القبض عليه بالقرب من الجسر القديم للمدينة .

في المرات السابقة عندما كان أخي قاصرا، كان يقضي من 6 إلى7أشهر في مؤسسات إعادة التربية، أما الآن فإن المحكمة أدانته ب3 سنوات حبس نافذة، فقصة أخي صعبة، فأبي لم يكن يريده في البيت وأمي كانت تحميه عندما تسمح الظروف بذلك ولكن علاقتهما لم تتحسن بالرغم من مرور السنين .

أبي لم يكن يترك لأمي سوى مبالغ ضئيلة في اليوم وأحيانا لم يكن يفعل ذلك وأنا أظن بأن ما يقدمه غير كافي لإشباع رغبات 5 أفراد في اليوم بالرغم من أنه يصرف كل يوم الأربع أو خمس آلاف دينار في اليوم.

أبي يحتقر أمي فهو يقضي ليله خارج البيت أو أحيانا في سيارته، فبحبوحته تسمح له بالعيش كالسلطان، فمثلا لو يبيع في الساحة سلعة مكونة من مائتي حذاء رياضي، فإنه يحقق ربما ربحا صافيا يقدر بثلاثين أو أربعين ألف دينار جزائري في لمحة بصر.

أبي لا يتمتع باعتبار كبير بين أفراد عائلته، لا أحد يأتي عندهفهو مكروه من طرف الجميع، حتى أن أخيه الوحيد لا يكن له المحبة، أخواته أيضا مترددات بشأنه، فهو لا يحترم القواعد الاجتماعية ويعنف أمه البالغة من العمر ستة وسبعون سنة بدون الإحساس بالذنب .

عمي تاجر ملابس وهو رجل معروف باستقامتهوبتقديمه نصائح لأمي، بحيث يطلب منها أن تبقى صبورة وأن لا تأخذ في الحساب زوجها المصاب بخلل عقلي، فأبي يسب أمي طوال اليوم، يضربها عندما تقضي جدتياالليلة عندنا فهي أيضا لا تسلم من هذه التعاملات الخشنة فأمي تملك حوالي 12 شهادة طبية نتيجة العنف الزوجي وهي تعاني من عدة كسور في الذراع، في الأنف على مستوي الصدر، جدتي المسكينة تردد بأن أبي كان لا يطاق .

في البداية أمي لم تكن على علم بحقوقها ولم تقم بأي رد فعل إلا مؤخرا من أجل التبليغ عن عنف الزوج وكان الفضل يعود إلى خالاتي اللاتي اخبرنها بمثل هذه الإمكانية، فهي الآن لها رد فعل ولعل لهذا السبب أن أبي لا يحب أفراد عائلة أمي.

أبي متقلب المزاج حتى أن الشرطة وبعد تسخيرها لاحترام ما ينص عليه القانون في حالات العنف الزوجي، فمند ثمان أشهر كانت هناك قضية في المحكمة تخص أبواي ولكن في آخر لحظة تسحب أمي شكواها و تقول لا يجب عليها الأخذ بجدية والدي .

أبي يشرب الكحول كل يوم أي أربعة و عشرين ساعة على أربع و عشرين ساعة، أمام الناس يسبني ويقول إن لم يعجبك هذا اذهب للعيش في الشارع، لا يمكن لك أن تصبح سارقا إذا أحببت ذلك ، منذ ولادتي لم أصادف سوى المشاكل، لم يكن هناك هدوء في البيت فالفرحة لم تكن مقبولة نتيجة للعراك المتكرر .

طفولتي كانت تعيسة، إنه الضباب الكامل ليس لدي ذكريات كثيرة عن هذه المرحلة، فأنا أتذكر أنه عندما كنت أذهب مع أبي إلى شاطئ البحر رفقة أخي، كنا طفلين في إقامة بحرية وسط مجموعة من الخمارين، أقصد أصدقاء أبي وأمي تبقى في البيت نتيجة خلافاتها مع أبي.

في المدرسة المعلمة لم تكن نزيهة، نقاطي كانت دائما تحت المعدل،ففي أحد الأيام ثرتوطلبت من المعلمة بإعادة التصحيح، فتدخل مدير المؤسسة الذي عاقبني بدورهولهذا السبب قررت قطع مشواري الدراسي خلال السنة الثالثة ابتدائي.

عملت بعدها مع أبيوكنا نبيع الملابس القديمة، الأثاثوكنت أتنقل معه إلى الأسواق الأسبوعية: ماسرة، رأس الماء، عين تموشنت وكنت أبذل مجهودا كبيرا، أبي كان يمنحني بشح ما بين مائتين إلى ثلاثة مائة دينار وكنت أظن أنه شيء قليل بالنظرإلى المجهود المبذول ولكن كنت أفضل السكوت وأتقاسم مع أمي المبلغ وهذا أفضل من لا شيء.

إنالمحل التجاري لأبي كان به عاملان وهما لا يدخران جهدا في تشويه صورتي وكان سلوكهم المدروس الهدف منه هو إبعادي عن تسيير الدكان وبهذه الطريقة يخلوا لهم الميدان من أجل سرقة البضائع والأموال من صندوق القبض.

عند طفولتي كنت قريبا من أبي وكنت أرافقه في كل الأمكنة، كنت ابنه المفضل، الآن تغيرت الأمور منذ أن أصبح يخالط العاهرات، فأبنائه ليس لهم أهمية، عندما يكون في حالة سكر فهو يعترف بأنه لم يحب أمي في يوم من الأيام وأن زواجه بها كان بسب التقاليد فحسب.

مؤخرا قمت بزيارة أخي داخل السجن وقد كان منهارا وحظيت في هذا اليومباعتراف ثقيل:"أبي هو السبب في سقوطي في هذا المكان" فهو الذي قام بطردي من المنزل، بل حتى لم يقم بزيارتي، لقد بعثت له رسالة عن طريق أحد الحراس أترجاه فيها أن يأتي لرؤيتي لأنني اشتقت إليه،فلم يكلف أبي نفسه عناء الإجابة.

عند رجوعي إلى البيت سمعت أبي يقول بأنه ليس ابني إنني أنكره، أخي كان مغتاظ فهو لم يعش طفولته جيدا أبوه لا يحبه، جدتي تساعد أمي ماديا في شراء مستلزمات القفة خلال الزيارات الأسبوعية للسجن،لاحظت أن أخي فقد الكثير من وزنه وهو يحمل وشما على ظهره، كتفيه و ساعديه .

أمي تردد دوما بأن أبي لا يعترف بقيمة الحياة العائلية وكدليل على ذلك فهو لا يريد الحفاظ على استقرار عائلته مفضلا على عكس ذلك تقلبات الحياة الهادئة،فأبي يناشد فينا موضوعية الأحكام فبالنسبة له، أمنا ليست محترمة لنفسها ويزعم بأننا لو أطعناه فلن ينقصنا شيءوبالرغم من أن أمي لم يسبق لها أن وضعت أقدامها خارج البيت بدون إذنه، حتى الحمام فهو يرافقها و ينتظرها عند الخروج .

لمدة عشرون سنة من الحياة الزوجية أمي لم تعش سوى المشاكل معه و في المرات القليلة التي كانت تذهب لزيارة أهلها، فإن أبي كان يدعوا زمرة الخمارين إلى البيت وفي الغد عند الرجوع كان لا بد عليها أن تجمع جميع قارورات النبيذ التي تغطي الأرضية.

علاقتي مع أخي عادية و لكن هذا لا يمنع بوجود بعض المشاكل لعل الأهم منها هو ما حدث بعد عيد الاستقلال، ففي هذا اليوم أبصرته وبيده خنجر وقنبلة مسيلة للدموع، قال لي بأنه ذاهب مع صديقه معتاد السجون من أجل القيام بعدوان، اللذان كانا ينويان القيام به في المناطق المعزولة من المدينة.

في المساء رجع أخي ومعه مبلغ كبير حوالي عشرة آلاف دينار،طلبت منه ألفي دينار مقابل سكوتي و هو ما رفضه بكل قوة ومن أجل الانتقام أعلمت أمي فمباشرة بعد ذلك أصابني بجروح على مستوى الرأس باستعمال سلاح أبيض، فقمت برد انتقامي بعد أن سددت له ضربة بواسطة عصى على مستوى الرأس .

كما قمت بإعلام أبي عن طريق الهاتف وبعد بضعة دقائق وصل أبي وفي يده عصا غليظة كان يريد قتل أخيوبعدها قمت بوضع شكوى أمام محافظ شرطة الحيوالقضية قيد الجدولة، يوم الجلسة سأسحب الشكوىفأخي له ما يكفيه من المشاكل.

في العائلة أمي تفضل أخي الكبير بينما أبي يحبني، أمي هادئة، صبورة وصامتة أمام العدالة، فهي تسحب الشكاوي المودعة ضد أبي وتصمت، لست ادري إن كانت تحب زوجها أم لا، أما من جهته فلست متأكد من انه يحبها وحده الله يعلم،ففي المرات القليلة التي كانت أمي تترك البيت الزوجية مغتاظة، فإن أبي كان يأتي بمجموعة من الشخصيات النافذةمن أجل أن يترجاها لكي ترجع إلى البيت .

أما الآن ومنذ أن أصبح يقيم علاقة مشكوك في أمرها مع امرأة تأتي إليه في الدكان، فقد قرر أبي إتمام إجراءات الطلاق وقد نجحت في تتبعه دون لفت انتباهه على متن دراجة نارية وأنا متأكد بأنه يعتاد على بيوت الدعارة المغلقة في الأحياء الجانبية للمدينة وكنت قريبا منه عندما كنت صغيرا واعلم ما أقوله عندما أتكلم عن أماكن الفواحش .

في يوم من الأيام اقتفيت أثرهوكنت مع صديق لي علي متن سيارة، أبي توجه إلى نزل ذو سمعة رديئة، في مدخل هذا المكان كان يوجد المسير القائم به وهو في حقيقة الأمر قاطع طريق متهم في عدة قضايا امتلاك أسلحة نارية، الترويج للدعارة والمخدرات...

لقد تم القبض على أبي مرتين الأولى نتيجة لحالة سكره المتقدمةوالثانية بعد الشجار الذي قام به مع جيرانه وأتذكر بأنه أتى بسلعة متكونة من مائتي زوج حذاء رياضي ولاحظ بأن الجيران يتجسسون عليه من السطح المجاور فدخل في حالة غضب كبيرة وأوقف عملية فرز البضاعة المفروشة في ساحة الفناء وخرج مهرولا إلى مكان مجهول لتناول المشروبات الكحولية.

وعند عودته في ساعة متأخرةوجد الجيران في انتظاره وهنا وقع عراك، فأبي أثناء شبابه كان رياضيا يمتلك الحزام الأسود في رياضة الكراتي، أنا أيضا كنت أمارس رياضة الجيدو قبل أن أتوقف عنها، هذه القضية كلفته مهلة حبس قصيرة .

عمي وجدتي هما الشخصين اللذان أقدرهما كثيرا، ففي حالة العراك اطلب تدخلهما وأبي لا يستحسن تدخلهما، أمي تكبدت عشرون سنة من الحياة السيئة فهو من اعتبره خاطئا، لأنه يكسر الباب ويحطم الأواني، لا يفكر في العواقب ويتهجم على الجميع.

أختي التي تبلغ اثنا عشرة سنة سئمت من هذه الوضعية الجهنمية وهي لا تتوقف عن البكاء خاصة وبعد أن قررأبي إيقافها عن مزاولة دراستها فهو يقول بأنه لا يطيق رؤيتها في متوسطة مختلطة، أمي حاولت التدخل ولكن قرار الأب كان بدون رجعة، أختي لا تستطيع الصمود أكثر في مثل هذا الجحيم وهي معرضة للهرب من البيت في أي وقت، حتى أن أختي الصغيرة التي تبلغ 3 سنوات قد أصيبت بعدوى المناخ المطبوع بالعنف غير مسبوق، فهي تكرر طوال النهار العبارات البذيئة وتقلد بدون تمييز حركات أبي غير محتشمة، رجل كبير في السن اخبرني بأنه تعرف على أبي في مثل هذه الوضعية وأنه من غير الممكن تقويمه لابد من قبوله كما هو.

أخي أيضا يكره أباه ففي يوم دخل أبي في حالة سكر في ساعة متأخرة من الليل وكان يحاول الاعتداء على أميوكان الأمر مهولا، أمي كانت مستلقية ونالت ضربات الرجل الخشنة على مستوي البطن وباقي أنحاء الجسم، لم يكن بإمكاني رد الاعتداء ولكن أخي ثار وطلب من أبي في شكل غاضب إيقاف مثل هذا العنف .

أبي كان غاضبا أمام ثورة الابن وحاول خنقه، أمي خرجت من البيت في حالة يرثي لها ولم تكن تحمل سوى لباس قديم، بدون خمار أو سترة على الرأس، حافية القدمين وهذا ما لفت انتباه رجال الأمن الذين كانوا يقومون بدورية حراسة،فمباشرة بعد ذلك قاموا بإيقافه على الساعة الرابعة صباحا وفي الغد تم إخلاء سبيله، فمنذ سنة والدي لا يتقاسمان غرفة النوم ويبيتان منفصلين، أما أنا فأتقاسم نفس الغرفة مع أمي وأخواتي، أمي تطفأ عداد الكهرباء وتبقى مستيقظة لأن باب غرفتنا محطم .

فلوا صدقنا عبارات أمي فإن زواجها تم في ظروف صعبة، عمي تشاجر مع أبي ولهذا يمكن القول بأنها عاشت عشرون سنة من المشاكل، مؤخرا أبي هدد أمي بالقتل قائلا "**سأقتلك ولا يجد أحد أثرك**".

أسبوع قبل إيداعي في مركز إعادة التربية نطق القاضي بالطلاق، كما اسند حضانة الأطفال لأمي بالإضافة إلى حق البيت وإلزام أبي بدفع ألفين وخمس مائة دينار لكل طفل مرفقة بغرامة قدرها مائتي ألف دينار جزائري .

هذا الحكم لم يحل أي مشكل، ففي حقيقة الأمر أمي تشعر بالخوف أكثر فأكثر ولا تخرج من بيتها إلا نادرا خوفا من أن يبيع أبي البيت بدون علمها، لتصبح بين العشية وضحاها على الرصيف.

المشكل هو بالرغم من أن حكم الجهة القضائية أصبح نافذا، إلا أن أبي لم يمتثل له وهو مستمر بالعيش مفترقا عن أمي لكن تحت نفس السقف، صحيح أن بيتنا كان ملك لجدتي ولكن تدريجيا قام أبي بتعويض أخواته بينما قام عمي بالتخلي عن نصيبه لكي نعيش في كرامة .

فعندما أتشاجر مع أبي، التفت إلى أصدقائي لكي أتجنب الانغلاق على ذاتي، عندي أربع أصدقاء نذهب سويا إلى المقهى في الساحة العمومية، المفضل من أصدقائي هو شاب بالغوالذي لديه 04 صحائفللسوابق العدلية فلقد قامبأربع جنح متعلقة باستهلاك الخمر والمخدرات، أما بالنسبة لي فإن شرب الخمر لا يستهويني, فأنا لم أتذوقه سوى مرة واحدة في حفل زفاف .

مؤخرا تعرفت على طفلة من نفس العائلة وصرحت لأمي بأن هذه الفتاة ستكون زوجتي في المستقبل ونقضي سويا وقتا جميلا،نذهب معا لتناول البيتزا، ففي بعض الأحيانأسددثمن المأكولاتوهي تقوم بنفس الشيء في أحيانأخرى.

سببإيداعي يرجع إلى دخولي للبيت لاحظ أبي بأنني لاأحمل بذلتي الرياضية، فاستنتج مباشرة بأنني بعتها وطردني من البيت، فقررت الذهابإلى جدتي من ناحية الأم في القرية المجاورة.

فلما وصلت كنت شاهدا على عراك مابين خالي البالغ من العمر ستة وثلاثون سنة وابن أخته وهو شاب مدمن على تناول المخدرات، فلما رآني خالي تكلم معي بخشونة وطلب مني الرجوع من حيث أتيت، فأجبته بأنني لست ضيفه وبأني جئت إلى جدي وهنا احتدمت المناوشات الكلامية وقمت بتهديده بسكين كنت أحملهوهنا حضر رجال الدرك الوطني ولاحظوا المشهدوقاموا باعتقالي .

ففي حقيقة الأمر هناك ظروف متعلقة بمشاكل تقسيم تركة جدي، فخالي يريد أنيستأثر لنفسه بنصيب الأسدوأمي لن ترث إلاأربع مائة وخمسون ألف دينارو‌هونصيب الذي سيسمح لها من أن تشتري لي دراجة هوائية ولكن القصة لا تنتهي عندهذا الحد فحسب فخالي له طموحات من جانب البنت التي تقاسمني مشاعر الحب وأنامتأكد من أنهاستأتيإلى المركز لزيارتي .

فالإيداع سبب لي خوفا كبيرا فهي بالنسبة لي تجربة أولى مع رجال الدرك ولا ينتابني الشعور بأنهذا المسلككان حتميا، ففي داخل المركز حاول شاب تخويفي، فقمت بضربه فالمربي كان يعلم بأنني جديد في المركز ولكي يردعني قام بضربي ضربا مبرحا مسببا لي جروحا وكدمات على مستوى الوجه، الصدروالأنف.

فتم فحصي من طرف الطبيب وأعلمنيبإمكانية متابعة المعتدي قضائيا ولكن عند عودتي إلى المركزوقعت تحت ضغط المربي من أجل إسكات هذا المشكل.

في العطلة الأسبوعية الموالية حظرت أمي وجدتي من أجل الزيارة وكم كانت صدمتها كبيرة عندما راني على حالة يصعب التعرف على وتحت إلحاحأمي تكلمت عما جرى،فذهبت جدتي إلى والدي لإخباره عن حالتي الكارثية، في اليوم الموالي حضرأبيإلى المركز في حالة سكر متقدمة وكان يريدمعرفة ماجرىلابنه وهو يسب الجميع، فأثناء لقائنا قبلني وكنت مشمئزا من رائحة الكحول المنبعث منه، بعد ذلك طلب مني معرفة حقيقة الأحداث، فأجبتهكذبا قائلا بأن القضية لاتتعدى عراك مع أحد الشباب في المركز، رغمهذا طلب مني الهاتف المحمول الذيأهدانيإياه وقلت للمربي : إذاألحأبيسأعيد له هاتفه.

لايمكنني التفاهم مع أبي، كل واحد انسحب من طريق الأخر، عند خروجي من المركز لنأعمل معه،سأبقى مع أميوإخوتي ولقدطلبت من المربي أن لايناديني إذا حضر أبي خلال العطلة أسبوعية،أنا لم أخطأ معهحتىأن لاأحد يحبه .

أمي تظن بأن أبي هو السبب في إفلاسنا، فهو يعطي المثال السيئويحثبميولاته السيئةلانحرافأبناءه،إنه رجل عصبي جدا وصحته العقلية مشكوك في أمرها،فهو محل متابعة من طرف طبيب عقلي وهويتناول الكثير من الأدوية لهذا الغرض وهو لايتوقف عن القول: أمكم عاهرة، فقد استولت علىأبنائي.

تعليق:

المجتمع التقليدي يقوم أساسا على التفرقة ما بين الأدوار الجنسية وذلك بالنظر إلى مكانة الآباء والأمهات، ثقافيا فإن التقسيم الجنسي لأدوار يسهل توثيق العلاقة ما بين الأم والطفل غير متساوية تماما بنظرتها المتعلقة بالحجر العاطفي العلائقي ما بين الأب و ابنه.

ففي تقسيم الأدوار، فإن الأب يتكلف بمهماته خارج البيت فتواجده الجسمي داخل الأسرة قليل،فدوره يبعده عن الطفل بينما الأشغال داخل البيت تقرب أكثر فأكثر الأم من طفلها.

فالأب اختصاصي في المجال الخارجيأو العام يعرف وظيفته الانفاقية،مهمته الأساسية هي الإتيان بالمال لتسيير أمور البيت، فمن وجهة نظر فيمكن القول بأن مكانة الأب تبقى مرهونة بحجم الاتفاق الذي يبديه الأب للتكفل بحاجيات العائلة، بل ففي المجال الاجتماعي فإن الأب يمكن تشبيهه بالجيب بينما تمثل الأموال من الناحية الرمزية القضيب.

من الناحية الاقتصادية فإن أب ثابت لا يتحلى إلا بقليل الاهتمام بالحاجيات الأولية للأسرة، فهو ينفق بشح كبير ولكنه لا يتوانى في تبذير الأموال عندما يتعلق الأمر بالخمر.

حتى يكون الإنسان أبا فإن ذلك لا يأتي من العدم، فشخصية الأب تترجم إلى أفعال متواصلة يوميافي هذا الإطار فإن علم النفس الأنثروبولوجيا متفقان على أن الأبوة لا تعتبر حالة جامدة، فهي عبارة عن سيرورة أو قاعدة سلوكية التي تظهر من خلال الرغبة الباطنية والتي تتجلى خلال تأدية المهام الوظيفية للأب اتجاه أبنائه،ج.لو.كامو طور نظريته وفق هذا المفهوم بحيث تكلم عن الأب الذي لا يتوانى من أجل أن يمنح شيئا من وقته، طاقته، ماله و معرفته، فالأب هو الذي يعطي من وقته و يتقاسم مع أبنائه أهم ممتلكاته دون أن ينتظر مقابلا.

من جهة الأم فإننا نلاحظ وضعية خضوع متواصلة منذ سنوات طويلة، فبالنسبة لهذه السيدة فإن حياتها الزوجية متكونة من رجلساهم في قطيعتها مع عائلتها، **"أبي لا يحب أفراد عائلة أمي"**فهذه السيدة غير معترف بها كشخص راشد من طرف زوجها، فهي لا تتعدى مكانة بنت عائلة أخرى تحت سلطته و سلطة عائلته،كأمي لاكوستدوجردان تتحدث عن التدريب العائلي للأم يتم تقليديا عن طريق إخضاع الفتيات لمنطق الإدعان ليتم سقل شخصياتهن وفق الأدوار التي سطرتها الثقافة الأبوية لهن[1].

1. Camille Lacoste du jardin des mères contre les femmes p 67.

ثابت يعترف بأن طفولته كانت تعيسة وبأنه لا يتذكر سوى الشجارات المتكررة ما بين أبويه على وجه الخصوص، حتى وإن قام بمجهود كافي فإنه يتذكر أوقات قليلة قضاها برفقة أخيه الأكبر منه بسنة ووالده على شاطئ البحر ولكن في هذه الاستراحة فالأب كان لا يتوانى على استهلاك المشروبات الكحولية رفقة زمرة الأصدقاء بدون اكتراث لنظر الابن،الأم كغير عادتها كانت مقصية من العطل وتبقى في البيت نظرا للخلافات غير المنتهية مع الزوج.

في المدرسة يخبرنا ثابت بأن المعلمة لم تكن عادلة معه وبأن المدير أيضا كان يعاقبه بدوره وفي يوم من الأيام يثور في القسم ويقرر مقاطعة دراسته، فلو رجعنا إلى كافة التوجهات النظرية فإننا نجد بأن المدرسة هي من المؤسسات المحورية في تنشئة الأفراد والجماعات،المدارس و الملحقات التعليمية تعد من بين البنيات التي يستحيل الاستغناء عنها في إطار اكتساب العلوم والمعارف ضمن المشروع التربوي والتشخيص المسطر من طرف المجتمعات.

غيرأن الفشل المدرسي يولد دائما نوعا من الإحباط، فإن حصل الفشل يتم إدراكه على أنه يشكل خطرا للصورة الذاتية، فإن الشخص قد يلجأ إلى تبني إستراتيجية وقائية من أجل الابتعاد عن تحضير الذات، حيث أن الوضعية الدفاعية تصبح محل الاهتمام الأول ويؤدي ذلك في غالب الأحيان إلى تكرار الاستحواذي للأخطاء، موعزا بذلك المسؤولية إلى الأشخاص الآخرين، في هذا الصدد فإن ثابت لم يتساءل عن مسؤولية الذاتية فيما حدث له من فشل مدرسي و راح يتهم الآخرين مباشرة المعلمة، المدير...الخ.

بالنسبة**لتاب** و**أنا ماليوسكا**فإن كان إدراك الفشل على أنه حاجز أمام تحقيق الذات أو إبداء التطلعات، فإن الفرد يمكن له أن ينعزل بذاته و يعيد اعتبار وضعية بناءا على مستجدات هذه الوضعية، حيث أن الانعزال يمكن له أن يظهر على النحو التالي:

- رفض المشاركة في التوافق الاجتماعي و رفض القواعد و القيم المتبناة من طرف المجتمع
- رفض القيم يتوافق بانغلاق اجتماعي و جغرافي في شكل عزلة و رفض للاتصال بالمحيط [1].

بعد مغادرتهلمقاعد الدراسة عمل ثابت عند والده مقابل أجر زهيد كان يتقاسمه مع أمه في سرية تامة، فخلال هذه الفترة يحكي هذا الشاب قصة العاملين اللذان كانا يعملان في متجر الأب واللذان لم يدخرا أي جهد من أجل إلهاب غضب الأب ضده ليتم طرده من الدكان و بعد ذلك فسح المجال لهم للقيام بسرقة ما يمكن سرقتهو هنا نتساءل إذ كانت الوظيفة التربوية للأب هي تسبيق سماع أشخاص آخرين واتخاذ قرارات سريعة بدون أخذ الوقت الكافي لسماع الابن و تفهم سلوكاته؟

خلال مرحلة الطفولة يشير ثابت إلى قربه من أبيه و بأنه لم يكن يفارقه في كل الأحوال و لكن حجم العلاقة تضاءل خاصة بعد اكتشافه لخيانته لأمه، لاحظ هذا الشاب بأن والده يعتاد أماكن الدعارة و اقتفى أثره في عدة مناسبات.

1PietreTap.H MalewskaPyre : la socialisation P : 7-14

الأب معرف بالنسبة إلى وضعية كزوج بالنسبة للأم،فإن حاد الأب عن هذه المكانة فإن علاقته بابنه ستعاني من هذا الانحراف، فخلال كل المقابلات استعمل هذا الشاب عبارات تقزيمية من أجل النيل من العلاقات الشاذة للأب**"نساء عاهرات، علاقات مشكوك في أمرها، أماكن الرذيلة"**، فهذه العبارات تقصي مبدأ الحب في علاقات الأب مع خليلته، فعلى سبيل المثال فإن المرأة التي تعتاد دكان أب ثابت كانت محل مشاعر متناقضة من طرف الشاب، هذه الوضعية تكرس مبدأ التناقضية في الأحاسيس، فالحب مخصص للأم والكراهية لصديقة الأب التي نزعته من أحضان عائلته واستغلت قربه منها.

من هذا الموقف يصبح هذا الابن يتكلم عن أبيه بدون أي مصداقية، في مقطع من أحاديثه يقول:**"أن ما يحدث ليس بالأمر الجيد، فأباه يخون أمه بالرغم من أنها لم تقم بأي شيء خاطئ تجاهه"**، فهذه الجمل تنطوي على أن العلاقات الجنسية للأب تعتبر كانحراف وبأنه تحطم تمثلان الأب الزوج في مخيلة الابن.

خلال الطرح النظري تعرضنا إلى مفهوم الأب من الزاوية الوظيفية وقلنا بأنه الطرف الذي يهدف إلى تحويل العلاقة الطبيعية الثنائية(أم- طفل) إلى علاقة ثلاثية، فالأب يقوم بوظيفة الأبوة عندما يتمكن من إحداث تفرقة في العلاقة الذوبانية أم طفل، فالأب هو من يستطيع أن يشغل تدريجيا مكانة الأب بنفس الصفة التي تتمكن الأم من شغل مكانتها.

في بداية الأمر فإن الطفل يكون مصهورا في العلاقة البدائية مع الأموتحدثنا في هذا المجال عن التقمص الذوباني المتقدم، فدخول طرف الأب أساسي لكي يستطيع الطفل الخروج من هذه العلاقة.

فهذه التفرقة تحدث عندما يدخل الطفل مواصفات الأب وخصوصياتهوهو ما يعرف بالتقمص الاوديبي، فتقمص شخصية الأب يعني حدوث نوع من الابتعاد النسبي عن الأم، نوع من تراجع التقمص تجاه شخصية الأم.

فتراجع التقمص نحو الأم يتم تحقيقه بأكثر ليونة عندما تحضر الأم الطفل من أجل تطوير علاقاته العاطفية اتجاه الأبوهو ما يفسر نجاح الأم عند قيامها بدورها بالشكل المطلوب في ميدان العلاقة الزوجية مع الأب، فالأم الجيدة هي التي تدفع الطفل اتجاه أبيهوتساعده بذلك للخروج من العلاقة الذوبانية الأولية.

أب ثابت بدلا من إسناده هذه السيرورة فإنه يعزز من قوة التحالف ما بين الأم و ابنها وهو الأمر الذي يساعد على توجيه الشحنة الانفعالية للابن في اتجاه الأم بدلا من الأب، في هذا الصدد يمكن القول بأن العلاقة الأوديبية تصبح مغلوطة لأن العلاقة الثلاثية تصبح علاقة ثنائية قائمة على محور الأم والابن فقط.

بالنسبة لثابت فإن الزوج الأبوي ينعكس من منطلق الانفصال عن الأب، ففي مرحلة الطلاق وتكرر الأم**"أبوكم لا يعرف قيمة الحياة العائليةلأنه لا يرغب في المحافظة على استقرار أسرته".**

الأب لا يحاول مراجعة ذاته أو يسهب قائلا:**"عليكم بمراعاة الحيادية لأن أمكم لا تقر بالجميل هذا طبعها"**، فمكانة الأب لا يمكن بلوغها إلا من خلال الصورة الإيجابية التي تعكسها الأم عن الزوج،في هذه الحالة فإن الأب بالنسبة للأم هو رجل خطير وغيابه يكون له معنى للحرية بالنسبة لهم، **"أمي تقول بأن أباكم مصدر إفلاسكم فهو يجسد النموذج السيئ و بإمكانه التأثير عليكم ليجددوا حذوه"**، بالنسبة للأم فإن الصورة الأبوية من شأنها أن تهدد بناء الشخصية لدى الأبناء.

نلاحظ في هذا المقام طفو إشكالية العلاقة ما بين الابن و الوالد من الجنس المتخالف الذي يتأسف منه الأب**"أمكم عاهرة لقد استولت على أولادي"**، كما قلنا سابقا فإن الأب الجيد هو الذي يدفع الطفل نحو أمهوالعكس صحيح، عندما يحقر الأب الأم فإنه يحقر وضعيته كأب و يخلق الظروف المواتية لابتعاد الابن عنه و اقترابه بشكل كبير نحو أمه.

أثناء مرحلة الطلاق، يظهر لنا بأن ثابت يرفض شخص الأب مفضلا بذلك أمه، كدليل على ذلك نوجز قضية الاعتداء داخل المركز التي حسب نظرنا تؤسس لهذه الفرضية، ثابت اختار الكذب بدلا من أن يحكي الوقائع الحقيقية للاعتداء ونظرا لكونه أتى إلى المركز لزيارة ابنه في حالة سكر متقدم:**"لا يمكنني التفاهم مع أبي،كلواحد منا انسحب من طريق الأخر، عند خروجي من المركز لن أعمل معه سأبقى إلى جانب أمي و إخوتي، كنت طلبت من المربي بأن لا يناديني إذا ما طلب أبي مقابلتي أثناء عطلة الأسبوع".**

"أنا لم أخطأ معه، بالإضافةإلى أنه لا أحد يحبه"، فالعلاقات الاجتماعية لأب تتميز بعنف منقطع النظير، هذا الرجل يضاعف من التهديدات، يسب أفراد عائلته ولا تسلم من هذه السلوكات أمه البالغة من العمر76 سنة، فهو يعتدي على أم ثابت إلى درجة أنه حاول قتلها وتصبح الوضعية أكثر تعقيدا عندما يتدخل الأخ الأكبر الذي يصد الأب و يقف له الند بالند.

ثابت يشير أيضا إلى المعنويات المنهارة للأخ الأكبر المحبوس، الذي يرجع مسؤولية ذلك أيضا للأب الذي لا يرد على رسائله ولا يحبه أصلا، الأخت الصغرى بدورها تقلد الكلمات الأب، الأخت الكبرى لا تتكلم إلا عن الهروب من البيت خاصة بعد أن قرر الأب بشكل أحادي توقيفها عن الدراسة في المتوسطة لتفادي مشكل الاختلاطوقد يكون في هذا الإطار إمكانية أن نظرة الأب للأم قد تؤثر سلبا على البنت التي يمكن لها أن تتقمص إحباط الأم.

وصف ثابت يرجعنا إلى أب لا يمكن اعتباره كنموذج تقمصات عائلية و اجتماعية، من أجل توضيح ذلك لا يمكن لنا التطرق إلى العلم الذي لا يتفاهم مع الأب وكذلك الشأن بالنسبة لعمات ثابت المترددات بشأنه،حتى الجدة تقر بأن ابنها كان صعب السلوك خلال طفولته.

يمكن لنا أيضا أن نورد مثال الرجل الكبير في السن صديق الأب، الذي يقول خلال المحادثات إلى ثابت بأن الأب لا يمكن تصحيحه ولا يوجد حل إلا قبوله كما هو.

فعنف الأب لا يتوقف عند الحد العائلي وإنما يأخذ أبعادا أكثر من ذلك وخاصة عندما يكون تحت تأثير الكحول ليشمل الجيران وهنا نشير إلى الشجار الموصوف في النص والذي أدى إلى حبسه وقت وجيز.

فلو أخذنا جميع الأصناف الاجتماعية يمكن أن نقول بأن الأب لا يأخذ مكانته، فهو لا يمتلك مهارات لازمة لتأدية وظيفة القيادة الاجتماعية.

العائلة يمكن اعتبارها كحيز للتفاعلات العاطفية، مكان للبناء الذاتي ، تطوير وتحقيق الذات، في مثل هذه الوضعية هل بإمكان الأسرة تأسيس الأفراد في غياب السند التقمصي الأبوي؟ من المنظور الاستهامي فهذا الأب بعيد عن وظيفة ممثل القانون، فهو لا يمثل ممنوعات الأنا الأعلى، لا يساهم بالقدر الكافي في تكوين النفسي و الاجتماعي لابنه.

من وظائف الأب إدخال منطق الحدود بدون أن يكون إفراط في استعمال السلطة مع الانفتاح على ما يمكن تحقيقه، إلا أن هذا النموذج لا يمكن له أن يكون ممثل للقيم الاجتماعية، لا يمكن أن يرسم الحدود بين ما هو مسموح وما هو ممنوع، بحيث أن هيأة الأنا الأعلى الأبوية ناقصة وعليه يمكن القول بأن الأب لا يمكن له أن يكون قطب علائقي و لا ممثل القانون و الممنوعات.

فإن كان الأب ليس بإمكانه تمثيل صورة الأب، فإن الابن سيلجأ إلى نماذج نابعة من محيطه الاجتماعي لاسيما النابعة من مجوعة أقران،

"فعندما أتشاجر مع أبي، التفت إلى أصدقائي لأتفادى الانغلاق، عندي أربع أصدقاء نذهب سويا إلى المقهى في الساحة العمومية، المفضل من أصدقائي هو شاب بالغ، صحيفة السوابق العدلية لديه متكونة من أربع أحكام قضائية لأسباب متعلقة باستهلاك الكحول و المخدرات، المشروبات الكحولية لا تستهويني، فلم أتناولها سوى مرة واحدة خلال حفل زفاف".

الأصدقاء لاسيما في مرحلة المراهقة هم عوامل هامة للتنشئة الاجتماعية، فهم نماذج لا يمكن للشاب أن يتقمصها و يتم أيضا بمساعدتها الحصول على مجموعة التعليمات والتي يتصرف بمحاكاتها وفقا للتطلعات الجماعية للزمرة ولهذا فإن مجموعة الأقران تملك دورا كبيرا بالنسبة للاستغلال أوقات الفراغ وبالنسبة لتكوين العادات السلوكية والاستهلاكية، فالزمرة تقترح سلم معايير وهو ما يساهم في التحكم الجماعي لسلوكيات الأفراد المنتسبة للجماعة، لهذا السبب فإن مجموعة الرفقاء تأثر على التوجهات الفردية و الاجتماعية للمراهق.

أثناء المراهقة فإن مشاكل الجنوح تظهر في شكل إخفاق في عملية الإدخال النفسي للضوابط الاجتماعية وتعويضية بنسق أخر يدور حول محور مغروس في ثقافة الشارع(مخدرات, كحول..).

ثابت يؤكد بأن المفضل من أصدقائه هو عبارة عن منحرف وفي هذا الصدد يمكن لنا أن نستشرف أثر نموذج الأقران و التقمصات الأفقية كعلامة أساسية للتطور البنيوي للشباب، الذين يعانون من مشاكل التكيف قبل المرور إلى السلوكات الفعلية للانحراف.

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي	×			
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى		×		
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة		×		
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد		×		
5	أحس أنه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها		×		
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا بأني عديم الفائدة		×		
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي		×		
9	على العموم انأ ميال للإحساس باني شخص فاشل				×
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي		×		

تحليل الجدول:

إجابات ثابت تعبر عن تقدير للذات مرتفع وإحساس بالقوة نظرا للفقرات 1-2-3-7ولكن بالمقابل فإنه يرى بأن حياته ليس لها معنى وغير مجدية وهو ما يؤثر على مبدأ تحقيق الذات وهذا الشاب يوجد في وضعية انسداد يسيطر عليها جانب الإحباط والكرب .

2- علي: الأب الخاضع: هل من الممكن أن أكون أبا وفي نفس أكون الوقت خاضع لأمي؟

علي شاب يبلغ من العمر حوالي 18 سنة عند أول مقابلة لناولقد تم إيداعه نتيجة لعملية سرقته لهاتف محمول،طلبت منه أنيحدثني عن عائلته، فقبل.

النص:

اسمي ح.علي وأنا مولود في 22-01-1994 ببلدية عين قادة ولاية سيدي بلعباس، أنا الابن الثانيوأخي الأكبر يعاني من مرض القلب منذ طفولته .

فولادتي جاءت في إطار تقليدي، داخل المنزل العائلي، فقابلة القرية لم تدخر أي جهد من أجل مساعدة أمي المتألمةونظرا لتعقيدات بعد الولادة التي رهنت خطورة النجاة وهوما أدىإلى نقلها على جناح السرعة للمستشفى الجامعي لسيدي بلعباس، حيث بقت تحت الرعاية المركزةإلىأن فارقت الحياة بعد 20 يوما من العناء.

جدتيتأثرت بما حدث ولم تنتظر أكثر من ثلاثة أشهر عقب الوفاة من أجل عقد قران أبي ببنت القابلة، ففي تلكالمرحلة كان أبي يعمل طباخ في مؤسسة جامعية.

جدتي كانت امرأة مطلقة منذ سنوات طويلة كانت تعمل كعاملة تنظيف في دارالبلدية،أما جدي من ناحية الأب فكان يعيش مع عائلته وأطفاله بعيدا عنا وللتذكير فإن أمي هي ابنةأخت جدتي وهذا مايفسر تعلقها الكبير بنا.

أبي له أختينالكبرى ربة بيت وهي في صدد تزويج ابنتها الكبرى وهي تقطن في قرية صغيرة،أما ابنة عمتي الصغرى هي متزوجة وتسكن في نفس المكان مع آختها، فزوجها قام بكل مافي وسعه من أجل النجاح في حياته والمحافظة على استقلاليته بامتلاكه مسكنا خاصا.

أما زوجة أبي فهي ابنة "طالب" حامل للقرآن، محترم بين ذويه من أجل إحسانه ومعرفته الكبيرة بكتاب الله، لقد عشنا حوالي خمس سنوات بعين قادةثم قرر أبي العودة إلى مدينة سيدي بلعباس، فصهره عرض عليه بيتا للكراء لمدة ثمان سنوات،فخلال ذلك الوقت كبرت العائلة بازدياد عبد الرازق 15 سنة،آمال14 سنة، نور الهدى ثمان سنوات ومحمد آمين4 سنوات.

سنوات طفولتي جرت في مناخ مفحم بالصراعات، فجدتي لم تتوقف عن تكرار مثل هذه العبارات: **"ابتعد عن طريق أبنائي، لا تأخذونه بعين الاعتبار ابن الكلب (وهي تقصد أبي)"**، مادامت حية لن يتعرض طريقكم أحدا، أبوكم خاضع لزوجته....أبي يتحمل كل شيء ولا يستطيع معاكستهالأنه يخافها.

في كثير من أحيان يردد أبي بأن هذا الصراع سابق لوفاة أمي، لأن نفس الصراعات تتكرر بالحدة ذاتها، كان يقول بأن جدتي لم تكن لترتاح حتى اضرب أمكم، فلم يكن ليهدا لها بال إلا بهذا الثمن ولقد رحلنا عدة مرات عبر أحياء شعبية، قبل أن نستقر في بيت صهر أبي وصادف ذلك دخولي المدرسة.

ولهذا كنت أحاولأنالتكيف مع إيقاع الدراسة قدرالإمكانوبعد مرور بعض السنوات قررت جدتي أننرحل بأحد ضواحي سيدي بلعباس للعيش في بيت فوضوي وكان ذلك في نظرها السبيل الوحيد للحصول على مسكنوكان لابد عليأنأرافقها، فقمنا ببناء كوخ قصديري وبقينا علىتلك الحال لمدة ثمان عشرة شهرا.

كنت أتملص حينها من مراقبة أبي وذلك بقضاء وقتي في الشارع من الحين لآخر كنت أذهبإلى منزل ولم أكن لاستقر هناك ، ففي المساء كنت أعود عند جدتي، كان هناك أحد أبناء عم أبي بجوارنا في كوخ بالإضافةإلى مجموعة كبيرة من السكانغير الشرعيين، فلم أكنمهيأ لمواصلة دراستي بالرغم من أنأبي كان يشتري لي ما احتاج إليه مع جدتي أيضا ولكن ظروف التمدرس لم تكن متوفرة بالنسبة لي، ففي السنة السابعة أساسي كرهت الدراسة وقررت التكفل المادي بنفسي .

ففي صغري كنت أرافق جدتي في كل مكان عند عماتي في فترة الصيف ولكن وعندما بلغت السن القانونية للتقاعد فإن راتبها لم يكن يسمح لها بالعيش بكرامة، فكانت تذهب للعمل في الحقول الزراعية طوال اليوم، فبالرغم من صغر سني إلاأنني لم أكنأبقى بدون عمل ، كنت اذهب معها للعمل في الريف وفي المواسم الأخريكنت أجمع الزيتون وبالمال الذي اجمعه كنت اشتري الملابسوأحيانا كنت أساعد ماديا والدي وبعد صبر طويل منحتنا الدولة بيتا وهكذا نجح مشروع جدتي.

ومن وقت لآخر فإن جدتي كانت تذهب لزيارة ابنتها الكبرى وكانت تحكي لها الكثير عن زوجة أبي وكان مضمون هذه الزيارات يأخذ طابعا دراميا عندما تأتي عمتي للبيت عندنا والتي تأخذ صف جدتي وتخلق بذلك صراعات كبيرةوتتدخل جدتي وتسب زوجة أبيبحضورنا وإن حضرأبي لسوء حظه فيتم إقحامه في النزاع ويتعرض إلى وابل من السب، فجدتي امرأة سلطويةوتستحوذ عليها فكرة أن زوجة أبي هي السبب لجميع مشاكلنا، لا سيما لاذعان ابنها الوحيد بهذه المرأة.

في أحيان أخرى تذهب جدتي لزيارة عمتي الصغيرة وتقضي أسبوعين دون اكتراث لرأي صهرها وتطالب ابنتها بأن تبقى معها طوال هذه الفترة ، فإن الزوج يتضايق ويظهر نوعا من الغضب والشكاوي الذي يبديه لأبي، فأبي يعتبر عمتي الصغرى كعوامة إنقاذ.

ففي غالب الوقت يشتكي أبي من السلوك الشمولي لأمه، ففي كل محاولة لاسترجاع النظام في البيتيصطدم بجدتي وتكون خصومة، تبقى جدتي دائما معزولة ومستلقية ولكن في كل الأحوال فهي غير راضية على نوعية العلاقة ما بين أبي وزوجته، فهي تأخذ صفنا وتسب الباقين، فجدتي تلوم أبيلسلوكياته التميزية مابين أبناءه وأنه يفضل الأبناء الصغار وأن كل هذا راجع إلى التحركات المنافقة لزوجته،أبي يرد بأن أطفاله ليسوا في الوضعية المناسبة للتميز ما بين ما هو صالح وطالح وأن أمه تعرض نوع من العلاقة المبنية على العنصرية بين نفس أفراد العائلة من أجل تقليص إلى الحد الأقصى لامتيازات الأب .

كنت مع أخي الأكبر خاضعين تماما لإرادةجدتي، تمت بين الطقوس الخفية تلجأ جدتي للشعوذة عن طريق بذور الشعير التي تلقيها خفية من أجل التحكم في الأرواح الشريرة، التي تتدخل في علاقتها مع باقي أفرادالأسرة، فزوجة أبي على علم بما يجري وتراقب من بعيد وفي صمت الطقوس الدقيقة التي تكررها الجدة.

أخي الأكبر كريم عندما يلعب مع إخوانه، تتدخل زوجة أبي وبعدها ينشب خلاف ما بين جدتي وربة البيت،فيغتاظأخي ويسب إخوتهوأمهم، فإن نادىأبيأخي كريم، فإن هذا الأخير يرد بإشارات تململ وخشونةوتبدأ جدتي في السب وترمي حذائها في وجه الأب لتبين تضامنها مع أخي كريم .

أخي الأصغر مني عبد الرزاق يثور على شاكلة الأخالأكبرولا يريدأن يقدم أي تبريرات أو حسابات لأي شخص، فإن طلبت منه أمه القيام بشيئ، فإنه يرفض ويقول لماذا لا تطلبين هذا من البقية؟ وبماذا يتميزون عني؟ حتىإن مردوده الدراسي ضعيف جدا.

ففي العراك الدائم فإن أبيينوح على قدره ويتذوق من الأحكام المسبقة لموظفي الدولة الذين سيعتبرون بأنه غير قادر علىتأدية دوره الاجتماعي، أحياناأجد نفسي مع أخي الكبير من ناحية وباقي أخواتي من الجهة الأخرى، فهذه الوضعية تعكس تربية التفرقة التي أنشئنا عليها.

أبي حكى لي بأنه عاش طفولة حزينة،فوالده تزوج امرأةأخرى وكانت تربطهما علاقة مبنية على العنف، فخلال مراهقته طرد أبي من البيت وكان يقضي ليله على حافة الواد الكريه الرائحة الذي يعبر المدينة، فقال لي بأنه كان يريد أنيتفادى مثل هذا السيناريو بوضع أبنائه ولكنه يجد نفسه غير قادرا علىضبطالأمور .

لقد كبر أبي بإحساس الخوف، فإن تلفظ بجملة واحدة للعتاب أمامأمه فإنه يعرض نفسه للطرد رفقة زوجته وأبناءهالأربعة، ففي الحالات القليلة التي تظهر فيها نوع من التوافق الظاهري فيالأسرة، فإن جدتي تقترب من زوجة أبيوتحذرها بالعبارات التالية: حذاري لعل زوجك يتناول المخدرات،أنت تعلمين بأنه لا يزال شابا ووسيما، في الجامعة هناك إغراءات،مع الرجال لا توجد ثقة.

أبي يقول بأن أمه لاتريد أن تسحب إصبعها وتتركه يقوم بدور الرجل، فهو لايستطيع مراقبتي، عندما أراه اهرب إلى جدتي وهنا تكون لها الفرصة لتعيره بكل النعوت أمامأطفاله.

في بعض الأحيان تشتري لي السجائر،أبي لايستطيع أن يفعل شيئا،إذا قال له جاره بأنه وجدني أدخنفيبدأ بصراخولكن جدتي تشكل له حاجزا وتتركني اهرب قبل أن يمسك بي، فهي تقول له دائما بأنه يفضل أبناءه الصغار وإنه لا يتعامل معهمبنفس المعاملة الخشنة،هذا بالإضافةإلىأنها في بيتها وأنه حان الوقت ليخرج من المنزل هو وزوجته وأبناءه،أحيانا تقول له بعد موتي فإن المسكن يصبح من نصيب أحفادي كريم وعلي ولا يمكنك إلاأنتبحث عن مسكن آخر،أبي أمام كل هذا يصبح بدون قيمه .

حتى وإن استطاع اجتياز الحواجز بالرغم من التهديدات ويقوم بضربي، فإن جدتي تترك البيت وتطلب تدخل عمتي الكبرى، قديما كانت عمتي متوافقة تماما مع وجهة نظر أمها ولكنها الآن أصبحت أكثر حيادية، لاتتدخل ربما نظرا للإحساس بالذنب الذي يعتريهاأمامأبي.

ففي وقت الاسترخاء، فإن أبي لا يستطيع أن يتبسم في حضورأمه،فإذا شكت الأمبأنه يضحك في سرية مع زوجته فستكون كالطامة، فتقول بأنني أصبحتأضحوكة بالنسبة لأبنائي،فأبي يمازحها ويقول لها ربما أنني بحاجة إلى رجل في حياتك، فجدتي تعيش بقناعة أنا وأخي الأكبر ملكا لها.

في الليل أنام بالقرب من جدتي وأخواتي، كريم أخي يقضي الليلة بالقرب من عبد الرزاق في غرفة أخرى، بينما تبيت زوجة أبي مع أبيوأخيالأصغروفي أحد الليالي استيقظ أبي وكان في حالة غضب شديد لأنني كنت نائما بالقرب من جدتي وأخواتي، فكان رد فعل جدتي قاسيا وكانت تصرخ (بالحشومة)،فالذي يهم عندها هوماذا سيكون كلام الآخرين بالنسبة لامرأة عجوز وهبت نفسها قلبا وقالبا لتربية يتيمين وتراجع أبي كعادته.

بالنسبة لي ولتفادي مثل هذه النزاعات كنت أفضل البقاء في الشارع وفي الصباح كنت أذهبإلى العمل، فكنت أبيعالأكياس البلاستيكية بالقرب من السوق ولم أكن انتهي من العمل إلا في وقت الغروب، ففي المساء كنت أبقى مع صديقي أحمد وهومعتادعلى هذا المركزومصطفى الذي تم القبض عليه في قضية سرقة محل.

أبي قام بشيعي في مركز التكوين المهني ولكن عند دخولي البيت كانت جدتي تطلب مني وتقول: لقد مررت بالقرب من السوق أين تعمل ولكني لم أجدك، فكنت أجيبها: كنت في مركزالتكوين المهنيولكن غدا

سأنتظرك، فعلى أي ساعة تمرين على السوق، فتجيب وهي في غاية السعادة:على الساعة العاشرة مثلا وهكذا ضيعت فرصة التكوين.

فجدتي تكون فرحة عندما أقدم لها أمولا وهي غير قلقة من أي مكان اكتسابها وتكرر بصوت مرتفع بأن ابني علي أصبح رجلا وهو سبب افتخاري.

عندما تكون جدتي في زيارة عند عماتي يعود نوع من التطبيع في العلاقات مع زوجة أبي،فأثناء وجبات الغداء زوجة أبي تقوم بتقديم الأكلإلىأبي ولكن وفي حركة هزلية تقول له بأنك عجوزوبأن علي يحتاج إلى الفيتامينات فتأخذمن طبقه وتنقص منهلتضيفإلي الفارق وهي تقول خذ ياابني تستحق ذلك، فيخرج أبي ويضحك الجميع على طاولة الأكل.

لكنه وبمجرد رجوع جدتي يغلق القوس، ورقة أبي تمزق من الدفتر العائليوعندما تغيب جدتي أبي يصبح رجل الوضعية، في يوم من الأيام ذهبت إلى جدي من ناحية الأم وسرقت منه هاتفه النقال، لكن وعندما تفطن لذلك جاء إلى بيتناولكن جدتي لمتردأن تسمع أي شيء، فبالنسبة لابنها بريء وخلقت مشكلا كبيرا مع جدي الذي ذهب غاضبا.

وفي الآونة الأخيرة فإن اتجاه جدتي تغير،بحيثأصبحت تحب رفقتي أكثر وهذا التعبير هو سبب غضب أخي كريم،أماأبي فيظن بأن جدتي ينقصها الوضوح في المعاملة فهي غير مباشرة.

باختصار فإن الخصام العائلي عكر الأجواء اليومية للعائلة،ففي مرحلة المراهقة ترسمت لديإمكانية الهروب من البيت، فلم يكن بإمكاني الاحتمال، لأنذلك كان جحيما، فالصيف كان هو الفرصة المثاليةولم أكنأطلب الرخصة من أي شخص للذهاب إلىشاطئ البحر ابتداء من سن الثانية عشر، فلقد ذهبت مرتين إلى الشواطئالوهراني وفي المرة التالية توجهت إلىشواطئ مستغانم .

أثناء الهروب المتكرر كان أبي يفقد صوابه، أما جدتي فبقيت هادئة: فتقول ربما يكون في المدينة؟اذهبوابحث عن ابنك،أماالآن فقد تخليت عن هذا السلوك.

في هذه المرة كنا اثنين في محطة الحافلة، صديقي سرق هاتف نقالفأخفيته في جيبي، فتفطنت المرأة ونبهت البنت التي سرقناها وتم إمساكنا من طرف المارة، حاليا يوجد صراع كبير جدتي تلوم أبيلأنه سمح بتعجيل وتيرةإيداعي، فهي تقول بأنهأفنشبابه، بينما أنتم لم تعيشوا مطلقا.

أبي يقول بأن له مشاكل مع امرأة بحجم السلحفاة وبأن الصعوبات تتعداه لأنه يحضر بدون حول ولا قوةإلى ضياع شابين بل جيلين، فبعدسنوات سوف لن يكون لهما مستقبلا، ففي مثل هذه الحالة الموت أجدر بالنسبة له وليس هناك حل إن لمتتدخل المعجز الإلهيةأو الاستفاقة بأعجوبةأو لنقل وفاة أحد المتخاصمين .

التعليق:

في هذا النص نجد أن أب علي يعيش علاقة معقدة مع أمه، من الناحية الاجتماعية هذا الرجل هو في نفس الوقت ابن أمه، زوج لامرأة وأب لـ6أطفال، لكن من بين هذه المكانات الثلاث فإنه يختار أن يعيش فقط من موقع الابن، ابن لأم متسلطة بدلا من أن يكون في نفس الوقت زوج وأب.

هذا الرجل يتحمل السب، التنكيد، الظلم، الملاحظات الكريهة من طرف أمه و يختار أن يتحمل كل هذا بدون أن يعاكس أمه، في هذا الإطار كيف يمكن لنا أن نتكلم عن الأب إن كان هذا الأخير مجرد ابن خاضع لأمه؟وفي نفس الوقت أي مكانة يمكن إزائها للأب إذا اختار هذا الأخير التموقع في خط سلالي في جيل الأبناء وهو بهذا التصرف يجذ نفسه ليس بمقدوره أن يأخذ بزمام مسؤولياته الزوجية والأبوية.

خلال اللقاء الأول تكلم علي عن وفاة أمه على إثر تعقيدات أثناء عملية وضعه، الأم المتوفاة هي في نفس الوقت ابنة أخت الجدة، إعادة ترتيب العائلة لم يتأخر كثيرا، لأن الجدة قررت إعادة تزويج الابن وأن تتكفل بحفيديها.

تحليلنا لهذا النص لا يمكن أن يبلغ أهدافه النظرية إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظرف الاجتماعي والثقافي، فبالتالي فإن الزواج غالبا ما يمكن اعتباره كخطوة انتقالية هامة في الحياة النفس الاجتماعية للأفراد و الجماعات.

اختيار العروس يكتسي في هذه الظروف أهمية قصوى، ففي المجتمعات التقليدية فإن الأم أو الأخوات يلعبن دورا كبيرا في تحديد اختيار الزوجة، فالزواج لا يصبح قضية عروسين وإنما يتعدى ذلك ليشمل الإطار العائلي برمته.

الاختيار الجماعي في الزواج التقليدي الهدف منه إعادة إنتاج الشبيبة،كل جيل يحاول إنجاب جيل أخر بإمكانه إيجاد مواطن الشبه فيه، لهذا الشكل يمكن القول بأن الطقوس التقليدية للزواج تصبح مرحلة هامة للاعتراف بالنضج الفيزيولوجي للأفراد وذلك للسماح لهم بالتناسل والإنجاب و لكن من الناحية الاجتماعية فإن الزواج يعزز هيمنة المحيط الاجتماعي و يعيق الاستقلالية النفسية للزوجين.

داخل هذا الإطار التنظيمي نجد الأم، فمن خلال هذا المنطق لا يمكن اختيار امرأة أخرى على حساب الأم، فهذه الأخيرة ستحاول بكل الوسائل أن تفشل أي ارتباط عاطفي للابن مع أي امرأة أخرى، فالصراع يمكن أن يتم على الشكل الآتي:من جهة الطاعة التامة و البقاء بالقرب من الأم ومن جهة أخرى الابتعاد عنها ومعارضتها من أجل الاقتراب من الزوجة والأطفال فالأب كان يجيب دائما:**" بأن هذا الصراع سابق لوفاة الزوجة الأولى و لكن الجدة تبقى ذاتها، بل إن الجدة لم تكن لترتاح حتى أضرب أمكمو لم يكن هناكما يشفي غليلها إلا هذا العمل."**

في الزواج التقليدي فالمرأة لا تتزوج إلا ابن امرأة أخرى، الزواج في التقليد الجزائري هو عبارة عن علاقة بثلاثة أطراف: أم إن كان من الناحية النظرية الزواج هو علاقة ثنائية فإن الطقوس الاجتماعية لا تسمح لزوج من الحياة بكل تلقائية من دون أن تتدخل الأم في ذلك.

و على شاكلة عقدة أوديب فإن الصراع يتمثل في إرجاع العلاقة إلى اثنين بدلا من ثلاثة، هنا نتذكر معا علاقة عبد الوهاب بوهديبة بخصوص أسطورة جودر وعن عدم إمكانية مفارقة الأم وهي الصفة الأساسية للرجل في العالم العربي والإسلامي وبأن النضج النفسي يمر أساسا باغتيال رمزي للأم.

من حين لأخر يقول علي:**" كانت جدتي تذهب لزيارة ابنتها الكبرى وكانت تحكي لها الكثير عن زوجة أبي وكان مضمون هذه الزيارات بأخذ طابعا دراميا عندما تأتي عمتي للبيت عندنا والتي تأخذ صف جدتي وتخلق بذلك صراعات كبيرة وتتدخل جدتي وتسب زوجة أبيبحضورنا وإن حضر أبي لسوء حظه فيتم اقتحامه في النزاع ويتعرض إلي وابل من السب ".**

فالأب هنا منكر لا من حيث الوجود و إنما من ناحية خصوصيته الرمزية و التربوية، أمه تتهمه بالخضوع إلى زوجته أمام أطفاله،**"جدتي امرأة متسلطة و تستحوذ عليها فكرة أن زوجة أبي هي منبع المشاكل لاسيما السيطرة على ابنها الوحيد"**،المشكل بالنسبة للجدة هي أن الأب لابد أن يبقى ابنها، يعني في وضعية ابن خاضع، فالأب بالنسبة للجدة هو جزء منها و لابد لها أن تسيطر عليه، من هذا المفهوم فلا يمكن له أن يصبح لأي امرأة أخرى.

في سنة 1967 المحلل النفسي رالف غرينسونRalphGreenson يلفت الانتباه إلى أهمية الخروج من التقمص للأم من طرف الطفل[1]، كما أن الإحساس بالتشابه الذكوري لا يمكن له أن يبنى إلا إذا كانت هناك سيرورة معاكسة للابتعاد عن الصور الأنثوية، فإن لم يلعب الأب الدور من أجل قطع العلاقة الذوبانية مع الأم فمن سيفعل ذلك بدلا منه.

علي حكى لنا أن الجدة قد تحولت من مكان إقامتها عدة مرات إلى غاية الوقت الذي تقرر فيه أخذ علي للعيش معها والعيش لوحدها في كوخ فوضوي على أمل الحصول على مسكن لائق من طرف السلطات، علي لم يكن له الاختياروكان لابد عليه أن يرافقها في نفس الوقت كان يتخلص من مراقبة الأب:**"كنت أفلت تدريجيا من مراقبة أبي، كنت أمضي وقتي في الشارع، من حين لأخر كنت أذهب إلى البيت و لكنني لم أكن أتأخر فقط في الليل كنت أعود عند جدتي."**

علي لم يكن بإمكانه مواصلة مشواره الدراسي نظرا للوضعية السيئة التي كان يعيش فيها، لهذا السبب قرر العمل ليتكفل بحاجياته الأساسية، حين بلوغه السابعة من الطور الأساسي، يعد الفشل المدرسي هو من أهم العوامل المعبرة عن رفض المؤسسات المكلفة بتنشئة الأجيال الصاعدة وكذلك القيم المسهلة للتكيف الاجتماعي.

بالنسبة للأب فإن سلوك الأم التسلطي أكثر من مشكل فهي قاسية اتجاهه بقدر كبير وهو بذلك لا يستطيع أن يسمع صوته أمامها، لا يجرأ بالتفوه بكلمة واحدة لأنه بكل بساطة يخاف منها:**"منذ القدم أبي كان يشتكي من سلوك الجدة التعسفي ففي كل مرة يحاول إعادة النظام داخل البيت، فإنه يصطدم بالجدة"**، فهذه المرأة تضع حاجزا أمام كلام الأب ووجوده و تعزز تحكما في الحفيد الذي يبقى خاضعا لنزواتها التحكمية.

الأب يشير إلى حياته ويتطرق إلى أبيه الذي كلن يتعامل معه بقسوة:**"أبي حكى لي بأنه عاش طفولة حزينة، فوالده تزوج امرأة أخرى وكانت تربطها علاقة متينة، فخلال مراهقته تم طرده من البيت وكان يقضي ليله على حافة الوادي كريه الرائحة، أبي كان يتمنى أن يتجاوز مثل هذه الوضعية الدرامية مع أبنائه ولكنه فشل في ذلك"**،هنا تظهر لنا وضعية الأب الذي لا يتحدث عن نفسه إلا من خلال وضعية الابن ولو رجعنا إلى خطاب الأب المعبر عنه من طرف الابن فإن الوالد كان يراوده حلم تكوين أسرة مختلفة عن أسرة الجدة، الجد تتعامل بعنف معه لكن و لبلوغ هذا المرام كان لابد عليه أن يتخلص من السيطرة المطبقة عليه والدخول في سيرورة تكوين ذات مستقلة عن الأخر بعيدا عن وضعية الابن، مع وضع حدود واضحة المعالم أمام الأم بالدرجة الأولى.

1.Fsiane Hocine Thèse d'état op citée P :187.

حيث أن الأب يرجع فشله في مهمته التربوية اتجاه أبنائه إلى أمه:**" فهو يردد دائما بأن أمه تخنقه وبأنها ترفض أن تترك له فرصة من أجل السماح له بأن يقوم بمهمة الرجل أمام زوجته و أبنائه"**،الجدة بدورها تعيب الأب اتجاهاته التمييزية نحو أبنائه، هذه الوضعية التي أدت إلى عدم مقدرة الأب عن التخلي عن مكانة الابن في تعاملاته مع أمه، فقصة الأب تتكرر لأنه لم يستطع أن يخلق علاقات مع أبنائه، كما فشل في ممارسة السلطة عليهم:**"فهو لا يستطيع مراقبتي، عندما أراه اهرب نحو جدتي لتصبح بعد ذلك الفرصة سانحة لها لمعايرته أمامنا، في بعض الأحيان تشتري لي السجائر و أبي لايستطيع أن يفعل شيئا"** ما يمكن فهمه في هذه الجمل هو أن الرسائل التربوية التي يتلقاهاالطفل تكون في مجملها متناقضة تلغي بعضها البعض، فعلي لايناقش كلام جدته وإنما يعمل على تكرارها فقط، فعندرؤيته أبيه فإنه يهرب نحوجدته والتي تنقض على هذه الفرصة لمحو أي أثر لسلطة الأب اتجاه ابنه.

"أخي الأصغر مني عبد الرزاق يثور على شاكلة كريم ولا يريد أن يقدم أي حسابات لأيكان، فإن طلبت منه أمه القيام بشيء فإنه يرفض ويقول لماذا لا تطلبين هذا من البقية ؟ وبماذا يتميزون عني ؟ حتىإن مردوده الدراسي ضعيف جدا،أثناء الصراعات المتكررة فإن أبي ينوح على قدره و يردد بأنه يخشى الأفكار المسبقة من طرف أعوان الدولة الذين سيعتبرونهالمقصر الوحيد فيتأدية دوره الاجتماعي" .

فالأب ليس بمقدوره أن يحل أي مشكل داخلي أو خارجي، ففي هذه الحالة كيف للابن أن يتقمص شخصيةأبيتم تجاهله من طرف الأم و يخضع لها في كل الأحوال؟.

علي يحكي في موضع أخر قصة الأب الذي يدخل في نوبة غضب كبير بعد أن وجد ابنه نائم بالقرب من جدته و في نفس الغرفة غير بعيد عن أختيه، هنا يمكن القول بأن بعض الآباء يرفضون للأبناء أي إمكانية للاستقلال عنهم وبأنهم لا يتوانون في اللجوء إلى أي حجة من أجل إبقاؤهم تحت سيطرتهم، فنزوة التحكم يمكن ربطها في المرحلة الأولى أو إلى المرحلة الثانية الخاصة بالأم و الطفل.

علي كان يعمل طيلة النهار في سن مبكرة و قد تولى الأب تسجيله في مركز تكوين مهني و لكن و حين دخوله إلى البيت كانت جدته تسأله:**"لقد مررت بالقرب من السوق أين تعمل فلم أجدك وكنت أجيب:غدا سأعمل في أي وقت تمرين؟ هنا سلوك الجدة للتحكم في الحفيد يتعدى حدود المنزل ينتقل إلى الخارج، جدتي تكون سعيدة عندما أقدم لها نقود فهي لا تتساءل عن مصدرها وتردد بأن ابنها أصبح رجلا وأن علي هو سبب افتخاري."**

هذا الولد يبقى معرقلا في عملية التفرقة عن جدته، بحيث يبقى خاضعا لنزواتها ويمكن التذكير بأن عملية الابتعاد تصبح أكثر سهولة إذا وجد الابن سندا من أبيه، علي يبدوا وأنه يعيش مع جدة متحكمة بشكل قوي فيه و في هذا الصدد يشير جاك لاكان بأن الصغير هانس كان معرضا لأب خامل وبأنه كان يترك جل المبادرة لأم الطفل وهذا ما يوضح بأن القلق لا يمكن أن يظهر فقط من الأبولكن يمكن أن يظهر أيضا من غياب الذات من طرف الأب.

فبالنسبة للاستجابة العصبية لهانس، يشير جون لابلانس في كتابه القلق إلى ملاحظة هامة خاصة بالعلاقة الأوديبيةالمهيكلة لعلاقة أب طفل: في نهاية الزيارة أين كان الأب يرافق ابنه عند خروجه، صرح هذا الأخير بأن الطفل يعيش مركب أويديبي كلاسيكي مشيرا إلى أن ذلك يكون مبرمجا مسبقا وبأن الطفل لم يكن بمقدوره إلا الدخول في مخطط يتعداه وبأنه يكون مدعما بالخوف من أبيه لأنه يحب أمه وهنا يتوجه الأب إلى هانس.

* لماذا تظن أني غاضب منك؟ هل سبق و أن وبختك؟ أو ضربتك؟(ويعيد الأب السؤال في الميدان الواقعي).

* **هانس:**نعم لقد ضربتني.

* **الأب :**هذا ليس صحيحا، متى تم ذلك؟

***هانس:** هذا الصباح.

هنا تذكر الأب بأن هانس بطريقة غير مسبوقة أعطاه ضربة رأس على مستوى البطن، حيث أن الأب استجاب بطريقة ميكانيكية وضربه على اليد (هكذا ختم فرويد) ولكنه لم يسجل هذه الملاحظة بالرغم من أهميتها بحيث أنها يعبر عن البعد العدواني للطفل ضد الأب، كما لا يمكن لها أن تعبر بحاجة الطفل للعقاب الأبوي[1].

وهنا نتعرض إلى حقيقة الأب القاصر بالنسبة للأب السلطوي المبينة في أسطورة مركب أويديبي، فبتدخل الأب يحاول أن يعيد هانس إلى حقيقة أقل قسوة مما شرحه فرويد في تأويلاته النظرية.

أما هانس فحاول إبراز حاجته للعقاب، يعني بأن يصبح أكثر قربا من الأسطورة الفرويدية، بحيث وإن تخلف الأب عن أداء وظيفته عن طريق القوة فلابد من إرغامه لفعل ذلك أو لخلق نفس الجو، بحيث تظهر تلك الواقعة التي كانت في أول وهلة بدون أهمية، لما يضرب الابن أباه من أجل خلق استجابة الأب بعنف ولما يتم ذلك يقوم الوالد بوظيفته العقابية، لابلانس توصل إلى الخلاصة التالية:"**إذا الأب لم يقم بوظيفته الأوديبية فإن العرض المرضي يقوم بخلافة هذا الفراغ**"[2].

ف.هورتسل يقول من جهته بأنه لا يمكن اليوم التطرق إلى وظائف الأب بدون المقاربة بين الوظائف النفسية والاجتماعية الموكلة له وقد سبق لنا وأن تطرقنا في الجانب النظري إلى العمل النفسي الذي يتم من خلاله الارتقاء من مكانة ابن الأب إلى مكانة أب الابن في سلم الأجيال .

في هذه الحالة فيمكن لنا أن نطرح فرضية أن العمل النفسي المرافق لهذه السيرورة بالنسبة لأب علي لم يتم على أكمل وجه ممكن، في مرحلة المراهقة يقوم علي بسرقة هاتف نقال من جده وعند قدوم هذا الأخير للبيت فإن الجدة تدافع عنه بقوة وتخلق مشكلة بعد ذلك، ففي هذا المناخ المكهرب فإن علي يأخذ تدريجيا الوعي بإمكانية الهروب مع أقرانه من الوسط العائلي إلى العالم الخارجي.

في بداية الأمر لم يكلف نفسه العناء لإخبار أولياءه ويذهب لقضاء عطلة الصيف على شاطئ البحر، ففي هذه المرحلة تصبح زمرة الأصدقاء هي الإطار المرجعي بالنسبة إليه، بعد ذلك يستطيع أن يتحصل على عمل حسب الظروف المتاحة إلى أن تم توقيفه من طرف الشرطة لتواجده في خطر معنوي، حاليا هو يتواجد بالمركز الثاني بسبب سرقة هاتف نقال من فتاة ويبقى الأب عاجزا على اتخاذ أي إجراء.

هذا الشاب يجد نفسه في وضعية حرجة فهو لا يستطيع أن يتقمص شخصية أب خاضع، خاصة وأن الجدة استطاعت إعادة ترتيب الأب بعد أن جعلته في نفس الوقت في نفس مستوى الحفيد، عندما يكون مكان الأب شاغرا فإن الطفل ليس بإمكانه انتزاعه لأنه مقدم من طرف الجدة.

1.Roth Ph ma vie d'homme 1974 Trad Française 1976 Gallimard cité par Dr Fsian Thèse d'état P : 191.

2.Gunter Grasse le turbo 1979 cité pour Dr. F.Hocine P : 192

من جهة أخرى حتى ولو حاولنا تأكيد ما تم التصريح به مسبقا فإننا نجد بعض التصريحات التي تصب في نفس السياق:**"أبي يقول بأن له مشكل مع امرأة بحجم السلحفاة و بأن الصعوبات الحالية تتجاوزه بحيث يصبح بدون مقدرة على حماية أبنائه من الضياع، ليس أبنائه فقط و إنما جيل بأكمله"** ، فبعد سنوات قليلة لن يصبح لديهم مستقبل، فموته أفضل من حياته، ما عدى ذلك فإن المعجزة الإلهية هي الوحيدة التي يمكن لها أن تنقذ هذه الوضعية إما بتبصير وعي الفقراء أو موت أحد الأطراف المتنازعين. هذه الجمل تعطي الانطباع بعدم المقدرة وبالإحساس بعدم النجاعة والتقدير وكل ذلك يصب في منحى الانهيار.

المشكل لا يمكن تخليصه في وضعية الأب الهشة التي لا يمكن لكلمته أن تصنع القانون، فعلاقة الجدة مع حفيدها مباشرة وغير مواسطة بطرف ثالث.

فغوث يطرح فكرة بأنه لا يمكن للرجل أن يصبح رجلا إذا لم يخن أمه ويكتب قائلا :"بأنه لا يمكن للرجل أن يصبح رجلا إذا لم يخن علاقات الحب الطفولية"، حب الأم لابنها قد يجعل أمرا صعبا عملية الانفصال عنها ولكن الأمر الذي يصعب تجاوزه في هذا الظرف هو الإحساس بالذنب والتضحية التي غالبا ما تتمسك الأم بها.

في مرحلة المراهقة فهي تعتبره كطفل، طفلها الخاص وعليه يمكن الافتراض بأنه لا يمكن التقدم في الاستقلالية إذا بقي متصلا بها، فإن كان كسر هذه العلاقة أمرا صعبا لأنه ينقص من الأم جزءا هاما، فإن رفض الابن الانفصال عن أمه فهذا يعني بأنه رفض الارتقاء إلى مرتبة الرشد ومنه رفض انتزاع مرتبة الرجولة بصفة عامة، فبدون عملية الانفصال الأساسية التي تمكن الرجل من الخروج من النفق المصطلح للعلاقة الأمومة، فإننا نجد أنفسنا أمام استحالة بلوغ مرتبة الرجل والحصول أو انتزاع الاستقلالية وبلوغ مرتبة الراشد والوفاء بجميع الوظائف الأبوية المنوطة به .

في خلاصة الحديث لا يمكن لنا أن نقول بأن البنية العائلية تتواجد في ملتقى الطرق بين ما هو ذاتي و اجتماعي و بأن وظيفة الأب المنظمة لها تعتبر كعلاقة مفصلية للاندماج في المحيط الاجتماعي، لكن و من جهة أخرى لما تفقد الأسرة مكانتها المرجعية فإن زمرة القرناء هي التي تأخذ زمام المبادرة من أجل تأطيره.

هذا الشاب أمام صعوبة الظروف تواجد في مراحل متقدمة من حياته بدون معالم اجتماعية و اندماج بصورة كبيرة في الحياة خارج البيت و كانت له الفرصة أن يخرج من البيت طيلة الفترة الصيفية و قام بسرقة عدة أشياء وبالتالي لن يكن له مجال ليعرف ذاته إلا من وجهة نظر رفقاء الشارع الذين احترفوا أغلبهم الانحراف وهذا أمام نقص واضح للسلطة الأبوية في ظل ما تم شرحه مقدما، النتيجة أنه تعدى مرحلة الجنوح وتم وضعه تحت المراقبة القضائية في انتظار محاكمته للمرة الثانية.

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي			×	
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى		×		
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة		×		
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد		×		
5	أحس انه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها				×
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا باني عديم الفائدة				×
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي		×		
9	على العموم انأ ميال للإحساس باني شخص فاشل				×
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي		×		

تحليل:

نلاحظ عند علي أن العلامات المخصصة لتقدير الذات منخفضة لديه ويتعلق الأمر بقيمة اجتماعية منخفضة، في نفس الوقت فهو يعترف بأنه يمتلك صفات ايجابية وإحساس بالقوة ، فهو عنده انطباع بأنه ليس بإمكانه تحقيق ما يريده وبأن وجوده غير مجدي وهو ما يعطينا معلومات أكثر عن الرأي المتناقض عن ذاته.

3.رضا: "لو كان أبي حاضرا لما أصبحت جانحا " أب ناقص، ابن غير ناجح

رضا شاب يبلغ من العمر 16 سنة تم إيداعه في المركز نتيجة لعمل سطو، أثناء المقابلات كان هذا الفتى بدون تردد غير مقتنع بجدوى إيقافه وهو لا ينتظر سوى الخروج من المركز.

نص الحياة:

اسمي م. رضا من مواليد مدينة عين تموشنت وعمري 16 سنة أسكن مع جدتي، أمي وأخي البالغ من العمر 17 سنة، خالتي، بالإضافة إلى خالتين في بيت جميل وفي حي راق من المدينة،جدتي تستفيد من منحة المجاهدين وتعتني بالعائلة كلها، جدي توفى مباشرة بعد ولادتي، خالي الأكبر تزوج الصائفة الماضية وهو يبلغ حوالي 35سنة وهو إطار في مؤسسة عمومية بمدينة أرزيو، خالي الأصغر له دكان مختص في الخياطة المغربية، أما خالتي فهي عزباء ماكثة في البيت.

عائلتي الأبوية لا يوجد فيها أي فرد على قيد الحياة في مدينة عين تموشنت، أمي قضت كل فترةمراهقتها في فرنسا عند خالتي وعادت إلى أرض الوطن وكان عمرها تقريبا عشرون سنة.

خلال شباب أبي قام بجريمة قتل وقضى 14 سنة في سجن بالشلف، عند خروجه التقى بأمي وتزوجا، خلال السنوات الأولى من زواجهما كان أبي مستقرا عند جدتي وكان يقوم ببيع الخضر و الفواكه في مرآب البيت الذي تمت تهيئته على شكل دكان.

بعد حوالي 3 سنوات من الحياة الزوجية بدأت الخلافات بينهما، كنت صغيرا لفهم ما يدور بينهما ولكن بالرجوع إلى الخلف يمكن القول بأن عدم استقرار الحياة الزوجية راجع كليا إلى قضية القتل، أمي لم تتحمل أن سرا كهذا لم يتم التصريح به قبل الزواج.

أبي ندم على مافعل وحاول عدة مرات بعدة وسائطمن تصليح الأمر ولكن كل الأسرة كانت متفقة على الطلاق بناءا على طلب أمي، فالإجراء لم يأخذ وقتا طويلا وفي وقت كنت أبلغ سنتين من عمري، أمي لم يكن بإمكانها أن تتكفل بنا ولهذا فقد أوكلت الحضانة إلى أبي لمدة سنتين.

خلال ذلك الوقت تمكنت أمي من إيجاد عمل في متوسطة تعليمية وهي تشغل منصب حارسة، أما أبي فقد تزوج بعد ذلك وله طفلان:ولد يبلغ 11 سنة و بنت تبلغ سنتين، التي لم يسبق أن رأت أباها، فبعد زواجه هاجر أبي إلى فرنسا، جدتي و نظرا لانشغالها بوضعيتنا قررت أن تتكفل بنا و هو ما أحدث ارتياحا و تفاهم متبادل ما بين أبي وجدتي، فبعد 11 سنة غياب لم أرى أبي إلا مرة واحدة منذ 3 سنوات و لسوء الحظ فإن مدة مكوثه بيننا لم تتجاوز الشهرين أو ثلاثة أشهر على أكثر تقدير، أما الآن فهو عون حراسة في مركز تجاري بمدينة نيم الفرنسية.

كنت سعيدا جدا لفكرة عودته وبقينا معا مدة العطلة، وجدت أمامي رجل ذو بنية مرفولوجية قوية ومتميز بطيبة كبيرة، فبعد الاستيقاظ كنا نأخذ فطور الصباح وكانت فرصة بالنسبة لنا من أجل إعادة اللحمة مع إخوتي الأشقاء، كنا نذهب سويا إلى قاعة تربية العضلات وبعد الظهر كنا نقوم بالقيلولة في بيته.

عادة ما يكلمنا أبي في الهاتف للسؤال عن حالنا ويبعث لنا الملابس والأموال حيث تقدر بحوالي أربعون ألف دينار كل ستة أشهر وعندما يهاتفنا، فإن أخوالي لا يردون عليه وكذلك الأمر بالنسبة لأمي.

طفولتي جرت في ظروف طيبة مابين جدتي، والدتي وأخوالي، كنت محبوبا لم يكن هناك عنفا أو مضايقات و لم ينقصني أي شيء من الناحية المادية، كانت كل طلباتي مستجابة، التسيير المالي كان موكلا إلى جدتي التي كانت تتكفل بكل شيء، أمي كانت تقوم بدورها في العمل وساهمت في تربيتنا.

عندما كنت صغيرا في السن كنت أتذكر عندما كان أبي يرافقنا بمعية أخي الأكبر وزوجته إلى الشاطئ، كنا نقضي أوقات جميلة وخاصة في وقت الغداء أين كان يحضر لنا شواءا لذيذا، جدتي تقول عنه بأنه رجل طيب ذكي وهادئ وأمي لا تتكلم عنه.

زاولت دراستي في مؤسسة تعليمية قريبة من المنزل،كررت السنة الأولى ابتدائي ثلاث مرات والسنة الثانية مرتين مما تسبب لي في عدة تحويلات عبر عدة مدارس، في نهاية المطاف لم أوفق في دراستي لأن مردودي كان ضعيفا.

عند بلوغي 12 سنة لم يكن بإمكاني المواصلة نظرا للتأخر الذي سجلته طيلة السنوات،كنت على مشارف المراهقة بينما كنت مسجل في صف مع أطفال صغار، لم أتقبل هذه الوضعية وكنت أتغيب باستمرار على المدرسة،كان هناك معلمون في المستوى المطلوب وآخرون أصبحوا كبارا في السن و لم تبقى لي علاقات معهم ولكن أصدقائي في القسم فهم دائما زملائي.

خلال هذه السنوات كنت أحب ترويض الكلاب الضالة من أجل استعمالها في صيد الأرانب والطيور البريةوعند رجوعي في وقت متأخر كانت الكلاب تبقى داخل قبو العمارة وكنت أفعل مثل الآخرين.

كنت أؤكد على ضرورة تربية كلب أصيل وقمت رفقة صديق لي بسرقة كلب راعي ألماني من فناء نزل وكنت أهتم به، جدتي لم توافق ولكن في يوم من الأيام قررت أن تتخلى عنه، قائلا بأنه يزعج الجيران، كنت حزينا و قضيت الليلة في البحث عنه عبر شوارع المدينة.

أخوالي لم يعتنوا بي و لم تكن لهم أي سلطة علي، لقد تكفلت جدتي بتربيتي ولهذا فليس صدفة إن ناديتها أمي،إنها امرأة متمسكة بتعاليم الدين، حنونة، أمي كذلك عاطفتها كبيرة اتجاهيولكن هذا لا يقلل أسبقية أو أولوية جدتي.

عندما انقطعت على الدراسة كنت أقضي وقتي في الشارع، الملاعب، قاعات اللعب الخ...تدريجيا توجهت إلى التكوين المهني، في الأول اخترت أن أكون صانعا للحلوى وبعد أربع أسابيع قررت أن أترك مقاعد الدراسة فهذه المهنة لم تعد تعجبني.

أبي نصحني بالتكوين في زاوية دينية بأدرار فقبلت، لكن إيقاع الجنوب لم يناسبني وكان هناك فارق كبير ما بين حياتي في عين تموشنت والحياة في كنف الجماعة الدينية تحت إمارة رجل الدين،فهربت،كنت أفضل الحياة في زمرة الأصدقاء وعلى هذا المنوال تحدد مشواري الطويل مع الانحراف.

من بين أصدقائي الأوفياء أذكر عبد القادر 16 سنة تم إيداعه بالمركز نظرا لأنه ضرب أمه وكان له مشاكل أيضا مع أبيه، قصته عجيبة نوعا ما لأنه استغل فرصة سهو من المرافقين له ليهرب من محكمة عين تموشنت بعد انقضاء محاكمته، إنه الآن في وضعية غير قانونية ولكنه نجح في مخططه،عبد القادر شاب طيب ولكن أباه هو من أودعه في المركز.

يوجد صديق آخر و اسمه رحيم عمره 16 سنة، مودع في نفس الوقت نظرا لسرقة هاتف نقال وتعرفت على أساس الوصف على الشابين الذين تم إطلاق سراحهما قبل إيداعي في المركز وكان متابعين على أساس المشاركة في عملية سرقة حافلة من أحد المستودعات الخاصة.

ويمكن لي أن اكتفي بهذا ولكن هناك عدة معارف في حي سان روك، القرابة، حي الزيتون، سيدي سعيد وهناك أصدقاء آخرون لاعلاقة بالجنوح، في غالب الأحيان يتعلق الأمر بشباب ألتقي بهم في المقهى، أحيانا أدخن سجائر من الكيف ولا أبقى معهم طويلا ولكن انطلاقا من 13 إلى 14 سنة بدأت في استهلاك المخدرات ولكني لا أتناول الكحول قط.

مجموعة الرفقاء الأصليين تتكون من 3 شباب قصر واثنين بالغين وقد تم القبض على الجميعفي قضية سرقة منزل، في غالب الأحيان لا أبقى طويلا في الحي، فأنا أفضل التجوال والمغامرات مع أصدقائي في كثير من الأحيان نذهب إلى وهران ونتعرف بأشخاص ونكون علاقات مع شباب من سيدي الهواري، المدينة الجديدة، ساحة فاليرو، ملعب بوعقل عندما يكون لقاء شبيبة عين تموشنت.

أذهب أيضا إلى تلمسان لأن جدتي من مواليد هذه المدينة وليس لي أي مشكل في التكيف، في الصيف نقضي الليل على شاطئ البحر، فالابتعاد والفارق في الأعمار لا يسببان لي أي إشكال، من وقت لأخر ألتقي بصديقتي، فأنا لست أدري إن كان لديها علم بوجودي داخل المركز، ففي حقيقة الأمر فإن فعلها فرد لا يهمني، فصديقتي امرأة والفرق كله هنا فالرجل المدعن إلى زوجته فهو رجل **راضي**.

فأنا هنا في المركز للمرة الثانية، المرة الأولى كنت في المقهى مع أصدقائي وجاءرجال الشرطة على متن سيارة عادية، فالمشتكي كان برفقة أعوان الأمن وأكد بأنني أنا المحرض أو المتهم الرئيسي لعملية السرقة التي راح ضحيتها.

وقد تم إيقافي وإيداعي في صيف 2009 لمدة شهر ونصف وبعد انقضاء العقوبة السالبة للحرية تم إخلاء سبيلي نظرا لانعدام الأدلة فالرجل الذي اتهمني تراجع خلال الجلسة وقد أصدر الرئيس حكما يقضي بانقضاء وجه الدعوى.

في هذه المرة فالقضية أكثر صعوبة، لقد قمنا بعملية سطو على منزل كائن في حي الزيتون وراقبنا تحركات سكان الحي، كنا أربع شباب غير بالغين سن الرشد وأثنين آخرين بالغين وقمنا بكسر البيت باستعمال حديدة لخلع المسامير.

وبقي شابين صغيرين خارج مكان الحادث من أجل الحراسة واستطعنا خلال هذه العملية سرقة تلفزيونين كبيري الحجم تبلغ قيمتهما حوالي 240.000,00 دج، 02 كاميرا، سلسلة وخلخال من الذهب بالإضافة إلى مبلغ مالي يقدر بستون ألف دينار جزائري.

فقيمة هذه العملية يمكن أن تصل في سوق المدينة الجديدة بوهران غلى حوالي 200.000,00 دج وهكذا يتقاسم أفراد المجموعة ويأخذ كل واحد منهم نصيب مكافئ للآخرين.

فإن حاول أحدهم الاستيلاء على حصة أكبر باستعمال الحيلة، فإنه يعاقب من طرف المجموعة كلها وهذه لا تعتبر أكبر عملية شاركت فيها، فهناك حوالي ثلاثون أوأربعون قضية ولكن هذه تعتبر أول حادثة يتم القبض علي فيها متلبسا، كنت ذلك اليوم تحت تأثير المخدرات *RIVOTRIN*قبل البدء في هذه الجنحة.

عند خروجي بعد عملية السرقة من العمارة لاحظ أحد السكان حركة غير عادية وأبلغ مصالح الشرطة، تفرقنا وقتها ولكني لم أوليانتباه إلى الحضور المموه لرجال الشرطة بالبدلات المدنية، فإن لم يكن مفعول المخدرات فإن رجال الشرطة ما كان لهم أن يمسكوا بي.

في الحالات العادية فإن كل عملية تلزمها خطة وتكتيك،في بعض الأحيان نقوم بالسرقة في مجموعة مكونة من شخصين أو ثلاثة حسب الظروف إذااستيقظ الجيران نرميهم بالحجارة لتخويفهم، فالمال المسروق أستعمله بعشوائية في الأكل الأسفار،شاطئ البحر...الخ.

فأنا لا أشتري الملابس لكي لا أضع الشكوك وأقوم بإخفاء أموالي في حصالة لجمع الدراهم والتي أخفيها بعناية داخل غرفتي، فإذا عرض علي القيام بسرقة في مكان بعيد فأنا أغامر ولا أخاف، فالمسافة البعيدة لا تهمني فأقوم بغلق الباب بالمفتاح وأغادر غرفتي من النافذة في ساعة متأخرة من الليل وأعود في الصباح الباكر حيث الناس نيام ولا أحد من العائلة يراقبني في الليل،إنأكون داخل غرفتيأو لا فأنا حر ومستقل وأخوالي لا يتدخلون، لأن جدتي تمنعهم من ذلك.

فجدتي هي التي تكفلت بتربيتي وليس بمحض الصدفة إن لقبتها بأمي، أمي أحبها كذلك ولكنها تأتي في المرتبة الثانية فجدتي تراقبني من بعيد تحرص أصدقائي، مؤخرااستولت على الكثير من السكاكين الموجودة بحوزتي ولكن في كل مرة أجد الحيلة المناسبة من أجل التخلص من مراقبتها اللصيقة.

في يوم من الأيام كسرت زجاجة سيارة وأمام صوت رنين الإنذار هربت وتعرف علي صاحب السيارة وطلب رؤية والدي،فقابلته جدتي التي كانت متأكدة أنابنهابريء ولكن أخي الأكبر صارحها بالحقيقة وهنا قامت بتعويض المتضرر وقدمت له اعتذاراتها، قالت لي بأني أجلب لها العار فهي أم لسبعة أبناء وأنها لم تعش في حياتها مهانة مثل هذه،فالآن ومنذ تورطي في عدة قضايا متعلقة بالسرقة فإن الشرطة لا تتوانى على إيقافي من أجل طلب معلومات بالمقابل عن الإفراج المباشر عني ولكنهم دائما يراقبونني من بعيد.

بعد عيد الأضحى هربت من المركز، هذا بالرغم من أننا قضينا عيدا جيدا إلا أنني قررت الهروب مع أحد أصدقائي إلى عين تموشنت لقد قطعنا حوالي 15 كلم قبل الوصول إلى محطة نقل المسافرين واستقينا الحافلة بدون أن يكون لدينا نقود فالقابض لم يؤاخذنا على ذلك.

أخي الذي يواصل دراسته ببشار منذ شهر عند خالتي حضر لقضاء عيد الأضحى بعين تموشنت، كان يريد أن يزورني بالمركز و بدت عليه الدهشة حينما رآني في المنزل فالدم لا يصبح ماءا أخي، هو أخي إذا مضغني فهو لن يبلعني، أصدقائك يمضغونك، يبلعونك ويأكلونكعدة أشياء في نفس الوقت.

هل هناك صديق كلف نفسه العناء من أجل رؤيتك في المركز، في الحقيقة هم غير راشدين ويمكنهم الدخول إلى المركز بدون مشكل فمراقبة الهوية في المركز أمر غير صارم بالنسبة للشباب،أنا كنت أزور أم عبدالقادر وكنت أعطيها النقود لمساعدتها حوالي 1000أو2000 دج وكانت تقبل عطائي بدون مشكل.

جدتي كانت غاضبة جدا عندما أدركتأنني هربت من المركز وكانت تردد هل تفضل أن تعيش في السجن إذا أكملت في هذا المنوال ستصبح محبوسا طول حياتك، هل رأيت نتائج الرفقة السيئة و في الغد رافقتني إلى المركز وطلبت رأفة المديرة.

بعد أيام جاءت قاضية التحقيق في إطار تكملة الملف أنكرت جميع الأفعال المنسوبة إلي فردت علي بأن شركائي في الجنحة أكدوا تواجدي في مكان وقوع السرقة، هنا أجبت بأنني كنت في خارج ذلك المكان وبأنني لن أتعدى مدخل المسكن.

رجال الشرطة لم يجدوا بحوزتي الأشياء المسروقة فأنا غير متخوف من مقاضاتي وماذا سيفعلون لي، المقصلة سأفعل مثل عبد القادر سأهرب خلال التنقل من المركز إلى المحكمة،سأمزق نفسي على مستوى الكتف والسيقان بشفرة حلاقة، سأبلع ملعقة قهوى بدون تردد، لن أبقى إلى غاية بلوغي 18 سنة حبيس هذا المركز، فأنا لست فردا متشردا عندي والدي وعائلة تنتظرني، فأنا لست ابن الشارع حتى أن أبي هاتفني منذ يومين فقط.

أنا مشتاق لأبي لقد مضت إحدى عشر سنة لم يقضي فيها عيد الأضحى، حتى أنه و لما يحضر فإنه يفعل ذلك فجائيا و ينصرف بعدها فإن كان أبي هنا فهل تظن أنني سأكون هنا، سأكون في البيت تخيل للحظة لما تطلب منك أمك أن تدخل إلى المنزل مثلا هل تأخذ كلامها على محمل الجد، مع أبيك الأمر مختلف عندما يكون حاضرا و يأمرك بفعل شيء فأنت تطيعه ليس لديك اختيار.

<u>تعليق:</u>

منذ نعومة أظافره الطفل مدعو إلى بناء ذاته في إطار اجتماعي بداية بعلاقته بأمه، لينتقل إلى علاقة عائلية أخرى قبل الانفتاح على علاقات أكثر توسع مع التقدم في السن، ابتداء من الروضة أو الأطوار التحضيرية في التعليم فإن الطفل ينسجم أكثر فأكثر في العقلية الاجتماعية أثناء عملية التنشئة.

بصفة عامة يمكن لنا القول بأن تواجد التلاميذ قد يلاحظ مبكرا في الشوارع ليستمر إلى سنوات متأخرة ما بين العشرين والثلاثين سنة أو أكثر ولكن مع الانسجام أكثر في الحياة المهنية والأسرية فإن الاعتماد على المجموعات يتضاءل شيئا فشيئا، نظرا لتطور مبدأ الاستقلالية فمع اكتساب منصب عمل فإن الشاب يبقى خاضع لتوقيت مطوّل داخل هذا الإطار، بالإضافة إلى الدخول في علاقات عاطفية وتكوين اسر، يستحيل بعد ذلك الإبقاء على نفس الأواصل المتينة مع مجموعة الأقران.

النص الذي أفادنا به الشاب رضا من خصوصياته أنه يوضح لنا كيف أن مجموعة الأقران يتم الاستعانة بها واستثمارها مبكرا كبديل لمؤسسات المكلفة بالتنشئة الاجتماعية أثناء المراهقة، كالعائلة، المدرسة، خاصة عندما تفقد هذه المؤسسات دورها الريادي في تنشئة الأفراد.

من جهة أخرى نلاحظ أيضا كيف يمكن لمجموعة الشباب داخل الزمرة أن توجه سلوك الأفراد وتمنعه من التطور في وجهة ايجابية بعيدا عن الجنوح، خاصة إذا كان الفرد ينسجم من خلال الطاعة والولاء لهذه المجموعة، حيث أن تحكم المجموعة في سلوك الأفراد من شانه أن يعزز ميله للجنوح ورفضه جميع الأساليب الاجتماعية من اجل التكيف في علاقات بناءة مع المحيط.

والدا رضا تطلقا منذ حوالي13 سنة، الأب تزوج من جهته وهاجر إلى فرنسا، حسب هذا الشاب فإن سبب الطلاق راجع إلى ارتكاب الأب لجريمة قتل قبل زواجه أمه، وبعد اكتشاف الأم لهذه القصة، فهي لم تستطع مواصلة العيش معه لأنها لم تتقبل أن يخفى سر بمثل هذه الأهمية عنها وقد ساهمت الأسرة بكاملها في عملية الانفصال في بداية الطلاق فان حضانة الأبناء كانت من نصيب الأب الذي تكفل بهما لمدة سنتين في حين أن الأم تحصلت بعد ذلك على عمل واستطاعت بعد ذلك استرجاع حضانة الأبناء.

الصعوبات التي تعرض لها رضا حسب نظرنا سابقة لعملية الانفصال وإلا فكيف يمكن لنا تفسير معنى الأبوة عند شخص ليس بإمكانه رؤية أبنائه لعدة سنوات، في مرحلة من المفروض أن يتواجد باستمرار لموافقة نمو وتربية الأبناء وعلى هذا الأساس لا يمكن القول بأن الأب بالنسبة لرضا هو وقبل كل شيء الأب الغائب.

"منذ حوالي11 سنة من الغياب أبي لم يعد إلى أرض الوطن سوى مرة واحدة قبل3سنوات، لسوء الحظ فإن مدة تواجده معنا لم تتعدى الشهرين أو ثلاثة أشهر، كنت سعيدا جدا لفكرة رجوعه وبقينا معا طيلة مدة عطلته وجدت أمامي رجلا ذو قامة عالية وطيبة كبيرة ، في الصباح كنا نأخذ فطور الصباح معا وكانت الفرصة مواتية لإعادة بعث العلاقات مع إخوتي الصغار، كنا نذهب معا إلى قاعة تقوية العلاقات في المساء كنا نقوم بالقيلولة في بيته ".

رضا تكلم عن التقائه بأبيه وأكد على الطابع القصير لهذه العلاقة :**"عادة ما يكلمنا في الهاتف يسألنا عن حالتنا، فهو يبعث لنا ألبسة وحوالي 40ألف دينار كل ستة أشهر"**، الأب من خلال هذا المقطع لم يقطع العلاقة مع أبنائه فهو يتصل بهم من خلال الهاتف ويبعث لهم أموالا وألبسة، هذا الاهتمام وإن أضحى أساسيا فإنه حسب وجهة نظرنا لا يفي بالغرض المطلوب، لأن مثل هذا الفعل يمكن أن يقوم به أخ أكبر أو أي أحد من الأقارب يتسم بالالتزام والمسؤولية في هذا المجال.

"لما يكلمنا أبي في الهاتف فإن أخوالي لا يردون أبدا عليه في الهاتف"، فرد فعل الأخوال والأم لا يشجع تحسين وتقوية العلاقة ما بين الأب ورضا، فالطلاق هنا يساهم بشكل كبير في قطع العلاقة وإلغاء وجود الأب.

الأب من الناحية القانونية يؤسس انطلاقا من الزواج، فهو زوج الأم في هذا الإطار ولكي يكون تكوين نفسي للطفل فلا بد لهذا الأخير أن يتواجد في المرتبة الثالثة، في المثلث الأوديبي ولابد للزوج الأبوي أن يحظى بصورة جيدة لديه من الوهلة الأولى في مرحلة الطفولة.

في غالب الأحيان في حالة الطلاق، فإن الحضانة تكون من نصيب الأم وهو ما ينقص من ممارسة الوظيفة السلطوية من ناحية الأب، فالحضانة لأحد الآباء تساهم في إيجاد أب أساسي يحظى بكل الصلاحيات على حساب الأب الأخر، الذي يظهر في مركز ضعف لأنه لا يستفيد إلا بحق زيارة قصيرة الأمد في غالب الأحيان ولتعدد المشاكل فإن الكثير من الآباء يتنازل عنه.

فالصراع ما بين الأبوين غالبا ما يساهم في ارتباط الأبناء بالأم على حساب الأب وللتدقيق أكثر نقول بأنه في حالة الطلاق فإن غياب الأب يتجلى في التفكك ما بين العلاقات الزوجية، التي تصبح عشوائية وعلاقات الأبوة الملزمة هذا التفكك من شأنه أن يضعف تدخل الأب الحقيقي كعامل الإخصاء والجامع لنزوات الأم .

"أمي لا تتكلم عن أبي "ماذا يعني الأب بالنسبة لرضا ؟ فغياب الأب يتجلى من خلال السكوت وغياب الكلمات التي تذكر بوجوده، من جهة أخرى فإننا نعلم بأن حضور الأب الحقيقي لا تعد ضرورية إذا كان حاضرا في تمثلات الأم واهتماماتها، في هذا المضمون نقول بأن الأم هي التي تتحدث عن الأب إلى طفلها.

"كنت أدرس في مدرسة محاذية لمقر سكناي ولقد كررت السنة الأولى ثلاث مرات والسنة الثانية مرتين وهذه الوضعية استوجبت نقلي إلى عدة مؤسسات تعليمية، في نهاية المطاف ترّسم فشلي المدرسي، لقد كان مردودي ضعيفا ، خلال هذه الفترة كنت مهتما بترويض الكلاب الضالة لاستعمالها لصيد الأرانب والطيور"، المرور بمجموعة الأقران سيسمح باكتساب العديد من السلوكات، لاسيما بالنسبة للشباب الذين يعانون من مشاكل في التكيف بعد فشلهم في الاندماج الأسري والتعليمي أو المهني،فعلى سبيل المثال فإن الفشل المدرسي يساهم في خلق نوع من العلاقة المبنية على الصراع مع المحيط .

وفي كثير من الأحيان فإن زمرة الأصدقاء تمنح إلى الشاب إطار يسمح بالتنشئة في شكل إغراءات يصعب تجاهلها في ظل الاعتراف المتبادل ما بين الرفقاء،هذا الشاب يحكي لنا كيف تغيب مبكرا عن المدرسة برفقة أصدقائه، فبمعية أقرانه كان رضا يبحث عن شبكات اجتماعية من شأنها قبوله وإدماجه لتعلم سلوكيات جديدة ، فهذا الشاب كان يتقمص شخصية العارف داخل المجموعة :"كنت أفعل مثل الآخرين "، ففي غياب الإطار العائلي القوي والبناء، فإن الانتماء إلى مجموعة المنحرفين يصبح أكثر أهمية للتخفيف من النقائص التي تعاني منها المدرسة والعائلة وذلك بإيجاد مساحة ونماذج مطمئنة مبنية على العلاقة الجماعية .

"أخوالي لم يكونا يهتما بي، فهما لا يمتلكان أي سلطة اتجاهي، جدتي هي التي تولت تربيتي ولهذا السبب فأنا أناديها أمي، هذه الجمل تبرز بوضوح غياب الأب بالإضافة إلى غياب أي عنصر ذكوري أثناء المراحل المختلفة لتنشئته ولحسن الحظ أن الجدة تداركت هذا الفراغ بتمكنها من اكتساب مكانة معتبرة اتجاه الطفل بالتزامها بتربيته وتدخلها المباشر على الصعيدين النفسي والاجتماعي اتجاه حفيدها.

"لما تخليت عن مواصلة مشواري الدراسي كنت اقضي وقتي في الشارع ، في الملاعب الرياضية أو قاعدة الألعاب وفي الغالب كنت أفضل رفقة الأصدقاء وعلى هذا النحو ترسم تدريجيا مشواري مع الانحراف ، من بين أصدقائي اذكر عبد القادر 16سنة والذي تم إيداعه في المؤسسة نظرا لاعتدائه على أمه،لقد كان يعاني من مشاكل كبيرة مع أبيه، هناك صديق أخر اسمه رحيم 16سنة ، تم ضبطه في نقس الوقت معي بعد قيامه بسرقة هاتف نقال ".

فبمجرد تواجده في الشارع فإن الزمرة تصبح هي المعيار، مركز الاتصال أو العلاقة التي تنظمها قواعد قاسية ولكنها في نفس الوقت مقبولة جماعيا **:"فبصفة عامة يتعلق الأمر بشباب التقي بهم في المقهى، أحيانا نتناول سجائر من الزطلة فأنا لا أبقى باستمرار معهم ولكن ابتداءا من 13أو14سنة تناولت المخدرات ، بينما الكحول فلم يسبق لي أن تناولته ".**

تدريجيا فإن ترددات رضا على مجموعة الأصدقاء مكنته من القيام بالكثير من الاتصالات، خاصة وأن الابتعاد عن مقر سكناه والاختلاف في السن لا يسببان له أي مشكل.

فهو بهذا الشكل لا يتواجد على الهامش وإنما في قلب نسق من العلاقات مفروضة من الناحية القانونية ولكنه يشتغل حسب قواعد وحدود خاصة جدا .

رضا ينتمي إلى مجموعة مركزية ولكن ذلك لا يمنعه على ارتياد مجموعات أخرى في مناطق مختلفة، فالنسبة له فإن المخاطرة تعتبر ركنا أساسيا لنمط حياة الشباب ، كما أن المجازفة من منظور المجموعة تعتبر السيمة الأساسية لبلوغ مرحلة الرجولة .

"من وقت لأخر التقي بصديقتي فأنا لا أعلم إن كان لديها علم بإيداعي المركز أنا الرجل، فأنا الذي أحكم وأنا حر في تصرفاتي، صديقتي امرأة فهو راضي "رضا يطالعنا عن مفهومه للجنس الاجتماعي وذلك بالرجوع إلى الأفكار المسبقة الاجتماعية Stéréotypes sociaux .

فالرجل هو من المفروض أن يسير الأمور لأنه حر في تصرفاته عكس الجنس اللطيف، فالرجل الذي تسيطر عليه المرأة لا يستحق احترام جنس الذكور، هذا التصور التناقضي للأشياء لا يعكس بصورة دقيقة وجهة نظره الخاصة بقدر ما يردد نظرة المجتمع، فالمجتمع هو من يتكلم على لسان رضا وليس رضا هو من يتكلم.

رضا تكلم أيضا بإسهاب على وضعه في المركز وتكلم عن عدة سرقات قام بها قبل أن يتم إيقافه من طرف الشرطة القضائية،"ولكن لأول مرة تم إيقافي في حالة تلبس، السبب في ذلك هو أني قبل القيام بهذه الجنحةكنت تحت تأثير مخدر*Rivotrin*".

خلال هذه المرحلة استفاد رضا من الخلل السائد في المراقبة العائلية وهي القرينة التي مكنته من تكثيف العديد من السرقات،"أغلق الباب بالمفتاح وأتسلل من نافذة غرفتي في ساعة متأخرة من الليل وأعود عبر نفس الطريق حوالي الساعة الخامسة أو السادسة صباحا عندما يكون كل الناس نيام "، جدة رضا لها مكانة محورية في هذا النص، أما الأم فهي تأتي في المرتبة الثانية، فماذا عن تعلق أم رضا بوالدتها ؟

"لقد تكفلت جدتي بتربيتي ولهذا السبب فأنا ألقبها بأمي، أمي أحبها ولكنها تأتي في المرتبة الثانية، جدتي تراقبني من بعيد وترصد علاقاتي مع أصدقائي، مؤخرا قامت بحجز عدة سكاكين كنت استعملها ومع هذا فإني دائما أجد الحيلة المناسبة للتخلص من حضورها القوي ".

الجدة تقوم بدور أساسي فحضورها يظهر وكأنه يعوض غياب الأب فهي تراقبه، تزجره عندما تلاحظ انحراف في سلوكه ، تقوم بحجز الأسلحة البيضاء التي تكون في حوزته ولا يمكن القول بأن رضا لم يكن له اليوم انطباع بأنه يوجد الذي يليق به داخل المؤسسة ولهذا السبب قرر أن يهرب رفقة أحد أصدقائه وقد تكفلت الجدة مرة أخرى بإرجاعه إلى المركز في اليوم الموالي "هل تكلف أحد أصدقائي عناء زيارتي في المركز؟"وهنا تظهر لنا ولأول مرة عملية نقد الأصدقاء القدامى في حديثه .

بعد أيام قلائل،تأتي قاضية الأحداث إلى المركز في إطار إتمام الإجراءات المتعلقة بملفه الجزائي، "لقد أنكرت جميع التهم الموجهة إلي"وعادت القاضية لمساءلتي وقالت بأن أصدقائي قد أكدوا أثناء أطوار التحقيق بأنني كنت معهم أثناء سرقة المنزل ، فكانت إجابتي بأنني كنت خارج البيت وبأنني لم أدخل هذا المكان على الإطلاق ".

هنا الفارق ما بين الشاب المتواجد خارج المركز وذلك الشخص داخل المؤسسة هو فرق شاسع، بحيث أن هذا المكان يفرض عليه أن يبرر أفعاله أمام العدالة والقانون وأن القواعد والنظم جاءت لتقلص حريته التي اعتاد عليها في تعاملاته في الشارع.

"إنني لا أخشى محاكمتي المقبلة ، ماذا يمكن لهم أن يخبئون لي؟ المقصلة، سأفعل مثل عبد القادر الذي هرب أثناء نقله إلى محكمة عين تموشنت، سأقوم بتمزيق جسمي بشفرة الحلاقة أو سأبلع ملعقة شرب قهوى بدون أدنى تردد ".

بالنسبة لرضا فإن الإيداع عملية مفروضة عليه، فهي تجربة محبطة وهو يصرح بأنه في حالة أين يتم معاقبته قانونيا فإنه سيتعدى على سلامته الجسدية أو يقوم بجملة من السلوكيات كالهروب على سبيل المثال مقتديا بتصرفات أصدقائه.

"أنا مشتاق إلى أبي، فأنا لم أقضي معه عيد الأضحى منذ حوالي 11سنة، حتى إنه لما يأتي فإن ذلك لا يدوم طويلا لأنه يأتي على حين غفلة ويذهب بعد ذلك في ظرف وجيز، تخيل إن كان أبي حاضرا؟هل تظن بأن مكان تواجدي هو المركز ؟سأكون حتما في المنزل، تخيل للحظة بأن جدتك تأمرك بالدخول مبكرا إلى البيت على سبيل المثال، هل ستأخذ كلامها على مجمل الجد ؟مع الأب فإن الأمر يختلف، عندما يكون حاضرا ويأمرك بشيء فإنه لا خيار لديك سوى الطاعة ".

كما سبق لنا وأن ناقشنا بالنسبة للنصوص الأخرى ، فإن حديث رضا يطرح العديد من التساؤلات فهذا الأب هو دائما غائب، أما الأم فهي لا تملك السلطة اللازمة لمراقبة سلوك أبنائها، لأن ابنها المراهق لا يبالي بها نظرا لأنها وحيدة وبدون سند الأب .

فلو سلمنا بأن الأب كان أكثر حضورا أثناء تربية أبنائه، فإن خطابه سيتم إدخاله بالمفهوم الاجتماعي للقيم والمراجع الاجتماعية المرافقة، على هذا الأساس لا يمكن أن نلاحظ عدم إمكانية التقمص لشخص غائب ولا يبقى لهذا الشاب سوى التقمص لشخصية الأقران الذين يقاسمونه نفس المعاش والقيم الاجتماعية التي غالبا ما تكون منحرفة .

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي		×		
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى				×
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة		×		
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد		×		
5	أحس انه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها				×
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا باني عديم الفائدة				×
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي		×		
9	على العموم انأ ميال للإحساس باني شخص فاشل				×
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي		×		

تحليل:

رضا يظن بأنه يملك قيمة مساوية للآخرين ولكنه لا يعتبر بأنه يملك نوع من الخصائص السلوكية ، معنى الحياة عنده غير واضح المعالم لا يولي إلا أهمية ضعيفة للمجال الاجتماعي (الفقرة6)،التوافق الاجتماعي ضعيف والتحقيق الفعلي لأنشطة الحياة ضعيف ، هذا الشاب يعاني من عوائق تمنعه من الاندماج في أفق زمني من أجل تحقيق ذاته خارج منطق مجموعة الجانحين، التي يمكن لو تجاوزها أن يرجع الأمور إلى المسؤولية الفردية الايجابية.

4.طيب:الابن الضحية لأصدقائه، المضطهد لأمه:

طيب شاب يبلغ من العمر 14 سنة تم إيداعه للمرة الثانية بعد ضربه لأمه، أبويه مطلقين منذ صغره كما تعرض إلى اعتداء جنسي جماعي وهو لا يتجاوز سن الخامسة، حسب المربين فإن هذا الشاب يبقى محايدا للجماعة وينفجر باكيا بدون أن يكون أي سبب ظاهر لذلك، بعد عدة حصص ملاحظة تقريبا تقربت منه وشرحت له الهدف من البحث الذي أنا بصدد انجازه وطلبت منه أن أجري مقابلات نصف موجهة من أجل التحدث عن الدوافع التي سبقت عملية الإيداع.

النص:

اسمي ب. طيب عمري 14 سنة ونصف، ولدت في حي شعبي بمدينة سيدي بلعباس، لي أخت تبلغ من العمر 13 سنة تدرس في الطور الثالث متوسط، والدينا تطلقا مباشرة بعد ولادة أختي، أبي متقاعد من سلك الدرك الوطني ولديه طفلين من زواجبمدينة تيارت: سمية19 سنة ومهدي 18 سنة.

أبي من منطقة معسكر فأمه تعيش مع باقي العائلة هناك ولها 6 بنات و ولد دركي بمدينة بومرداس، في الحقيقة لم يسبق لي زيارة جدتي إلا مرة واحدة، أما جدي فقد توفي و سماني أبي تبركا باسمه.

والديا رحلا عبر عدة أحياء ولكن بعد الطلاق رجعت أمي إلى بيت جدتي وخالي وهو كذلك رجل مطلق و له 03 أطفال تحت حضانة أمهم، جدتي متقاعدة من القطاع الصحي بالمدينة وكانت تعمل كعاملة تنظيف، خالي عامل يوميوهو رجل مستقيم لا يحب الاختلاط بالناس كثيرا، أما جدي من ناحية أمي فقد توفي قبل ولادتي.

نسكن في بيت فردي متوسط الحال في بلدية صغيرة قرب المدينة، أمي تعمل أحيانا في ميدان الفلاحة أو كامرأة تنظيف عند الخواص، قبل بلوغي سن الخامسة تعرضت إلى اعتداء جنسي جماعي، لقد تم تعذيبي من طرف مجموعة مكونة من 14 شخص أعمارهم تتراوح ما بين 12 و 19 سنة وتم تكرار هذا العمل المشين مدة شهرين بعنف لمتناهي وكنت أعاني أشد العنف، في يوم من الأيام تم اقتيادي بعنف، أمي حاولت التدخل من أجل منع ذلك ولكن جدتي منعتها و قالت لها بأن ذلك لعب أطفال.

ولكن حقيقة الأمر كانت مخالفة تماما، ففي نهاية المطاف سقطت من الألم الذي كنت أعاني منه في الخوف، أمي فحصتني و إذا بها تجد أثار التعنيف، فأخبرتها بكل ما جرى لي،اقتادتني إلى طبيب شرعي الذي أكد لها العنق المسلط علي، بعد ذلك تقدمت بشكوى من أجل هتك عرض طفل قاصر وتحويله.

أمي كانت تريد من أن تأخذ العدالة مجراها و في نفس الوقت أرسلتني عند بقال الحي، عندما اعترض طريقي شابين من المجموعة المعتدية و لقد تفطنت أختي وعادت مسرعة إلى البيت ، فأخبرت أمي والتي جاءت بسرعة فائقة وهي تشهر ساطورا، فهرب المعتديان بعد ذلك مباشرة ونجوت في أخر لحظة من مخالب الذين كانوا يودان اختطافي.

القضية تراوح مكانها عدة أشهر إلى غاية صدور الحكم يفضي ببراءة المتهمين وكانت صدمة شديدة بالنسبة لنا، ففي الكواليس كان هناك حديث عن معارف كثيرة لدى المتهمين التي أثرت على الحكم النهائي للمحكمة، أبي لم يفعل شيئا خلال المعركة القضائية.

وكانت خيبة أمل كبيرة أمام منطوق الحكم أمي كانت مصدومة بشكل كبير ولهذا السبب لجأت إلى السيد مدير النشاط الاجتماعي وأعلمته بمخاوفها من انتقام جماعة المعتدين،طلب المدير جميع المعلومات الأساسية قبل التوقف عن الصعوبات التنفسية التي كنت أعاني منها خلال طفولتي.

وهنا كانت فكرة صائبة بحيث قرر المدير أن يتم التكفل بي في مستشفى الأطفال المصابين بالربو بمنطقة تسالةوشدد هذا المسئول عن ضرورة السرية التامة من أجل الاحتفاظ بجميع الحظوظ لتحقيق التكيف بهذه المؤسسة.

وقد تم إخطار أخصائية نفسية بوضعيتي وكنت لمدة 5 سنوات متتالية الأول في القسم،كنت أتقن اللغة العربية، الفرنسية وكنت أضاعف جهودي من أجل التقدم وكان هناك مناخ اجتماعي جيد ونوع من الاستمرارية في التأطير خاصة مع المعلمة التي لم تدخر أي جهد من أجل أن ننجح، في كل أسبوع كانت أمي تأتي لزيارتي في المركز برفقة جدتي وأختي، أما في ما يخص أبي فإنه لم يحظر أبدا.

خلا ل العطل كنت أرافق أمي إلى الحمام وكانت صاحبة الحمام توافق على دخولي إلى غاية سن الثامنة وكنا من الأوائل الذين يدخلون الحمام وكنا نخرج بعد ذلك وعند تقدمي في السن فإن أمي كانت تكلف العامل في الحمام بأن يقوم بغسل جسدي ومع الوقت أصبحت مستقلا، خلال الفترات الصيفية راودت المدرسة القرآنية مع ثلاثة من أصدقائي تعلمت بعض السور ثم قررنا بعد ذلك أن نترك المكان.

ولكن الأمور لم تبقى على هذا الحال من التطور فقد تدخلت عوامل أخرى جعلت أمي تراجع قرار إيداعي المركز، ففي يوم من الأيام جاءت امرأة قريبة من المعتدين و تم توظيفها كمربية في المركز الاستشفائي وخوفا من أن يتم فضح سر ابنها قررت أمي في وقت من الأوقات أن تسحبني من المركز للحفاظ على شرفي.

بعد انتقالي إلى الطور المتوسط كررت السنة الأولى، لم يعد بإمكاني متابعة دروس الرياضيات فلم أكن أجد ضالتي في المدرسة وكنت أتغيب باستمرار ولهذا السبب رسبت في آخر السنة وعليه طلب مني أحد أصدقائي من أن أقوم بفتح طاولة لبيع السجائر بالقرب من البيت وذلك للتقليص من تبعيتي الاقتصادية، أما الآن فأنا على وشك الطرد فاسمي مدون على سجل الغيابات منذ إيداعي المركزولم أشارك في الامتحانات.

أمي تقول لي بأن أولاد إخوانها كلهم أشخاص مثقفون وبأنني أعمل بأقل بكثير من إمكانياتي، فأمي لا تتوقف من انتقاداتها لأصدقائي التي ترى بأنهم يميلون إلى الجنوح، فهي تتكلم بدون انقطاع عن هارون وهو أحد المشاركين في الاعتداء الجنسي علي والذي يبلغ حوالي 19 سنة وهو ابن غير شرعي، عادل 26 سنة وهو موقوف في السجن ويمكن إضافة أسماء أخرى كعيسى، ريان واللذان هما طالبين في المتوسطة، حكيم وهو مسجل في مركز للتكوين المهني.

فبالرجوع إلى البيت لم يكن لدي علاقات كثيرة مع خالي، في الصيف نسهر إلى غاية منتصف الليل مع أصدقائي، أما في الشتاء فأدخل مبكرا للنوم، عند بلوغي سن المراهقة أصبحت أكثرعنفا مع أمي وأختي و لقد استنشقت الغراء ولكنني لم أتحمل الاختناق الناتج عنه وتركت ذلك مباشرة، تعلمت التبغ رفقة أصدقائي كان عمري يتجاوز بقليل 12 سنة، بالموازاة كنت محل متابعة من طرف مختص نفسي لخلية الإصغاء والمساعدة النفسية، كنت أمارس الرياضة بشكل كبير فأنا أحب الرياضات الجماعية وكنت ضمن الفريق المحلي لبلديتنا.

في الصيف الماضي عملت عند صاحب محل لبيع الأحذية، في البداية كانت أمي تأتي برفقة أختي لرؤيتي وإعطائي رغيفا وقت الغداءولكن صاحب الدكان قال لها بأن الأكل مضمون والنقل كذلك وبأنني بين أيدي أمينة، فرجعت أمي وهي مسرورة، أختي أرى بأنها طيبة ولكن عنيدة في بعض النقاط التي ترى بأنها أساسية.

أحيانا كنت أبيع الأكياس البلاستيكية بالقرب من السوق وأحيانا أخرى كنت أعمل حمالا و بالنقود التي أجمعها أشتري دراجة نارية من نوع بيجو 103 بمبلغ مالي قدره09 ألاف دينار، اشتريتها من الساحة العامة "الطحطاحة" المخصصة للبيع يوم الجمعةوكان صاحب هذه الدراجة النارية شاب جانح، الذي يعتبر صديق لأحد أصدقائي، فكانت هذه الدراجة في حالة جيدة ولكن بالرغم من هذا كان يلزمها إطار جديد، يحمل الرقم التسلسلي مرفوق بفاتورة بيعوعلى هذا الأساس اشتريت هذا الإطار بحوالي 03 أو 04 ألاف دينار جزائري وتنقلت على متنها في جميع النواحي إلى حمام بوحجر والمناطق المحاذية له برفقة أصدقائي ولقد بلغت بالدراجة سرعة 110 كلم/سا، مؤخرا كنت بحاجة إلى نقود فقمت ببيعها بـــ15 ألف دينار جزائري.

بخصوص إيداعي الأول كنت أبلغ 11 سنة وكنت بحاجة إلى نقود فحاولت الاستيلاء على حامل نقود أمي ولكنها عارضتني بقوة وكانت جدتي غائبة وعليه قمت بدفعها فعند سقوطها فقدت التوازن وكسر ذراعها،فنشب بعدها عراك فقررت أمي إيداعي المركز لمعاقبتي لكن جدتي لم تستطع امتلاك غيضها عندما رأتني في المركز و لهذا السبب تم سحبي من المركز في نفس اليوم.

لم يسبق لي وأن عشت مع أبي فعندما كنت صغيرا لم أكن أراه، لكن مؤخرا ومع تكرار الإجراءات القضائية التي تحركها أمي فكنت ألتقي به مع العلم أننيلم أزر بيته، فهو لا يدفع النفقة بانتظام وفي كل الأحوال فأن جدتي هي التي تحاول بكل الوسائل أن تساعدنا لمواصلة مشوارنا الدراسي، فكان أبي يأخذني أنا وأختي على متن السيارة وكان يشتري لنا الغداء وكنا نذهب إلى البادية وعند ذهابه كان يعطينا مبلغ 200 دجلكل واحد منا وكان يختفي، فعلاقتنا به سطحية.

أمي لا تقول لنا إلا الحقيقة بشأن أبي، فهي تظن أنه في حالة وفاتها سيكون لنا على الأقل أبا بجانبنا، هو لا يرى الأمور بنفس المنظور فقد قال لي إثر لقاء إذ تم إيداعي في المركز فأمك هي السبب في ضياعك، فهي تتحمل المسؤولية كاملة ، لكن في الواقع أمي لم تكن سعيدة معه فهي تلومه لميله إلى المشروبات الكحولية وغياب حس المسؤولية لديه.

أبي لم يفعل أي شيء لصالحي، فأمي تقول بأنه تم إيقافه في قضية رشوة والتي كلفته شهرين من الحبس النافذ وأنه بعد الإجراءات القانونية المطولة تمكن من تسوية وضعيته بلجوئه إلى نظام التقاعد المبكر، أمي طلبت الطلاق لأنها تقول بأنه كان دائما في حالة سكر وأنه كان يرفض القيام بالواجبات الزوجية.

عند خروجه من السجن، توجه لممارسة نشاط نقل المواد البتر وكيميائية فهو يملك شاحنة ذات خزان، جرار زراعي، حافلة ومسكنين الأول في بطيوة و الثاني في سيدي بلعباس، بالإضافة إلى فيلا في طور الانجاز، فهو يسافر إلى الخارج يشتري سيارات جميلة أما أمي فهي لا تملك أي شيء من الناحية المادية.

في هذه المرة فالأمور لم تتحسن، خرجت من المنزل والتقيت بصديق الذي بدوره دعاني إلى شرب القهوة معه، فعند رجوعي أصبت بنوبة غضب حاد واعتديت على أمي فلويت ذراعها وكانت تصرخ...ابني أنا أمك... وكنت أردد بلا مبالاة:أنت لا شيء، كنت أحاول خنقها و بعدها دفعتها بشدة بعيدا عني فسقطت على ظهرها وفتحت صوت التلفاز عاليا وأنا في موجة هيجان عصبي وكنت أرمي بالأحذية مباشرة إلى وجهها.

أمام رجال الدرك قلت بأن مسؤولية ما جرى ذلك اليوم تعود إلى شرب فنجان القهوة مع صديق، فأنا أظن بأنه كان فيه مخدرات ولكنني في المركز كذبت وقلت لأصدقائي بأنني سرقت مبلغ 08 ملايين سنتيم لخالي، فأنا أظن بأن هذه الأكذوبة أحسن من سبب الاعتداء على أمي.

أختي أخبرت أبي بذلك ولكنه أقفل الهاتف في وجهها منذ ذلك الوقت، فالاتصال بينهما مقطوعفهي حزينة بسبب ما يجري لي، أمي طمأنتها بالمخرج في هذه القضية، فأنا أعاني من تأخر كبير في الدروس نتيجة للغياب المطول وأريد أن أعود إلى الدراسة في أقرب الآجال.

التعليق:

علمنا من الطيب بأن والداه تطلقا وهو لم يتجاوز السنتين، كما أن الأم رجعت إلى بيت أهلها للعيش في قرية محاذية للمدينة، حيث انفصال الأم عن أبي الطيب كان مصحوبا بصعوبات مالية نظرا لعدم توفرها على مصادر دخل ثابتة.

تعرض الطيب إلى اعتداء جنسي قبل بلوغه 5 سنوات من قبل مجموعة من الجانحين الذين عنفوه جسديا واعتدوا عليه جنسيا لمدة شهرين ونظرا لطول هذه المدة، لفت انتباه الأم تصرفات هؤلاء الجانحين وسرعان ما اكتشفت عمق الأزمة التي تم فيها توريط الابن القاصر.

في الجزائر ظاهرة اغتصاب الأطفال عرفت انتشارا كبيرا لاسيما في السنين الأخيرة، فحسب الإحصائيات المقدمة من قيادة الدرك الوطني فإن القاصرين الذين قاموا بارتكاب الاغتصاب وصل عددهم إلى 13 حالة سنة 2010، 18حالة سنة 2011 و5 خلال الأربع الأشهر المنصرفة لسنة 2012 ، بالنسبة للقصر ضحايا الاعتداءات الجنسية *victime d'attentat sexuel* سجلت إحصائيات الدرك الوطني 457 حالة منها 300 ولد لسنة 2010، 632حالة من بينها 449 ولد في 2011 و167 حالة من بينها 104 ذكور في الأربعة الأشهر الأولى من سنة 2012، بالإضافة إلى ذلك سبعة حالات قصر كانت ضحية لزنة المحارم من بينهم 6 بنات في 2010 و7 ذكور في 2011 و12 حالة من بينهم 10 بنات خلال الأربع شهور الأولى من السنة الحالية.

الاغتصابات *Les viols* عرفت كذلك ارتفاعا مذهلا خلال السنوات القليلة الماضية، حيث تم تسجيل 107 حالة إناث ضحية اغتصاب في 2010، 132 حالة في 2011 و12 حالة من بينها 10 فتيات خلال أربع أشهر الأولى من السنة الحالية[1].

في الجزائر فإن الاغتصاب يعتبر موضوعا يشكل طابو بالنسبة للمجتمع الذي يفضل أن يبقي الأمر سريّا، الأم كانت تظن عكس ذلك وحاولت نشر القضية من أجل التصريح بحجم الاغتصاب والأذى النفسي والاجتماعي الذي تعرض له الابن من جهة ومن أجل تحقيق هامش أكبر للتنديد واسترجاع الحقوق ورد اعتبار الابن، فإصرار الأم التي حاولت بكل الطرق من أجل أن تأخذ العدالة مجراها في هذا الملف كانت أكبر من مقاومة المحيط في هذه الظاهرة، لأن السكوت لا يمكن له إلا أن يصب في صالح المعتدين في هذا الملف.

[1]. *Journal El Watan 12.06.2012 ; dossier enlèvement et viols : la sonnette d'alarme. SalimaTlemçani.*

الأم قامت بإجراءات طويلة من أجل إيداع شكوى أمام النيابة العامة لإثبات فيما بعد حجم الأضرار النفسية التي مست ابنها ولكن في الحقيقة فإن منطوق الحكم الصادر من المحكمة لم يكن في مستوى تطلعات الضحايا وكرّس مبدأ التخفيف من العقوبة إلى أقصى حد والاستفادة من الظروف المخففة للمتهمين في هذا الملف.

حاليا يمكن القول بأنه لا يوجد أي عمل للتخفيف من وطأة الصدمات من الناحية الرمزية، العلاجية، الاجتماعية أو الاقتصادية بدون أن يرافقها الاعتراف القانوني لشخص الضحية.

ونظرا لأن الحكم جاء مخيبا لأمال الأم وابنها، قررت هذه المرأة أن تودع الطيب في مركز طبي اجتماعي من أجل حمايته من زمرة المعتدين، خلال مدة 5 سنوات يتفوق الطيب في دراسته ويصبح أحسن تلميذ في المركز، في نهاية كل أسبوع تأتي الأم لزيارته ولكن الأب لم يحضر أبدا لرؤيته طوال كل هذه الأحداث، فإن الأب الذي من المفروض أن يتكفل بحماية الطفل كان غائبا عن ذلك، فالجملة "أبي لم يقم بفعل أي شيء من أجلي" تبدوا وكأنها تلخص حجم معاناة الطفل من غياب الأب أثناء المراحل الأولى من طفولته الصعبة وللتفصيل أكثر، يمكن أن نلاحظ بأن غياب الأب تجلى بوضوح في اللحظات الصعبة، لحظة الاعتداء على الابن أثناء اغتصابه، أثناء المحاكمة، أثناء المتابعة الدراسية ..الخ.

حيث أن هذا الابن ليس له دراية بمكان تواجد شقة الأب وهو ما يعزز أكثر فرضية العلاقة السطحية ما بين الابن وأبيه، هذا الرجل لا يدفع النفقة بانتظام ويحاول بكل الوسائل أن يجعل من هذه الورقة وسيلة ضغط على الأم.

طيب يؤكد بأن الوضعية المالية للأب ليست السبب الرئيسي في هذا الإهمال ولكن بالرغم من كل هذا لا يحاول التقرب أكثر من أولاده والعناية بهم.

وبالرغم من هذا فإن المشوار الدراسي أثناء الطور الابتدائي كان يسير على أحسن ما يرام إلى حين توظيف قريبة أحد المعتدي في المؤسسة العلاجية كمربية وعليه فإن الأم قررت في تسرّع كبير سحب ابنها من المركز محاولة بذلك إبقاء سر ابنها مكتوما:" **خوفا من إفشاء سري،قررت أمي في لحظة خوف وقلق أن تسحبني من المركز حفاظا على شرفي** "وهنا يترسم الانطباع عن أم وحيدة تعاني من حدة النظرة الاجتماعية، هذه الوضعية تؤكد بأن الإدراك الاجتماعي للفرد يؤثر بشكل كبير على الصورة الذاتية للأفراد.

فبناء الفرد لا يمكن أن يتحاشى الاعتراف الذي يتم تخصيصه من طرف الجماعة، فكل واحد يبحث عن القبول، الإعجاب أو الحب في نظر الآخرين، ففي نظر الآخر فإن الفرد يجد تأكيد ذاته ووجوده في اعتراف الآخرين.

بعد تغير المؤسسة تأثر ذلك في المردود الدراسي بصفة كبيرة، فتدهور الحالة الاقتصادية للعائلة عجل من اقتحام الطيب في سن مبكرة عالم الشغل خلال الفترة الصيفية وهنا توجد علامة إضافية على نقص التأطير من جانب الأب فالطفل ليس من المفروض عليه أن يلبي حاجياته المالية والاقتصادية بنفسه، فإن فعل ذلك فهو يشغل مكان الأب في غياب مكانة الأب لدى العائلة.

بعد حصوله على أجرته يشتري الطيب دراجة نارية مسروقة، فهو بذلك يعمد إلى مجموعة من الأساليب الملتوية من أجل شراء إطار بفاتورة مطابقة للرقم التسلسلي ثم بعد ذلك ينطلق مع أصدقائه إلى أماكن بعيدة عن مقر سكناه.

من هذه الناحية يتجلى تأثير زمرة الرفقاء، حيث يطلب منه أحدهم بأن يفعل مثل الآخرين وإن يقوم ببيع السجائر في طاولة على حافة الرصيف القريب من البيت، فالأم تحذره باستمرار من خطورة مرافقة أصدقاء السوء الذين كانوا السبب في الاعتداء عليه عندما كان صغيرا.

" بعد عودتي إلى البيت لم يكن لي اتصال كبير مع خالي، ففي الصيف كنت أسهر مع أصدقائي إلى غاية منتصف الليل وفي الشتاء كنت أدخل مبكرا إلى البيت، انطلاقا من فترة المراهقة صرت عنيفا مع أمي وأختي وقد التجأت إلى استنشاق الغراء ولكني لم استطع مقاومة أزمة التنفس التي انتابتني بعد ذلك، في نفس الأثناء بدأت التدخين مع أصدقائي، كان عمري حوالي 12 سنة، بالموازاة كنت محل متابعة من طرف مختص نفسي في خلية الإصغاء والمتابعة النفسية، كنت أمارس الرياضة بكثرة، فأنا أحب الرياضة الجماعية وكنت ضمن فريق كرة القدم للقرية ".

إيداع الطيب لأول مرة في المركز جرى في سن 11 بحيث يروي لنا بأنه كان نتيجة لشجار مع أمه التي رفضت تسليمه حامل النقود، الطيب يثور عليها ويدفعها على الأرض لتكسر ذراعها، فيتحليل التعاملات الخطابيةس كاربمان*Analyse transactionnelleS.karpman*

يتكلم عن سلسلة من الاتصالات المتكاملة المفخخة التي ينتهي بها المطاف إلى مخارج معينة ومحددة مسبقا، فبعض الاتصالات تكون عبارة عن تقاطعات متكررة تؤدى إلى نشوء إحساسات سلبية، فالتناوب الذي تشهده هذه الاتصالات يتم حسب ثلاثة ادوار من المثلث الدرامي ل"كار بمن "(مضطهد، ضحية، منقذ)وهذه الأدوار الثلاثة قد يجسدها شخص واحد أو يتناوب عليها الأطراف المشاركة في الاتصال[1].

فالمضطهدون والمنقذون يبحثون عن ضحايا والضحايا بدورهم يبحثون عن مضطهدين ومنقذين وهكذا دواليك ، فببعض الأساليب الملتوية يحاول أحد المخاطبين أن يركز في التعامل على حالة من الحالات الثلاثة المكملة له لتبدأ عجلة الحوار في شكل مضبوط مسبقا وبصفة لا متناهية و ينجر عن مثل هذه التعاملات حالات متكررة من الأحاسيس السلبية تدعى *Racket*.

فيأغلب الأحيان عندما يحاول الشخصان الاتصال من هذا المنطلق بصفة تكاملية فإن المظاهر (أحاسيس وسلوكيات) يكون من شأنها أن يعزز بعضها بعضا.

طيب هو عبارة عن ضحية ولكن سلوكاته تبدلت خاصة في مرحلة المراهقة بحيث أصبح عنيفا مع أمه، فمن وضعية الضحية مع الأصدقاء هاهو يغير من وضعيته مع أمه في صورة تقارب إلى حد كبير سلوك جلا دية أثناء الصغر، في حين تصبح الأم ضحية الابن.

فهذا الطفل تم اغتصابه في سن الخامسة ، علاوة على ذلك فإن العدالة لم تعترف به كضحية من خلال الحكم الصادر لصالح زمرة المعتدين،المعركة القضائية جرت في غياب السند الأبوي في مثل هذه الظروف الصعبة ، فهذه التجربة من شأنها أن تؤثر على الرأي الذي يحمله هذا الشاب عن نفسه .

أمام غياب القيم الاجتماعية ونظرا لتفكك المحيط العائلي وأمام تأثير زمرة الرفقاء فإنه يصبح من السهل ارتكاب الجنح ، هذا الطفل يعتدي على أمه بعنف كبير لأنها تمنع حصوله على النقود ، من جهة أخرى الأم تخشى إعادة الاعتداءات الجنسية ضد ابنها في الوقت الذي تزداد فيه حدة الاضطرابات السلوكية عنده.

1. J. Mauri G vergnaud, philippe Blin L’analyse transactionnelle .Ed chiheb

" أنا لم أعش مع أبي ، عندما كنت صغيرا لم أكن أراه ولم يتسنى لي رؤيته إلا بعد الإجراءات القانونية التي كانت أمي تحركها ضده عن طريق العدالة وكدليل على ذلك أنا لم يسبق لي أن زرت مسكنه ".

بصفة عامة يمكن التأكيد على عامل ابتعاد الابن وغيابه عن تربية أبنائه ففي الأزمات المتلاحقة فإن الأب لم يحرك ساكنا ولكنه وبالرغم من كل هذا فإنه حاول تكسير العلاقة ما بين الأم وابنها وكما سبق أن ناقشنا هذا في الجانب النظري، فلكي ينمو الطفل بشكل ايجابي فلا بد له من سند قوي يساعده على ذلك .

في عمل يمس الجنسية المثلية لسنة 1915تساءل سيغموند فرويد[1] في إحدى الملاحظات عن أهمية تواجد الأبوين أثناء تربية الطفل وخلص إلى أن غياب الأب النشيط هو من العوامل المساعدة بشكل كبير في ظهور شذوذ النزوة عن هدفها ولكنه لم يتكلم عن الخصائص النفسية والاجتماعية لتواجد الأب في هذه الملاحظة والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة يبقى مرتبط بفراق الأب الذي كان من الصعب تحمله خاصة في المراحل الحرجة ، فالأب هنا أقصى بغيابه الابن " **أمي لا تقول إلا الحقيقة بخصوص أبي ، فهي تظن أنه في حالة وفاتها فإننا على الأقل سنجد أبانا إلى جانبنا**".

هو لا يرى الأمور بنفس المنظار، لقد قال لي أثناء أحد المقابلات، بأن أمك هي التي تتحمل المسؤولية وحدها في إيداعك المركز فهي سبب ضياعك ، ثم يبدأ يسبها ولكن في الحقيقة فإن أمي لم تكن سعيدة معه ، فهي تأخذ عليه شرب الخمور وغياب حس المسؤولية لديه .

فالعدائية المتواصلة ما بين الوالدين يبقى لها وقع سيء بالنسبة لتربية الطيب فكلا الأبوين يقصيى الأخر، فالأب يغتنم صعوبات الابن للتقليل من أهمية الأم .

" أبي لم يفعل أي شيء من أجلي، أمي قالت تم توقيفه في إطار قضية رشوة لمدة شهرين وأنه بعد محاكمة طويلة استطاع أن يسوي وضعيته بعد أن اختار المعاش المبكر ، أمي طالبت بالطلاق لأنها كانت تقول بأن أبي كان دائما في حالة سكر وكان يرفض الالتزام بواجباته العائلية "، عدوانية الأب بالنسبة للأم هو عامل مخل بعملية بناء هوية هذا الشاب، فكلام الابن هنا مزاح ولا يتم الإصغاء إليه وهذا بالنظر إلى حجم الخلافات التي تفرق مابين الزوجين.

بخصوص سبب الإيداع الأخير فيحكي لنا الطيب بأنه تناول فنجانا من القهوة مع أحد أصدقائه، بعد ذلك أحس بنوع من الهيجان ينتابه، هذا الشاب يتكلم عن مخدرات موجودة في القهوة ولكن هذا التعبير لا نجده مقنعا لأن جملة مخدرات يكون لها مفعول مهدئ وتعمل على تهدئة الأعصاب وليس العكس .

" أختي أخبرت أبي على إيداعي ولكنه قطع في وجهها المكالمة الهاتفية، من ذلك الوقت انقطع الاتصال بينهما، فهي الآن حزينة بالنسبة لما يجري لي " هذا السلوك من شأنه أن يؤكد على غياب الحس الأبوي اتجاه الابن.

في الميدان النفسي لاسيما التحليل النفسي فإن الوظيفة الأبوية لا تفرق من حيث السلوكات أو الأفعال إنما من حيث وظيفة الاختلاف التي تمنح العلاقة الذوبانية ما بين الأم وطفلها.

1.Trois essais sur la théorie de la sexualité S.Freud Ed Folio1987 P : 163

هذه القطيعة تمكن الطفل من دخول ميدان اللغة والثقافة، كما أن وظيفة الأب الذي يقطع ويمنح في آن واحد هي قانون اللغة التي تعطي نوع من التباعد ما بين النزوة والموضوع، كون الأخرالمختلف عن الأم،رجل الأممموضوع نزواتها هي الشرط البنيوي، متى يكون الأب هو الآخر الأكبر عند الطفل، نقص هذا الأب يؤدي إلى معاناة كبيرة متعلقة بماهية الأب وظيفته بصفة أشمل.

في هذه الحالة لا يمكن لنا إلا أن نتحدث عن ضعف في العلاقة الثلاثية وإخفاق الوظيفة الأبوية مع ظهور نمط علائقي موجه إلى زمرة الأصدقاء خاصة مع غياب الأب في مختلف أطوار حياة الابن.

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي		×		
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى				×
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة	×			
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد	×			
5	أحس انه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها		×		
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا باني عديم الفائدة	×			
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي	×			
9	على العموم أناأميال للإحساس بأني شخص فاشل	×			
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي	×			

تحليل:

كما يتضح ذلك بالمقارنة بأغلبية الحالات المناقشة، إجابات هذا الشاب توحي بقدر ضئيل من تقدير الذات والإحساس بمعنى الحياة منحط، إضافة إلى ذلك فإن التكيف الاجتماعي ضعيف ويعود ذلك إلى ضعف تقدير الذات الاجتماعي لهذه الحالة.

5.نور الدين: التقمص إلى الأقران وليس إلى الأب

هو شاب يبلغ من العمر 15سنة مقصى من الدراسة، يتناول المشروبات الكحولية منذ بضعة أشهر وهو مودع في المركز نتيجة تبعية أيضا للغراء الذي يستنشقه، وجهه يحمل علامات العنف الذي مرده الأب، عند رؤيته ظننت بأنه يبلغ من العمر 12 أو 13 سنة على الأكثر تقدير، هذا الشاب تم نقله إلى المركز المتخصص في الحمايةCSPبسيدي إبراهيم ولاية سيدي بلعباس وهو ما اضطرنا إلى إتمام باقي العمل معه داخل هذه المؤسسة.

النص:

اسمي هو نور الدين أبلغ من العمر 15 سنة، أنا من مواليد المهدية وهي دائرة تبعد بحوالي 50كلم عن ولاية تيارت، أنا الابن الثاني لمجموعة متكونة من 06 أخوة، أبي يعمل بناءا، أمي ماكثة في البيت، أختي البكر زهرة تبلغ من العمر 24 سنة وقد استفادت من تكوين في الخياطة في أحد مراكز التكوين المهني، بعد ذلك تحصلت على قرض مكنها من اقتناء الآلات للخياطةوهي كانت تريد إنشاء ورشة لخياطة الألبسة ولكن أبي رفض ذلك وألزمها على الخياطة داخل البيت، الآن هي تتلقى طلبات من أجل خياطة ألبسة تقليدية وتساهم بقدر كبير في تسيير الميزانية العائلية.

أختي فاطمة وأخي رشيد يبلغان من العمر 13 و 10 سنوات يعانيان من تأخر مدرسي قدره سنتين لكل واحد منهما و في نفس الوقت فقد استفادوا من إعانة مادية من طرف الجماعات المحلية بمناسبة الدخول المدرسي، أختي نادية لم تدخل المدرسة وهذا بالرغم من تجاوزها السن القانونية للتمدرس، فالمدير قال بأن ذلك سيحصل السنة المقبلة.

لقد عشنا في بلدية المهدية لمدة 07 سنوات في منزل صغير متكون من 03 غرف، في سنة 2003 انتقلنا إلى مدينة تيارت وبقينا في حي شعبي، تغير سلوك أبي ابتداءا من الوقت الذي هبطنا فيه إلى المدينة،أصبح يشرب بكثرة المشروبات الكحولية.

عندما كنت صغيرا كنت أذهب إلى الحمام مع أمي إلى غاية بلوغي سن السابعة تقريبا، مع أبي فأنا لا هب تماما إلى مثل هذه الأمكنة فأنا أفضل مقاسمة هذه اللحظات مع رفاقي و إن لم يكن ذلك أذهب لوحدي، مع أبي فإننا لا نتحدث كثيرا داخل البيت، توقفت عن الدراسة في السنة الثالثة ابتدائي، لقد كان مستواي ضعيفا جدا وكررت 4 مرات نفس السنة.

كنت أتغيب باستمرار مع صديقي محي الدين، كنا نقوم بجمع نفايات الحديد في غياب حارس الحظيرةوكنا نقوم ببيع هذه النفايات بـــ290دج، في المساء كنت آخذ 150دج وما تبقى كان يأخذه صديقي، أمي كانت تطلب مني من أين أتيت بالنقود؟فأجيبها لماذا تسألين؟فتسكت، فيما بعد فإن الحارس أخبر صاحب الحظيرة وقررنا التخلي عن هذا النشاط، أصدقائي الآخرون قزوم ومداح قاموا بالمجهودات المناسبة وانتقلوا إلى الطور التعليمي الأساسي.

بعد طردي من المدرسة كنت أعمل كحارس في حظيرة سيارات، كنت أحصل على 220دج، أحيانا بعض السائقين كانوا يرفضون دفع النقود، فكنت أسبهم كوسيلة انتقام، أبي ضد هذا النوع من العمل فكان يقول لي في حالة السرقةفإنك ستصبح أول المتهمين.

في أحيان أخرى كنت أقضي يومي في سوق الخضر والفواكهوكان حمال شاب يقوم باستنشاق الغراء، في يوم من الأيام شهدت عراك هذا الحمال مع شخص أخرفسقط منه الغراء وكيس فارغ، فبعدها جمعت كل شيء واقع على الأرض و بدأت في استنشاق الغراء منذ ذلك اليوم وكنت مغتاظا من الفقر المدقع الذي نعيشهوبدأت منذ سن الحادية عشر في شم الغراء بالتقليد فقط.

أختي البكر تتحمل جزءا كبيرا من الاحتياجات المالية لبيتنا، أنا كذلك أساعد بائعا للخضر وعند الذهاب آخذ معي السلع التي تلزمني، أبي لا يعمل بانتظامفهو يتلقى أجرة أسبوعية، فخلال كل حياة أبي لم يسلمني إلا مبلغ 200 دج فحلقت شعري و اشتريت جواربا فقط، أبي يتناول الكحول بكثرة وعندما تذهب أمي إلى مدينة المهدية فإنه يتناوله في البيتوأحيانا أخرى فإنه يقضي الليل في الخارج، باختصار فإن تسيير ميزانية البيت يطرح مشكلا وهذا ما يكون السبب في الاختلاف الدائم مع أمي التي تقول له بأن المشروبات دائما لا تفي بالغرض المطلوب، فعندما يشتري لنا شيئا فإنه يظن بأنه صالح للأبد، فمثلا كيس وزنه 20 كلغ من السميد لا يكمن أن يبقى 3 أشهر، فأبي لا يحاول أن يتفهم فعندما يشتري شيء فإنه يظن أن لا مجال إلى أن يعيد الشراء إذا نفذ من البيت.

يذهب أبي إلى السوق مرة واحدة في الأسبوع وهو لا يأتي إلابالأشياء الضرورية وبأنني أنا الذي يعاني دائما من أجل تلبية حاجيات إخواني فلهذا السبب ضربني ضربا مبرحا، فهو يضربني باستمرار وبخصوص علامات العنف في وجهي فإن أبي هو من فعل ذلك بي، أنا الولد المدلل لأمي فخلال شهر رمضان أقشر لها الخضر، أغسل الأرضية، الأواني ولمكافئتي فهي تعطيني قطعة خمسون دينار التي تتلقاها من أختي، أمي تظهر وكأنها امرأة عجوز فهي تصرخ غالبا عندما تغضب و لكن منذ أن صفعت أخي رشيد مسببة له عاهة في عينه اليسرى، في الليل أمي تنام في بيت استقبال الضيوف، أبي يقضي الليل وحده في غرفة مجاورة قليلة التهوية.

علاقتي مع أخي جيدة، فأنا أحبه ولكنني لا أخرج معه إلى الشارع لأنه أصغر مني سنا، أختي تعمل بدون انقطاع خلال شهر رمضان، السنة الماضية لمحتها مع رجل شاب فضربتها وأخبرت أمي، أختي أنكرت ذلكفغضبت أمي وأمطرتها بتهديدات وطلبت مني التكتم على هذا الحادث.

ستة أشهر بعد ذلك حضر خاطب وطلب يد أختي، فكان ذلك الشاب الذي كان يرافقها ذاك اليوم، أمي حضرت الكسكس وكل شيء تم على أحسن حال.

أختي كلفت 80 ألف دينار مهر، استحوذ أبي منها على 20 ألف دينار وهو ما وضع أمي في حرج كبير أمام غلاء أسعار مستلزمات الزواج.

منذ شهر فقط بدأت في شرب المواد الكحولية، كنت مدعوا في حفل زفافرأيت شابا يشرب كحولا ممزوجا بعصير الفواكه وبعد ذلك انصرف وترك الزجاجة، بفضولية شربنا أنا ومحي الدين ما تبقى من الزجاجة وبعد ذلك قمنا بشراء الخمر وشربناه في مناطق مختلفة.

غالبا ما أتناول زجاجتين خمرا أحمر في الأسبوعويناولني أحد الجانحين الأغنياء المعروف بمشاركته في ألعاب القمار النقود من حين لأخر، أحيانا أخرى أجد نفسي أتسول وأقوم بجمع الأموال لشراء الكحول.

في أحد الأيام قال لي أبي إن لم تعمل فماذا تفعل عندي؟أحسست بانكسار كبيروذهبت إلى دراية بالعاصمة ولجأت إلى ورشة بناء تظم مجموعة كبيرة من البنائين الذين يقطنون بمدينة تيارت، في يوم من الأيام التقيت بشخصية معروفة، فذهبت إليه وطلبت العمل لديه.

سألني أين أسكن، كذبت عليهفاستحسنني واقترح علي عملا، بقيت في العاصمة 3 أشهروبعد ذلك طلب من السائق أن يرجعني إلى بيتي، بعد أن دفع لي مبلغ 22.000دج، خلال مدة غيابي لم أبعث إلا رسالة واحدة إلى البيت، أعرت صديقي محي الدين 1000 دج و احتفظت بخمس ألاف دينار و الباقي سلمته إلى أمي التي فرحت بهذا العطاء من أجل شراء تلفاز صغير الحجم ملون، كنت أدخن أيضا قبل إيداعي المركز.

أبي هو من أودعني هناوهذا بسبب تبعيتي للغراء، ضربني لأن أطفال الجيران أخبروه بذلك، في أول وهلة أبي لم يصدقثم أقسم بأنه سيضعني في المركز إذا وجدني استنشق الغراء، أمي عارضت فكرة إيداعي وهو ما تسبب لها في لكمة على الوجه من طرف والدي وعليه لم تستطع أن تعارض، في يوم من الأيام وقع مالا يمكن تجنبهفاجأني أبي و أنا أستنشق الغراء فعاملني بمنتهى العنف وقرر وضعي في مركز لإعادة تربية الجانحين.

بعد أسبوعين من تواجدي بمركز حاسي دحوتم نقلي إلى مركزبسيدي إبراهيملأستقر هناك حوالي 45 يوما قبل الآن، فورد اسمي في قائمة الشباب المعنيين بالخروج لقضاء عطلة مناسبة عيد الأضحى.

أبي جاء ليأخذني وبعد التقائنا بكينا معا، عند وصولنا إلى مدينة تيارت اشترى لي ملابس جديدة، أمي أجهشت بالبكاء فهي تبدو أكبر من سنها بتجاعيد على وجهها، قضيت الليلة بجوارها فأنا ابنها المفضلفهي لم تتوقف عن النحيب وعليهوجدت عدة تغييرات، فوالداي استفادا من بيت اجتماعي ممنوح من طرف الدولة، بالإضافة إلى أن جدتي أصبحت تعيش بيننا و هذا أمر جميل.

أنا لا ألجأ إلى الغراء، الآن تعلمت الصلاة وعندي ميزان فعند خروجي سأبيع الخضر والفواكهوسأطلب من أبي الصفح(**ويبدأ في البكاء**)أنا مشتاق إلى أمي و عائلتي(**و يذرف دموعا**).

التعليق:

تعد النسبة الكبيرة والمتنامية للشباب القصر الجانحين من بين العلاقات الهامة التي تدل على التهميش النفسي و الاجتماعي لهذه الفئة من المجتمع، حيث أن هذه الطبقة إن جاز التعبير تحاول الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها بتبني سلوكات انحرافية متعددة الأوجه و التعبير، فبعد فشل التكيف المدرسي و العائلي فلا توجد طريقة أخرى لفرض الذات سوى الجنوح و السلوكات الخارجة عن نطاق القانون.

قصة نور الدين لا تختلف كثيرا عن هذا التقييم لأن ظروفه الاجتماعية والأسرية صعبة، إخوته يتلقون الدعم للفئات المعوزة من طرف السلطات العمومية كما أن الأخت الكبرى تعمل بكل طاقتها لتعزيز الدخل العائلي.

"عندما كنت صغيرا كنت أذهب إلى الحمام مع أمي إلى غاية بلوغي سن السابعة تقريبا، مع أبي فأنا لا أذهب تماما إلى مثل هذه الأمكنة فأنا أفضل مقاسمة هذه اللحظات مع رفاقي و إن لم يكن ذلك أذهب لوحدي، مع أبي فإننا لا نتحدث كثيرا داخل البيت" الفترات الأولى من الطفولة تتم في كنف جو أنثوي محض كما تدل على ذلك خبرة الحمام، فمن خلال مجموعة لا يستهان بها من الدراسات تبين أن الهوية الجنسية للذكور يتم تأكيدها في وقت منع الأولاد الذكور بعد تجربة الإحباط التي يعيشونها على اثر تجربة المنع خارج المكان الأنثوي.

فتجربة الحمام تؤكد بصفة واضحة أن مجتمعاتنا تنظم المكان على حسب الخصوصيات الجنسية للمجتمع، فالمكان ، النشاطات، المعايير والإحساسات يتم تقسيمها على حسب الجنس الاجتماعي، فهناك مكان مخصص للذكور وآخر للإناث، كما توجد نشاطات ذكورية محضة وأخرى أنثوية محضة.

فتأكيد شخصية الطفل يستمد تناسقه من الوعي الذي يحس به عندما يتأكد بأنه يقاسم الأب نفس الجنس الاجتماعي وبأنه بيولوجيا مختلف عن أمه، فالإحساس بالانتماء إلى الجنس الذكري يتم بعد المقارنة التي يقوم بها بناءا على احتكاكاته بزملائه وأقرانه ولكن في هذا المقال يجدر بنا تأكيد بأن الجنس الاجتماعي لا يستند دائما وفقط على شخص الأب بل هناك أصدقاء من نفس الفئة الاجتماعية هم من يساهمون بشكل كبير في تأكيد الهوية الجنسية.

فالهوية النفسية تتأكد بالاستثناء على هوية الانتماء إلى فئة جنسية اجتماعية معينة وهذه الملاحظة يمكن الأخذ بها خاصة من وجهة نظر الثقافية المتعلقة بمجتمعنا.

بخصوص الهوية الجنسية فإن التحليل النفسي يؤكد على تقمص شخصية الأب ولكن في هذه الحالة فإن بناء هذه الهوية يستند على الأصدقاء بدلا على اعتمادها على الأب البعيد المنال.

فالذهاب إلى الحمام مع الأب كان سيسمح في حالة حدوثه لنور الدين من التخلص من التحكم الأمومي والتقرب أكثر إلى الأب ولكن نور الدين يؤكد لنا بأنه لم يذهب إلى الحمام أبدا مع أبيه الذي يبقى بالنسبة له إنسان بعيد محض والذي لا يمكن له أن يتبادل الاتصال بارتياح وهذا ما ساهم في تدعيم نموذج أصدقاء الذي انعكس على تلبية جميع الحاجيات الأساسية في وقت مبكر وهو ما يزيد من تعزيز التقمص التصنيفي للأقران.

فهذا الأخير يمثل مستوى مختلف على التقمص الاوديبي، لأن مساره مختلف وميكانيزماته متباينة أيضا، بعبارة أخرى فإن التقمص الاوديبي هو تقمص عمودي مبني على الاختلاف في الأجيال، أما التقمص التصنيفي فهو أفقي ويعتمد على مجموعة من نفس الفئة العمرية، الثقافية والاجتماعية.

كما أن التقمص الاوديبي فهو يرتكز على الإحساس بالقلق من عقاب الأب "الإخصاء"، بينما التقمص التصنيفي فهو مبني على الإحساس بالحشمة (الحشومة)، فإذا قلنا بأن أهمية معيار مجموعة الأقران فإن الطفل يعتمد على مجموعته لينتزع نفسه من العالم الأنثوي ليخرج من حضن الأم إلى أحضان الأمة.

"توقفت عن الدراسة في السنة الثالثة ابتدائي، لقد كان مستواي ضعيف كررت أربع مرات نفس السنة كنت أتغيب مع صديقي محي الدين"، يعد السلوك الجامح نقطة التقاء سلسلة طويلة من السلوكات الهامشية والتي يكون للعامل الاقتصادي أثر كبير نظرا لتردي الأوضاع، الفشل الدراسي، غياب الشهادات المدرسية والمهنية و انسداد الأفاق الاجتماعية.

" كنا نقوم بجمع نفايات الحديد في غياب حارس المستودعوكنا نقوم ببيعه بـ290دج.في المساء كنت أخذ 150دج و الباقي كان من نصيب صديقي محي الدين"،"بعد طردي من المدرسة كنت أعمل كحارس سيارات، كنت أجمع حوالي220دج في اليوم ، أحيانا بعض السائقين كانوا يرفضون دفع النقودفكنت أسبهم كوسيلة انتقام، أبي ضد هذا النوع من العمل فكان يقول في حالة سرقةفستكون أنت المتهم الأول."

الهروب من المدرسة والبحث عن العمل مع مجموعة الأقران من أجل كسب المال عجل من حتمية التسرب المدرسي، فغياب المتابعة العائلية وأن سلوكات هذا المراهق عززت من قبضة المحيط الاجتماعي الذي يستمد قيمه ورموزه من ثقافة الشارع، الأب في بداية الأمر كان ضد عمل الابن ولكنه بالمقابل لم يكن يؤدي التزاماته المتعلقة بإشباع الحاجيات الأساسية والأولية للعائلة على أكمل وجه.

"مرة في الأسبوع يذهب أبي إلى السوق و لا يأتي إلا بالشيء القليل و في كل الحالات فإن المشتريات ضئيلة فأجد نفسيدائما ملزما بملأ الفراغ"،"في يوم من الأيام تجرأت وقلت له بأنه لا يشتري لنا ما يلزمنا وبأنني أجد نفسي مجبرا من أجل التكفل بالحاجيات المختلفة لإخوتي، فضربني... فهو يضربني دائما"،نور الدين الذي يتكلم عن الفراغ، أي فراغ؟ إنه يقصد حتما فراغ مكانة الأب، فالوالد لا يضمن العيش المطلوب، فمكانته كممون اقتصادي للأسرة أصبحت مهزوزة في نظر الابن، من جهة أخرى يخبرنا هذا الشاب بأن الكلام ما بين الأب وابنه غائبا وأن السائد في الاتصالات بينهما لا يعدوا أن يكون على شكل ضرب أو صراخ أو انفصالات متكررة، فالأب لا يبدو أنه يتحكم في الكلمات مكتفيا بالاعتداء الجنسي لفرض الطاعة على الابن أو إسكاته.

زيادة على ذلك فإن التبادلات اللغوية داخل الزوج الأبوي نادرة وكدليل على ذلك أن الأبوين لا يتقسمان غرفة النوم، " **في الليل تنام أمي مع إخوتي، أبي ينام في غرفة لوحده فهي تحتوي على بعض التجهيزات فقط"**، من الناحية النفسية لابد الإشارة إلى أن الأب يتم تصويره انطلاقا من كلمات الأم، بعبارة أخرى فإن الأب يشكل مجموعة من الوظائف التي تصنعها الأم، الطفل وكذلك الأب فالرجل لا يصبح أبا خارج الإطار الزوجي وكذلك العلاقة إلى الطفل من جهة و إلى أب الأب من ناحية الجيل السلالي.

"أعتبر نفسي الابن المفضل لدى أمي في شهر رمضان أقشر لها الخضر، أغسل لها الأرضية، الأواني ولمكافئتي تعطيني قطعة من النقود بـ50دج تتلقاها من طرف أختي، أمي تبدو عجوز فهي تصرخ بحدة في حالة الغضب ولكنها لا تضرب منذ أن صفعت أخي رشيد مسببة له عاهة مستديمة في عينه اليسرى الذي فقد نوعا من حركيته"، خلال السنوات الأولى من الحياة فإن أهمية الأب تروجها الأم التي تتكفل بتسهيل العلاقة ما بين الابن وأبيه في السنوات الأولى من الطفولة فإن الأب لا يدخل العلاقة الثنائية ما بين الأم وابنها إلا عن طريق كلام الأم، فالا توجد علاقة مباشرة ما بين الأب والرضيع فالأب يبقى بعيدا لمدة طويلة.

فالعلاقة ما بين الأم وابنها علاقة متينة، فقبل الحمل، أثناءه وبعد الإنجاب فحسب ج.لاكان فإن الأب تعينه الأم ولا يمكن للأب أن يكون إلا إذا اعترفت به الأم وعينته لابنها، فوجود الأب ليس إجباريا ولكن لابد له أن يعرف بأنه ليس كل شيء بالنسبة لأمه، كما أن انفصال الابن عن أمه يمكن أن يصبح أكثر سهولة في ظل توفر السند الأبوي المرافق.

بالمقابل فإن دور الأم لا يقل أهمية بحيث أنها تحاول تقريب طفلها من أبيه لتساعده عن الانفصال عنها، من هذا الجانب يمكن لنا القول بأن الأم الجيدة تقاس على حسب مقدرتها على أن تدفع بالابن إلى تكوين علاقات مع أبيه، أما الوظيفة الأبوية فدورها الأساسي هو إخراج الطفل من العلاقة بالجسم البيولوجي للأم من أجل إدخاله في الجسم الاجتماعي بصفة عامة.

في هذه الحالة فبما أن الأم محبطة من علاقتها مع زوجها فإنها تبدي تفضيلها للعلاقة مع نور الدين، فهذا الشاب قريب من أمه وبعيد عن أبيه، فيمكن لنا أن نقول بأن العلاقة الثلاثية ضعيفة لأن مكانة الأب شاغرة بالنسبة للأم، فنور الدين يأخذ مكانة الأب نظرا لغيابه (**ففي العلاقة الزوجية فإن مكانة الزوج شاغرة**) وبالتالي فلا يمكن لنا الحديث عن علاقة زوجية ما بين الأبوين ولا عن علاقة ثلاثية قوية فيما بينهم.

"أختي تحصلتعلى80 ألف دينار كمهر استحوذ أبي على 20 ألف دينار وهو ما تسبب في ضائقة مالية كبيرة لأمي أمام غلاء متطلبات الألبسة في الزواج"، فعلامات الإحباط من سلوك الأب الذي يستولي بدون حق على المال المدفوع في مهر البنت أمر واضح، فالأب هنا يؤكد نقص في تأدية وظيفته وكذا نفي هام في الديناميكية الأسرية،" **مند أشهر قليلة بدأت في تناول الخمور كنت مدعو في حفل زفاف فأبصرت شاب يشرب الخمر ممزوج بعصير الفواكه ثم تخلى عن الزجاجة، فتوجهت إلى ما تركه هذا الشاب بفضول مع صديقي محي الدين وشربنا ما تبقى من الزجاجة و بعد ذلك اشترينا الكثير من الكحول نتناوله في أماكن منعزلة"**.

قبل إيداعه المركز وقع نور الدين في تناول الكحول مع أصدقاءه وكي يلبي حاجياته في هذا المجال فإن جميع الطرق المؤدية إليه مباحة فهو امتهن التسول، التردد مع رفقاء السوء الخ، أمام عدم إمكانية التقمص لشخصية الأب فإننا نلاحظ تحويل أو إسقاط على شلة الأصدقاء التي تعرض مجموعة من السلوكات المتنوعة اجتماعيا وهنا يدخل هذا الشاب في عالم شرب الخمور و استنشاق الغراء في سن مبكرة جدا .

في أحد الليالي قال لي أبي إذا لم تعمل فماذا تفعل عندي، أحسست بالإهانة ذهبت إلى درارية الجزائر في ورشة بناء عمارات التي كان تظم عدد كبير من العمال المنحدرين من ولاية تيارت، السؤال الذي يطرح نفسه هل مهمة الابن هي أن يعمل مكان أبيه هنا العلاقة ما بين الابن وأبيه تلاشت ولهذا السبب توجه إلى العاصمة للبحث عن عمل قبل العودة بعد 3 أشهر إلى البيت.

أبي هو من أودعني في المركز بسبب استعمالي لمادة الغراء كمخدر، لقد طردني من البيت بعد أن علم ذلك من أبناء الجيران، أبي لم يصدق لأول وهلة ثم اقسم بأنه سيودعني المركز إذا وجدني استهلك هذه المادة، أمي عارضت هذه الفكرة ولكن أبي ضربها فهي لم تستطع أن تفعل أي شيء.

نور الدين لم يقل ذلك ولكنه يبدو أنه يعيش الإيداع كعقاب من الأب، فلو تركنا العنف الذي ميز عملية الإيداع جانبا يمكنناالقول بأنها أول مرة الأب يقوم بوظيفته كأب، فعندما يقرر الأب إيداع الابن في المركز فإن الأب سيعرض الابن إلى الجانب العقابي نتيجة لمخالفة الابن توجيهات الأب.

هذا الطفل يدرك هذا الجانب داخل المؤسسة و يغير من سلوكه فقد تعلم الصلاة وهو مستعد للعمل بعد الخروج من المركز... الخ، **"أنا لا استهلك الغراء الآن، تعلمت الصلاة عندي ميزان وعند خروجي سأبيع الفواكه و الخضر وسأطلب الصفح من أبي"**،**"يبكي: اشتقت إلى أبي، يبكي"**، فبعد وضعه للحدود عند منع الأب يظهر بوضوح للابن وهو بذلك يساعده على تكوين ذاته و تنشئته،أما غياب الأب ونقص حضوره فهو يؤثر في نفسية الطفل و يهمشه.

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي		×		
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى			×	
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة		×		
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد		×		
5	أحس انه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها				×
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا باني عديم الفائدة			×	
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي		×		
9	على العموم أناأميال للإحساس بأني شخص فاشل			×	
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي		×		

تحليل:

هذا الشاب بإمكانه إيجاد الحلول المناسبة التي تواجهه في حياته اليومية وهو ما يعني الإحساس بالقوة في السلوكات اليومية ولكن إجمالا فإن هذا الشاب يقول الشيء ونقيضه في آن واحد وهو ما ترجعه من وجهة نظرنا إلى طبيعة المرحلة الانتقالية للمراهقة في نفس السياق فإن العلامات المخصصة للإدراك والتوافق الاجتماعي (الفقرة8) وتقدير الذات الاجتماعي (فقرة9) يبقيان ضعيفتان في هذه الحالة.

6.توفيق:الميلاد هوالولادة القانونية وهويعني حمل اسم الأب.

Naître c'est naitre juridiquement et donc porter le nom du père.

النص:

منذ ولادتي تكفلت امرأة عجوز بتربيتي في مدينة وهران، هذه السيدة كريمة جدا وعاملتني بطيبةخلال السنوات الأولى من حياتي، هذه المرأة لها ولدينالأصغر رجل هادئ أما الابن الأكبر فكان يكرهني لأنه لم يكن يطيق بأن اكسب مكانة ممتازة عند أمه.

أمي المربية كانت طيبة جدا، أعطتني حنانا وكنت الابن المفضل عندها، كانت ترافقني إلى المدرسة، اعتنت بي جيدا وكان هناك تفاهم كبير ما بيننا، عندما كانت تصلي كنت أقلدها بعد ذلك وكنت أتوقف عن الصلاة.

في المدرسة تم تسجيلي بهوية شخص أخر ويتعلق الأمر بطفل كان له بالتقريب نفس سنيوله علاقة قرابة مع العائلة التي ربتني، فكنت أتصرف وكأنني الطفل الآخر ولم أنتبه غلى أي شيء حينها، عند بلوغي سن الثامنة أمي تركت أرض الوطن لتذهب إلى فرنسا.

فلمدة 05 سنوات عشت كالعبد، تألمت كثيرافالابن الأكبر لهذه السيدة كان يرمي ملابسي خارج البيت، يسبني ويمنعني من أخذ فطور الصباح قبل الذهاب إلى المدرسة، كان يحبسني مدة أسبوع في البيت داخل غرفة، هذه المعاملة السيئة كانت تستمر حتى خلال شهر رمضان، كنت معزولا عن طاولة الإفطار، فأنا لا أستطيع أن احكي لقد عانيت كثيرا مع هذا الرجل،كان يلزمني بالأشغال الشاقة رغم صغر سني،كنت حمالا فقطأتحمل الكثير من الأتعاب في عملية البناء،كان علي تفريغ شاحنات الأجور، الحصى ونقلها إلى السطح، هذا الرجل كان يكرهني، يطردني من البيت، كنت أقضي الليل خارج البيت وعند رجوعي من المدرسة لم أكن أجد ما آكله.

في نفس الوقت لاحظت وجود بنتين تكفلت بهما أمي المربية، الكبيرة منهما استفادت من تسوية وضعيتها أمام الحالة المدنية وتزوجت بعدها الرجل الذي سبب لي المتاعب منذ صغري فهي غير بريئة بالنسبة لما يحصل لي خاصة بعد ذهاب المرأة التي ربتني، أما البنت الثانية فقد عادت للعيش عند عائلتها ولم يبقى إلا أنا الذي لا يجد أي إجابة إلى الأسئلة التي كانت تطاردني.

هذا الرجل كان له بنتين غير شرعيتين، نتيجة لعلاقة زنا مع امرأة عاملة نظافة، حاليا هذين البنتين يعيشان تحت كفالة أمهما ولم يتم الاعتراف بهماوقد بدأ الشك يراودني بالنسبة لوضعيتي كابن غير شرعي ابتداءا من المراهقة، تدريجيا بدأت كلمات من هنا وأخبار من هناك وكلها كانت تؤكد بأنني طفل مجهول الهوية، هذا الانطباع تأكد بالنسبة للهوية التي تم إسنادها إلي أثناء تسجيلي في المدرسة.

فكل العائلة التي حضنتني كانت تحمل نفس الاسم العائليولم يبقى إلا أنا الذي كنت أشكل الاستثناء، كان البعض يقولون بأنه تم خطفي من المستشفى، فيما يؤكد آخرون بأنني ولدت عند أشخاص فقراء بمدينة عين تموشنت وفي حقيقة الأمر أنا لا أفهم شيء في الأساس، قمت بإجراء مخططات لأوجه الشبه مع الفتاتين، فماذا لو كان هذا الرجل عديم القلب هو أبي؟كان عندي إحساس بأنه هو أبي، فأنا متأكد بأنه يعرف الكثير عن نسبي.

بعد 05 سنوات من الغياب ترجع أمي التي ربتني إلى ارض الوطن، مباشرة بعد ذلك تم إخبارها بما جرى لي أثناء غيابهاوهو ما أدى إلى نشوب عراك كبير بين هذه السيدة و ابنها الأكبر، فهذه السيدة رفضت أن ترمي بي إلى الشارع لما كان يريد ابنها ذلك.

وأظن أن سلوك الابن كان بدافع الأسباب المادية، فلقد كان يخشى أن أصبح وريثا محتملا، فزوجته كانت هي المحرضة الأولى لنشوب هذه المأساة، فهي في الأصل قضية حول ميراث وليس أمرا آخربينما أنا لا أملك حتى اسما عائليا.

فالأم لم يكن بإمكانها كبح شعور الغيرة والغضب لدى ابنهاوسقطت مريضة وتوفيت بعد ذلك بقليل نتيجة لشلل نصفي مفاجئ ألم بها، فهذا الرجل عنده حظ كبير لأن الله حرم القتل وإلا لقتلته منذ زمن طويل(**ضحك**)، مباشرة بعد إتمام مراسيم الجنازة أي في سنة 2008 رماني هذا الرجل في الشارع، لحسن الحظ كان هناك ابن أخت المرأة المتوفية الذي تكفل بي، منذ ذلك الحين تغيرت حياتي كليا، إنه رجل يبلغ من العمر 40 سنة أب لثلاثة أطفال، طيب جدا و سخي وكأنه أبي، زوجته تعتبرني ابن لها فهي تعتني بي وتقدم لي الطعام.

هذا الرجل الذي تكفل بي وعدني بأن يقوم بكل ما في وسعه حتى وإن تطلب الأمر تسخير العدالة من أجل الحصول على حقوقي انطلاقا من رفع السر الذي يغطي هويتي، حيث أنه و في كل مرة يحاول هذا الرجل أن يساعدني للوقوف على الغموض الذي ينتاب ولادتي، فإنه يواجه الرفض النهائي للأسرة التي تكفلت بي سابقا.

في أحد الأيام بمدينة سيدي بلعباس خرجت في ساعة متأخرة من الليل لقضاء بعض الحاجيات، تم إيقافي من طرف الشرطة خلال عملية مراقبة الهوية كذبت عندما قدمت لهم الهوية التي كنت أحملها في المدرسة، فبمحض الصدفة هذا الاسم كان محل بحث عام من طرف الشرطة لأن هذا الشخص أصبح جانحا وأنا أحمل هويته لعدة سنوات أثناء الدراسة، بعدذلك قدمت لهم الهوية بحسب الاسم العائلي للأسرة المربيةوعلى هذا الأساس نجوت، هذه القصة كادت أن تجعلني مجنونا ومنذ ذلك فأنا أعيش تحت هوية مزيفةوكأنني تحت طائلة انتهاك شخصية نظرا لأن اسمي غير متداول في سجل الحالة المدنية كباقي الناس.

الآن الأمر تغير فأنا أعيش جيدا مع شخص تكفل بي وهو يعيلني كباقي أطفاله وكأنه أبي فهو يعطيني النقود ويهتم بمعاشي اليومي، أنا أمتلك غرفة خاصة بي ولا ينقصني أي شيء، زوجته طيبة جدا ونحن نتفاهم جيدا.

يعتبرني الجميع الابن الأكبر في البيتولكن أجد صعوبة في البقاء في نفس المكان، لدي رغبة كبيرة في الحركة، أصبحت غير مستقر فأنا شاب وأحب التنقل باستمرار، الرجل الذي تبناني يعانيمعي، أحيانا لا أطيعه وأجد دائما سبب من أجل الخروج، هو لا ينام إذا لم أدخل البيت، أحيانا أتسكع مع أصدقائي أمام الثانويةوألتقي بمجموعة من المنحرفين أبقى معهم، أحيانا يحاولهؤلاء الشباب فرض أنفسهم للظفر بإعجاب البنات، هؤلاء الفتيان لا يعملون، يرفضون أن يشاركوا في أي تكوين، أما أنا فأرافقهم فقط وذلك من أجل تضييع الوقت فقط.

في منتصف النهار نبقى أمام المدخل الرئيسي للثانوية، أحيانا يكون لدينا مواعيد، بكل صراحة فأنا أحس إحساسا جميلا عندما أكون برفقة البنات وأحاول في كل مرة أن أتعرف بفتاة جديدة، أتفادى العلاقات الجنسية مع القصر ولكن عندما يكون الشخص بالغ أو مطلق فأنا أقوم بذلك من أجل نسيان المشاكل وإلا فإن رأسي يتجمد، كان لدي صديقة ولكننا افترقنا بحيث لمحتها مع شخص أخر و في نفس الوقت كنت بصدد إيجاد فتاة أخرى.

في يوم من الأيام وقع شجار تدخلت من أجل تفادي الأسوأولكن أحد المتخاصمين كان يحمل سلاحا أبيضا، تعاركت معه وبعد ذلك اتجهت نحو الفتاة التي كانت تعجبني، طلبت منها مباشرة رقم الهاتف، عندما حاولت الانصراف سقط سكين مخبأ تحت معطفي وهو ما أثار رعبا كبيرا عند هذه الفتاة.

في اليوم الموالي البنت أعلمت أباها وهو مفتش شرطة، فقام هذا الأخير بمراقبتي وفي الوقت الذي أردت فيه مكالمتها انقض علي وأخذني إلى مركز الشرطة، فإن تواجدت في هذه الحالة لا يعني أني ارتكبت شيئا كبيراو الدليل على ذلك هو أن الفتاة أرسلت لي صديقا في المدرسة من أجل طلب الاعتذار، فكان جوابي بأنني أوكل الله وطلبت أن ينقل لها هذه الكلمات.

أبهذه الفتاة هددني في محافظة الشرطة وقال لي في حالة أن النيابة لم تفعل شيئا، فإنه سيبذل قصارى جهده من أجل أن اقضي مشواري في السجن، أثناء التحقيق صرحت بأن الأب هو الذي يملي لابنته ما يجب عليها أن تقول وبأن الضحية تجسد موقف الأب، هذا بالرغم أن الاعتداء لم يتمحتى إنه وبعد اقتيادي إلى مركز الشرطة لم يكن بحوزتي سلاحا أبيضا، قبل هذه الحادثة كنت أعمل حمالا عند رجل وكان نشاطنا التجاري مزدهر، أما داخل المركز فأنا أتمتع بعلاقات طيبة مع الجميع، من جهة أخرى فأنا أفكر في وضعيتي.

إذا التقيت بوالدي فأنا اطلب منه تسوية وضعيتي أمام الحالة المدنيةوأسامحه أمام الله لأن مستقبلي مرهون بهذه الوضعية، لم أستطع تكملة دراستي بسبب أوراق الهوية، أما أنا فالله هو من وضعني أمام مشكل من هذا الحجم وأنا راضي بحكمه، لا أستطيع التكهن بما سيجريفإن الله هو المسئول ولست أنا بحاجة إلى والديا، الآن أنا انعم بحياة جديدة واعتدت على وضعيتي، فإن تم و التقيت بأبي فسوف أسأله ما الذي دفع به إلى التخلي عني، فإن لم يجبني فلا حاجة لي لمعرفة ذلك، فرحتي ستكون كبيرة في ذلك اليوم الذي أجد فيه اسما مدونا في سجل الحالة المدنية.

أنا أكون مرتاحا إلى غاية الوقت الذي أتذكر فيه الصعوبات التي واجهتها في مدينة وهرانوكأنني كنت في السجنالحمد لله لقد نجوت من عندهموارجوا من الله أن يبعدني عن هذا الصنف من الأشخاص، لديهم مشكل كبير مع ضمائرهم والله سيقضي عليهم جميعا ة ويظلهم عن طريقهم.

التعليق:

الولادة هيالولادة القانونية وهي تعني حمل اسم الأب، فالرضيع هو ابن المجموعة فهو مخلوق ثقافي قبل أن يتم ميلاده فإن مكانته يمكن أن نطلق عليها اسم الرمزية (أو اسم الأب) و استهامية (رغبة الآباء) يحضران لاستقباله.

و لكن بالرغم من كل هذا فإن ولادة الطفل تتطلب أيضا من المؤسسات الاجتماعية أن تضع العقد القانوني ليتم قبوله ما بين أفراد المجتمع في العادة، فإن الأب القانوني مانح للاسم هو الذي يتولى تسجيله في دار البلدية للاعتراف به قانونيا ويقوم بتأدية تصريح الأبوة، ليتم بعدها تسجيله على غرار جميع أفراد المجتمع.

فالاعتراف القانوني للأب يسمح بولادة الطفل لأنه من طبيعة المرأة الإنجاب و ليس ولادة الأبناء و لاشك من أن الفرد يتم على مستوى الأب القانوني، كما تؤسسه المؤسسات الاجتماعية انطلاقا من القانون أي يطرح أسس نقل الاسم و التركة.

من الناحية القانونية يمكن القول بأن توفيق ليس حيا لأن اسمه غير مسجل في سجلات الحالة المدنية، إضافة إلى ذلك فهو ليس بإمكانه أن يموت لأنه لا يملك شهادة ميلاد كبقية الأطفال الآخرين، توفيق لا يعرف أباه و لا أمه.

تسجيله الاجتماعي تم انطلاقا من هوية مزيفة، من هذا المنطلق فإن لم يكن للفرد هوية قانونية فهل نستطيع التكلم عن الوجود أصلا؟ **" فلمدة 05 سنوات عشت كالعبد، لقد عانيت كثيرا فابن هذه المرأة كان يرمي ملابسي خارج البيت، يسبني، يمنعني من أخذ فطور الصباح قبل الذهاب إلى المدرسة،كان يغلق علي الأبوابلمدة أسبوع داخل غرفة في البيت وكان مثل هذه الأعمال تتواصل حتى خلال شهر رمضان، كنت مقصيا من طاولة الإفطار، فأنا لا أستطيع الحكاية عن هذه الفترة لقد عانيت كثيرا مع هذا الرجل، كان يرغمني للقيام بالأشغال الشاقة لا تتناسب مع سني، كنت حمال خضر وكنت أقوم بأعمال شاقة في البناء، كان لابد علي تفريغ شاحنات من الأجور أو الحصى و نقلها إلى السطح".**

ففي عائلة الاستقبال عانى هذا الطفل من سوء المعاملة، فإنفي فرنسا *l'ODAS (Observatoire National de l'Action Central Décentralisée)* يعرف **سوء المعاملة**: "هي ذلكالطفلالذي يكون ضحية الاعتداء الجنسي أو التعذيب المعنوي،التحرش الجنسي أو الإهمال الكبير الذي يؤثر على نموه البيولوجي و النفسي"، فمن أجل تطوير الوسائل الوقائية فهي تعرف الطفل الذي يعيش خطورة في هذا المجال، هو الشخص الذي يعيش في ظروف تعرضه للخطر سواء من الجانب الصحي، المعنوي، الأمني، التربوي ولكن دون أن يكون حتما محل سوء المعاملة[1].

في المدرسة لقد تم تسجيل هذا الطفل بطرق ملتوية تحت هوية مزيفة، هو يقول بأنه لم يكن يعلم شيئا نظرا لصغر سنه وإلى مرافقة الأم المربية خلال المراحل الأولى من طفولته.

بعد هجرة أمه إلى فرنسا يصبح هذا الطفل الضحية المفضلة للابن الأكبر لهذه المرأة:**"هذا الرجل كان يكرهني لقد طردني من البت، كنت أقضي الليل في الشارع ".**

"وعند رجوعي من المدرسة لم أكن أجد ما آكله"هذا الطفل عانى من سوء المعاملة، الرجل الذي كان سبب في الإطباق عليه من عدة جوانب ولكن الأدهى والأمر هو حصول نوع من الوعي بأنه لا يحمل أي اسم وهو السبب الرئيسي الذي أدى به إلى التخلي عن مشواره الدراسي،**"لم أستطع مواصلة الدراسة نظرا لعدم توفري على أوراق إثبات الهوية،فهذا الرجل عنده حظ كبير لأن الله حرم القتل و إلا لقتلته منذ زمن طويل(ضحك)"**وتظهر هذه الجملة حجم المعاناة لدى توفيق إلى درجة أنه صرح بأنه لولا تحريم القتل لفعل ذلك.

بعد وفاة المربية في ظروف صعبة تطوع أحد أفراد العائلة للتكفل بتوفيق، من هذه الوهلة تغيرت الظروف جذريا نحو الأحسن**"يعتبرني الجميع الابن الأكبر في العائلة ولكن رغم كل هذا يصعب علي أن أبقى في مكان واحد لابد علي أن أنفق من طاقتي الجسدية، أصبحت غير مستقر وأحس بالرغبة في التنقل باستمرار أما الرجل الذي تبناني فهو يعانيبسببي أحيانا أنا لا أطيعه وأجد دائما ذريعة للخروج من البيت، هو لا ينام قبل أن أعود في ساعة متأخرة جدا من الليل، أحيانا أبقى في الشارع على مداخل المؤسسة الثانوية، أخالط مجموعة من الجانحين أبقى معهم، أحيانا أخرى تظهر خلافات بين مجموعات متنافسة تحاول كل واحدة منهم فرض وجودها لجلب انتباه البنات، هؤلاء الفتيان لا يعملونيرفضون أن يشاركوا في أي تكوين، أما أنا فلا أقوم بأي شيء سوىمرافقتهم فقط وهذا لتمضية الوقت".**

1.Med 2 .Univers angers.FR/Maltraitance .PDF.

حاليا هذا الشاب ينعم بظروف عيش جيدة وهو يعترف بأن حركيته المفرطة تعطي جميع السلوكات اليومية، هذه الديناميكية تشمل جميع تحركاته وسكناته ولكنه مع ذلك يبقى متأثر بمجموعة الشباب في سنه الذين يعيشون على هامش المجتمع، فتأثير الرفقاء والراسبين من المؤسسات التعليمية هي من بين أهم العوامل التي تِثار في تكوين معالم الشخصية، التي تتغذى من ثقافة الشارع المبنية على اللامعيارية، فمنطق الزمرة يمنح الشاب ملجأ ضد الإحساس بنقص تقديم الذات ونظرا لتضافر بعض العوامل فإن الشاب لا ينظر في ارتكاب سلوكات جانحة جماعيا أو فرديا ولكن بمساندة الرفقاء.

هذا الشاب يتصل بإحدى الفتيات على مشارف الثانوية، بعد ذلك مباشرة يتدخل أب الفتاة الذي يقوم بإيداع شكوى ضده، الرجل الذي تكفل بتوفيق حاول بكل الوسائل مساعدته ولكنه فشل في تأطيره، في هذه الأثناء فإننا نتكلم عن علاقة عاطفية ما بين هذا الرجل وتوفيق وليس نموذجا أبويا يقترن به.

"من حين لأخر أفكر في وضعيتي ولكن معمرور الوقت، أقول بأنني لست مهتما بالعائلة التي ربتني في وهران، أنا لا أعتبر يوما بأن لي أما وهذه الفكرة لم تراودني البتة، لو كانت أما حقيقية لوجدتني الآن بوثائق هوية كباقي الناس ولهذا السبب لن أحاول البحث عنها، لقد كبرت في ألم ولكن لو أتت أمي نحوي فلن أسامحها إلا في حال وفاتها أثناء الولادة، إذا التقيت بوالدي فأنا اطلب منه تسوية وضعيتي أمام الحالة المدنية، لم أستطع مواصلة دراستي نظرا لعدم امتلاكي لوثائق هوية ولكن مع كل هذا فالله هو من وضعني أمام مثل هذا الامتحانعلى كل الأحوال، لا أستطيع التكهن بما سيحدث ولكن الله هو المسئول عني".

الإنسان لا يمكن له أن يتكون خارج العلاقة الاجتماعية، الحياة النفسية تبدأ انطلاقا من ثلاثة أفراد نظرا لأن التطور ليس طبيعيا و إنما علائقي و اجتماعي و هو ما يبين أهمية الأب في العلاقة الثنائية أم طفل، عند الإنجاب تحت مجهول فلا يمكن للعلاقة ما بين الطفل وأبيه أن تنشأ من الناحية القانونية.

فالمراهقة شاب يتم تربيتهفي مرحلة صعبة نظرا لأن الصراعات في هذه المرحلة تتأثر بسبب التبني، فالباحثين في علم النفس كلهم يؤكدون على وضعية أوديب الذي كان طفلا متبني، بالنسبة لمشاكل التطور فهي لا تنعكس دائما بسلوكيات منحرفة ولكن يمكن لها أن تجعل من بلوغ سيرورات المراهقة أمرا عسيرا.

فجل الباحثين ينصحون بوجوب التحدث إلى الطفل المتبني بوضعيته منذ الفترات الأولى من الطفولة وهوالشيء الذي لم يحدث على الإطلاق وذلك ما زاد تعقيد سر الولادة لديه، فهذه الوضعية لها وقع كبير من الناحية النفسية لهذا الشاب.

فالطفل غير الشرعي ليس له المقدرة على التكلم بلغة يمكن لها أن تدمجه في الحياة الاجتماعية و الرمزية، بالنسبة لجانب توفيق فإن غياب الأب الكامل يمكن أن يكون السبب لنشوء حصر مع إقامة علاقة سلبية لإدراك الذات وهو ما يؤرق بال توفيق، بحيث أن العلاقة الأبوي القانونية تبقى معدومة ولهذا السبب يمكن أن يتخذ العلاقة الأبوية كأداة قانونية لتنشئة الأفراد.

"لست بحاجة إلى والديا، حاليا أنا أعيش جيداواعتدت على وضعيتي، الذي يهمني إذا ما التقيت بأبي هو معرفة الأسباب التي دفعته إلى التخلي عني، فإن لم يجبني فلا حاجة لي لمعرفة ذلك،فرحتي ستكون كبيرة في ذلك اليوم الذي يتم فيه تسجيل اسمي في سجل الحالة المدنية"، إذا التقيت بوالدي فأنا اطلب منه تسوية وضعيتي أمام الحالة المدنيةوأسامحه أمام الله،**"لم أستطع مواصلة دراستي نظرا لعدم امتلاكي لوثائق هوية"**، حاليا يمكن القول بأن العلاقة القانونية ما بين الأب وابنه هي علاقة لا تعتبر علاقة سطحية بين فردين بل هي علاقة تقوم على إرساء معالم الوظيفية بالنسبة للكائن البشري، بحيث يتم مروره من السجل الحقيقي يعني ما بعد الإنجاب أين يهيمن فيه عدم التنظيم إلى السجل الرمزي، يعني الحياة عن طريق الصور و التمثلات في المكان الذي بإمكانه العيش والإنجاب.

ولكن ما يعد لافتا للانتباه عند هذا الشاب وهو مقدرته على العيش والمقاومة في المواقف الصعبة، في علم النفس هناك مصطلح يتكلم عن المقدرة على مواجهة الظروف الصعبة و الإخفاقات المتتالية في الحياة.

فإنجاب الطفل لا يكفي ولكن لابد من وضعه في العالم، يقول بوريس سيغولنيك[1]حسب هذا الباحث فدراسات الوظيفة العلائقية للسلوك فإن السنوات الأولى من الحياة يكون لها وقع هام في حياة الأفراد، فالتعلق المطمئن «*Secure*» أو «*insécure*»غير المطمئنسيؤدي بطبيعة الحال إلى تحديد النوع السلوكي *style comporte mental* للطفل الذي ينمو طبيعيا.

وطريقة اتصاله لمعرفة العالم وتحدد أيضا طريقة استجابته أمام الأزمات[2]ولكن عند كل شخص فإن الآثار الناجمةعن الطفل الذي يكون ضحية سوء معاملة أو الذي يعيش حدادا، يؤدي به التوقف عن النمو أو الطفل الذي يعاني من ويلات الحرب، ففي حالة ظهور مؤشر فإن هذا الطفل يخرج من احتضاره النفسي و يتمسك بالطريق التي تؤدي به إلى قبول الحياة، هناك قوة من أجل التحمل ومواصلة فرض الذات يتم دراستها من طرف فرق كثيرة عبر العالم ومن بين المؤشرات يتكلم سيرونليك عن سند التطور الذي يكون قويا ومتفهما يساعد الطفل في تحدي الصعوبات والتقدم إلى الأمام.

1.Lespetits camards. Boris Cyrulnik éd. Odile J.Paris 2004- P46.
2.Ibid. P 63.

	العبـــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة
1	على العموم أنا راضي على نفسي		×		
2	في بعض الأوقات أفكر أنني عديم الجدوى		×		
3	أحس أن لدي عدد من الصفات الجيدة		×		
4	باستطاعتي انجاز الأشياء بصورة جيدة كغالبية الأفراد		×		
5	أحس انه لا يوجد لدي الكثير من الأمور التي اعتز بها		×		
6	أنا متأكد من إحساسي أحيانا باني عديم الفائدة			×	
7	أحس أني فرد له قيمة و هذا على الأقل مقارنة بالآخرين		×		
8	أتمنى لو يكون لي احترام أكثر لذاتي		×		
9	على العموم أناأميال للإحساس بأني شخص فاشل		×		
10	اتخذ موقفا ايجابيا نحو ذاتي		×		

التحليل:

في المجمل هذا الشاب يعتبر ذاته بصفة ايجابية ولكن ومن جهة أخرى فإن معنى الحياة عنده غائب، أما القيمة الاجتماعية لتقدير الذات (الفقرة6) فهي ضعيفة كذلك، كما أن التوافق الاجتماعي وتقدير الذات الاجتماعية ضعيفتان كما يظهر ذلك إجابات الشاب توفيق.

الخلاصة:

خلال هذا العمل صببنا اهتمامنا على موضوع الأب من الناحية الفاعلية المرتبطة بالجانب النفسي والاجتماعي، أمام صعوبة البحث اخترنا الموافقة ما بين مفاهيم متعددة مركزين على المقاربة الاجتماعية التاريخية وكذا المنهج الأنثروبولوجي والتحليل النفسي.

إن المنهجية التاريخية مكنتنا من معرفة موضوع الأب كان معرفا انطلاقا من عدة مكونات إلى غاية نهاية القرن 19، فالمفاهيم المستعملة كانت مرتبطة في غالب الأمر بالقوة والسلطة العائلية، الصورة الاجتماعية التي تعكس المكانة، الشرف والكلمة النافذة، أما مصطلح الدور فكان غير واضح المعالم ويؤثر عادة على صور الأب، دوره الاجتماعي ووظيفته النفسية في آن واحد.

وكان لزاما انتظار نهاية الحرب العالمية الثانية من أجل إعادة صياغة الركائز النظرية للوظيفة الأبوية، في هذا الإطار تكلم جاك لاكان على وظيفة القوة والمزاج مؤكدا على سلطة كلام الأب انطلاقا من نقطتين أساسيتين:

- أن يكون كلام الأب معترف به من طرف الأم.
- أن يكون كلام الأب موافق لسلوكيات الأب.

التجديد النظري الذي سطره ج.لاكان سمح بتوسعات هامة لمسألة الأب، فالأب لا يعني بالضرورة أن يكون شخصا واحدا كذلك فإنه لا توجد وظيفة واحدة للأب، بحيث يمكن أن نتكلم عن الأب الذي يعيل أبنائه، المربي والذي يمنح اسمه يسهر على تطبيق القواعد والأطر المتعلقة بالمصاهرة و التبني.

الهدف من هذا البحث انصب في محاولة معرفة إذا كانت هذه الوظائف مكرسة في تنشئة الشباب المودع لدى المركز في ظل التحولات الاجتماعية خلال العقود الأخيرة، للإجابة عن هذا السؤال اخترنا الطريقة الكيفية المتكونة من 06 أفراد ذكور تتراوح أعمارهم ما بين 14 و 18 سنة مودعون في مركز إعادة التربية لحاسي دحو لأسباب مختلفة.

اشكاليتنا المبدئية تناولت فكرة أساسية تتخذ من إخفاق الوظيفة الأبوية التي يمكن أن يكون لها تأثير تكويني في مراحل المراهقة، التي يعاني أصحابها من صعوبة المرور من الطفولة إلى سن الرشد، بالمقابل فإن الفراغ الذي تتركه الوظيفة الأبوية المعطلة عن تأدية مهامها سوف تفتح مجال واسعا لتنشئة الشباب على الطريقة الأفقية، مع زمرة الأصدقاء الجانحين الذين يرفضون إرث الآباء وما يمثله ذلك من قواعد اجتماعية ومعاكستها باللجوء إلى سلوكات منحرفة متوافقة مع رغبات وتطلعات زمرة الأقران.

إطار بحثنا اعتمد على الطريقة العيادية بعد حضور دام 06 أشهر في الميدان بمعدل لقاءين مع الشباب في كل أسبوع، اخترنا بأن لا نقوم بالمقابلات إلا مع الشباب الذين يرغبون في سرد قصص حياتهم بعد فهم الهدف من هذا البحث بصفة عامة.

الجانب التطبيقي ارتكز أساسا على دراسة حالة للمؤسسة، الملاحظة، سرد حياة، بالإضافة إلى السلم الأحادي لتقديم الذات لـ *Rosenberg*.

اخترنا طريقة نص الحياة لأنها حسب نظرنا الوسيلة المكيفة أكثر من أجل دراسة القناعات العميقة للشباب المودع من جهة ومن جهة أخرى لأنها تتناسب أكثر مع العادة الشفهية للتبادلات التي تعتاد عليها طبقة المراهقين في مجتمعنا.

سيطرة الأم عامل مهم تمت مناقشته بالنسبة لعلي الذي كان خاضعا بشكل كبير إلى جدته وهو ما عزز الإحساس بنقص الأب ونقص كفاءته من أجل تأدية وظيفة الأب مع أطفاله، فالابن علي تم اعتباره في نفس الدرجة مع أبيه بعد أن قامت الجدة بإحكام سيطرتها على الأب.

الحالة الأخيرة التي ناقشناها مكنتنا من معرفة أن الاعتراف القانوني للأب هو من العوامل الأساسية التي تسمح للطفل أن يدخل في العالم الخارجي من بابه الواسع، لأن الأم تقوم بالإنجاب والأب يتولى إقامة عقد الميلاد الذي يؤسس لوجود الأفراد والجماعات ومن هذا الباب تتجسد أهمية الأب الشرعي الذي تتحدث عنه المؤسسات القانونية التي تحدد طرق نقل الأسماء والتركات.

هذه النصوص في مجملها سمحت لنا بمعرفة أن مجموعة الأقران يكون لها وقع منذ سن مبكرة في تنشئة الأبناء خاصة في مرحلة المراهقة، عندما نسجل سلسلة من الإخفاقات التربوية في الأسرة، المدرسة، الشارع...الخ، فإن الطفل يكون في كثير من الأحيان عرضة في هذا الشأن نذكر بأن سرد الحياة المقدم بالنسبة لعينة البحث لا يسمح بإعطاء نظرة كلية بالنسبة لتمثلات الأب عند جميع الشباب المودع لدى المركز، لأن ذلك يتعدى إطار هذا البحث.

فالقاسم المشترك بالنسبة لنصوص الحياة المناقشة يتناسب في كثير من الأحيان مع غياب الأب في العائلة، غياب الكلمات المتعلقة بوجوده، غياب التبادلات اللغوية في الأسرية بالشكل الذي يمنع من التعبير عن المشاكل أو معالجتها، إقصاء الأب من طرف الأم أو من خلال خطابها ونفس الشيء بالنسبة للأم، في بعض الأحيان أحد الوالدين يصور الأخر على أنه خطر بالنسبة للنمو السليم للابن، إما هناك اختلاف في الأنماط التربوية التي تشير انطلاقا من صراعات لا حصر لها وهو ما ينتج عن تمثلات في خطاب الأب أو الأم مسيئة بالنسبة لوظيفة الوالدين، فإقصاء الأب من خطاب الأم يجعل من تطور النمو النفسي إشكالية كبيرة، فالابن لا يستطيع القتل الرمزي للأب الغائب أو الناقص خاصة و إن كان هناك إحساس من أن الوالد يحتقره أو يعاقبه بدون وجه حق.

للإغراء من طرف الجماعة بحيث يصبح خاضعا للنظام الجماعي و يصبح عاجزا عن النمو و التطور خارج عقلية الجنوح و التهميش و هو ما يؤثر على استقلاليته كفرد مسئول عن أفعاله.

في نفس السياق تبين من مناقشة تجربة الحمام من طرف الشاب نور الدين بأن الهوية الجنسية تبنى بالاستناد إلى أماكن من أجل فرض الخصوصية الفردية، التي تأخذ تكوينها من النسق الجماعي لمجموعة الأصدقاء خاصة وأن الطفل يصبح يعرف بأنه من نفس الجنس النوعي للأب وهو كذلك مختلف عن الأم.

في هذا الإطار اتضح بأن الهوية الجنسية لا تبنى فقط على أساس الصورة الأبوية وإنما ترافق جملة التعاملات التي يتقاسمها المراهق مع أصدقائه، هذا التذكير يكون له أولوية خاصة في النطاق الثقافي الذي نعيش فيه بحيث أن الهوية الجنسية تتثبت ما بين الأصدقاء الذين يتقاسمون نفس الفئة العمرية وهو ما يعكس في جانب كبير الطرح التحليلي لأن التقمص الاوديبي يكون مبني على قلق الإخصاء بينما التقمص ما بين الأقران يكون ناتج للإحساس بالحشمة من نظر الآخرين، بالحياء، بالخجل (الحشومة).

من الوجهة الانتروبولوجية ركزنا على التحولات الاجتماعية واستراتيجيات التوافق بالنسبة للآباء، الذين فضل بعضهم طريقة فرض الذات بالقوة ، بينما فضل آخرونالتكيفبالتقرب إلى أكبر الحدود من الأبناء أو التغيب عند تأدية المهام منذ أول وهلة .

إن اختلاف الوضعيات الثلاث تظهر بوضوح صعوبة الأب من انتزاع مكانته في مجتمعنا وعلى هذا الأساس تكون النتيجة إما التشبثبالمكانة التقليدية وهو مواصلة دور الأب المتسلط أو التكيف مع المعطيات الحديثة وتحملالإخصاءالذي ينتج عنه ، بالنسبة لمقياس تقدير الذات لاحظنا بأن مضمون أجوبة المراهقين يحمل جملة من التناقضات، فبصفة عامة يكون المقياس منقسم إلى قسمين أجوبة ايجابية وأخرى سلبية عن تقدير الذات .

فمثلا الشاب يمثل نفسه بايجابية في بعض الأحيان ولكنه يصرح أيضا بأنه عاجز عن تصور نفسه في أفق زمني معادل لتحقيق الذات حسب متطلبات التكيف الاجتماعي، فبالنسبة للأغلبية فإن غياب النموذج التقمصي الأبوي ساهم بتوجيه اختيار الشاب إلى مجموعة الرفقاء والعيش على هامش المؤسسات الاجتماعية وكخلاصة لا يمكن القول بأن موضوع الأبوة هام ومتشعب في نفس الوقت وهو ما يتطلب أعمال أكثر عمق بالنظر إلى تنويع العلاقات الاجتماعية التي تميزه .

قائمة المراجع:

- *Abric. J.C.*

2007, Méthodes d'études des sciences sociales. Ramon ville Saint Agne, France, éd Eres.

- *Amar .N, Couvreur. C, Hanus. M.*

1998, Le deuil, Alger, éd SARP.

- *Benslama. F*

1988, La nuit brisée, Paris, éd Ramsay.

2002, La psychanalyse à l'épreuve de l'islam, Paris, éd Flammarion.

- *Bergeret .J.*

1982, Psychologie pathologique, Paris, éd Masson.

- *Bertaux. D.*

1997, Les récits de vie, Paris, éd Nathan.

- *Bouhdiba. A.*

1975, La sexualité en islam, Paris, éd Quadruge PUF.

- *Clerget. J.*

1979, Etre père aujourd'hui, Lyon, éd Chronique Sociale.

- *Débesse .M.*

1956, L'adolescence, Paris, éd PUF.

- *Deliège .R.*

2009, Anthropologie de la famille et de la paternité, Paris, éd Armand Colin.

- *Dor. J.*

1998, Le père et sa fonction en psychanalyse, Toulouse, éd Eres.

- *Dortier. J.F .*

2004, Le dictionnaire des sciences humaines, Paris, éd sciences humaines.

- *Durkheim. E.*

1997, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Quadrige. PUF.

- *El Fakir. A.*

1995, Oedipe et personnalité au Maghreb, Paris, éd L'Hartaman.

- *Freud. S*

1965, Totem et tabou, Paris, éd Payot.

1967, L'interprétation des rêves, Paris, éd PUF.

1976, Méta psychologie, Saint-Amand France, éd Gallimard.

1987, Trois essais sur la théorie de la sexualité,S. Amand France, éd Folio.

1989, La vie sexuelle, Paris, éd PUF.

1991, L'avenir d'une illusion, Paris, éd PUF.

2003, Cinq psychanalyses, Paris, éd PUF.

2009, La naissance de la psychanalyse, Paris, éd PUF.

- *Godelier. M.*

2004, Métamorphoses de la parenté, Paris, éd Fayard.

2008, Au fondement de sociétés humaines, Paris éd Albin Michel.

- *Godelier. M et Hassoun. J.*

1996, Meurtre du père sacrifice de la sexualité, Paris, éd Arcanes.

- *Guimelli. G.*

1999 , La pensée sociale, Paris, éd PUF.

- *Hanus. M et B.M.sourkes.*

1997, Les enfants en deuil, portraits du chagrin, Paris, éd Frison-Roche.

- *Héritier. F.*

1996, Masculin féminin, la pensée de la différence, Paris, éd Odile Jacob.

- *Hurstel. F.*

2002, La déchirure paternelle, Paris, éd PUF.

- *Husserl. E.*

2001, Idées directrices pour une phénoménologie, S. Armand France éd Gallimard.

- *Jodelet. D.*

2007, Les représentations sociales, Paris, éd PUF.

- *Kestemberg. E.*

19991, L'adolescence à vif, Paris, éd Le fil rouge.

- *Khatibi. A.*

1983, Maghreb pluriel, Paris, éd Denoël.

- *Lacan. J.*

1966, Ecrits, Paris, éd Le seuil.

1994, Le séminaire livre IV La relation d'objet.

- *Laplanche. J et J.B.Pontalis.*

1967, Vocabulaire de la psychanalyse, Paris, éd PUF.

- *Le Camus J.*

2004, Le vrai rôle du père, Paris, éd Odile Jacob.

2005, Comment être père aujourd'hui, Paris, éd Odile Jacob.

- *Levi strauss. C*

1967, Les structures élémentaires de la parenté, Paris, éd Mouton.

- *Mannoni .P.*

2008, Les représentations sociales, Paris, éd PUF.

- *Mead. M.*

1977, Mœurs et sexualité en Océanie, Paris, éd Plon.

- *Metz. C.*

2010. Absence du père et séparation, Paris, éd L'Harmatan.

- *Moscovici. S.*

1976, La psychanalyse son image et son public, Paris, éd PUF.

- *Piaget. J et Inhelder. B.*

1993, La psychologie de l'enfant, Alger, éd Bouchène.

- *Ricoeur. P.*

1990, Soi-même comme un autre, Paris, éd seuil.

- *Tort. M.*

2005, Fin du dogme paternel, Paris, éd Flammarion.

- *Wallon, H.*

1976, Revue Enfance, psychologie et éducation de l'enfance, Paris, publié avec le concours de la CNRS

1987, Les origines du caractère chez l'enfant, Paris, éd PUF.

Thèses :

- *Fsiane.H.*

2005-2006, Thèse d'Etat Psychologie Clinique, Identité féminine identité masculine. A propos des relations hommes/femmes en Algérie .Université d'Oran.

- *Safont .C.*

1992, Thèse de doctorat nouveau régime, Orientation de soi à l'adolescence, ses relations avec l'estime de soi et la compétence sociale. Université de Toulouse.